
الحكومة العالمية
للامام المهدى (عج)
آية الله العظمى مكارم شيرازى


بسم الله الرحمن الرحیم

الحکومه‌العالمیه للامام‌المهدی (عج)

کاتب:

آیت الله العظمی ناصرمکارم شیرازی (دام ظله)

نشرت فی الطباعهٔ:

مدرسه الامام علی بن ابی طالب (ع)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الحکومه‌العالمیه للامام‌المهدی (عج) ----- ۱۰
اشارة ----- ۱۰
السؤال الذی یساور جمیع الباحثین ----- ۱۰
المستقبل المشرق ----- ۱۱
اشارة ----- ۱۱
۱- مسیرة المجتمع البشری التکاملیة ----- ۱۱
۲- الانسجام مع نظام العام للخلیقة ----- ۱۳
ردود الأفعال الاجتماعیة ----- ۱۴
النتیجة: ----- ۱۵
الالزامات والضرورات الاجتماعیة ----- ۱۵
ملامح من الوعی الذاتی للناس: ----- ۱۷
اشارة ----- ۱۷
۱- تشکیل المجامع الدولیة واعداد میثاق حقوق الإنسان ----- ۱۷
۲- الحوار عن خلع الأسلحة ----- ۱۸
۳- هجوم السلام! ----- ۱۸
۴- مشروع الحکومة الإسلامیة «۱» ----- ۱۹
الفطرة و «العدل والسلام العالمی» ----- ۱۹
اشارة ----- ۱۹
۱- حبّ العدل والسلام ----- ۲۰
۲- الانتظار المطلق للمنقذ ----- ۲۰
الشعوب والمصلح العظیم ----- ۲۱
مشروع المصلح فی کتب الزرادشت: ----- ۲۱

قبسات من کتب العهد القدیم (التوراة وملحقاتها): ---- ۲۱
العلامات فی کتب العهد الجدید (الاناجیل وملحقاتها): ---- ۲۱
قبسات من عقائد الغرب بهذا الشأن: ---- ۲۲
النهضة العالمیة ---- ۲۲
نهضة أم إصلاحات تدریجیة ---- ۲۳
الثورة المادیة أم المعنویة؟ ---- ۲۴
مثالب الحکومة الدیمقراطیة: ---- ۲۵
الاستعدادات الضروریة للحکومة العالمیة ---- ۲۶
الاستعدادات العامة ---- ۲۶
اشارة ---- ۲۶
۱- الاستعداد الفکری والثقافی ---- ۲۶
۲- الاستعداد الاجتماعی ---- ۲۷
۳- الاستعدادات التقنیة ---- ۲۷
الانتظار ---- ۲۸
مفهوم الانتظار: ---- ۲۸
الانتظار فی عمق الفطرة الإنسانیة: ---- ۲۸
فلسفة الانتظار: ---- ۲۹
الأحکام غیر المدروسة: ---- ۲۹
آثار الانتظار البناءة: ---- ۳۰
الانتظار یعنی التأهب التام: ---- ۳۱
اشارة ---- ۳۱
۱- التزکیة الفردیة ---- ۳۲
۲- التکافل الاجتماعی ---- ۳۲
۳- عدم الانصهار فی بوتقة الفساد ---- ۳۲

المصلح العالمی العظیم فی المصادر الإسلامیة ---- ۳۳
صفات الزعیم العالمی ---- ۳۳
المصلح العالمی فی القرآن ---- ۳۴
الاستخلاف فی الأرض: ---- ۳۵
المصلح العالمی فی مصادر العامة ---- ۳۷
من هو المهدی؟ ---- ۳۸
نص الرسالة: ---- ۳۹
منطق مخالفی أحادیث المهدی: ---- ۴۱
ضعف منطق المخالفین: ---- ۴۱
المهدی فی مصادر الشیعة الروائیة ---- ۴۲
ملامح انطلاقة النهضة ---- ۴۳
علامات الظهور ---- ۴۳
اشارة ---- ۴۳
۱- شمولیة الظلم والفساد ---- ۴۴
۲- الدجّال ---- ۴۶
۳- ظهور السفیانی ---- ۴۷
العقیدة الشیعیة فی المهدی علیه السلام ---- ۴۹
اشارة ---- ۴۹
المهدی ثانی عشر خلفاء النبی صلی الله علیه و آله ---- ۴۹
السؤال الأوّل: ---- ۴۹
السؤال الثانی: ---- ۴۹
السؤال الثالث: ---- ۴۹
الأسئلة الثلاثة المهمة ---- ۵۱
۱- سر طول العمر ---- ۵۱

اشارة ----- ۵۱
مناقشة وتحقیق: ----- ۵۱
هل للعمر الطبیعی حدّ ثابت؟ ----- ۵۱
الاستثناء من الأفراد: ----- ۵۲
أصحاب الإشکال: ----- ۵۳
۲- فلسفة الغیبة ----- ۵۴
اشارة ----- ۵۴
أ) استعداد القبول (الاستعداد النفسی) ----- ۵۵
ب) التکامل الثقافی والصناعی ----- ۵۶
ج) اعداد القوی الثوریة ----- ۵۶
۳- فلسفة وجود الإمام حین الغیبة ----- ۵۶
اشارة ----- ۵۶
فائدة الإمام فی الغیبة: «۱» ----- ۵۷
اشارة ----- ۵۷
۱- بث الأمل ----- ۵۸
۲- حمایة الدین ----- ۵۸
۳- إعداد ثلّة ثوریة واعیة ----- ۵۹
۴- النفوذ الروحی والتلقائی ----- ۵۹
۵- هدف الخلیقة ----- ۶۰
سبیل انتصار ذلک المصلح العظیم ----- ۶۱
هل ینهض الإمام بالسیف ----- ۶۱
وأمّا من حیث المصادر الروائیة: ----- ۶۲
مفهوم السیف: ----- ۶۴
سیرة الحکومة العالمیة ----- ۶۵

العصور الثلاثة ---- ۶۵

تطور العلوم فی عصر المهدی علیه السلام: ---- ۶۵

التطور الصناعی المذهل فی عصر المهدی علیه السلام ---- ۶۶

التطور الاقتصادی والعدل الاجتماعی: ---- ۶۶

التقدم القضائی: ---- ۶۸

الحکومة المدیدة: ---- ۶۹

بناء علی جمیع الأصعدة الفکریة والثقافیة: ---- ۷۰

وحدة الدین: ---- ۷۱

الأدعیاء المزیفون ---- ۷۱

ألم یظهر المهدی ---- ۷۱

تعریف المرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۷۳

الحکومه‌العالمیه للامام‌المهدی (عج)

اشارة

سرشناسه : مکارم شیرازی ناصر، ۱۳۰۵ - عنوان و نام پدیدآور : الحکومه‌العالمیه للامام‌المهدی (عج)/ مکارم الشیرازی. مشخصات نشر : قم: مدرسه‌الامام علی‌بن‌ابی‌طالب (ع)، ۱۴۲۶ ق. ۱۳۸۴. مشخصات ظاهری : ۲۵۲ ص. شابک : ۱۰۰۰۰ ریال ۹۶۴-۵۳۳-۰۰۵-X : یادداشت : عربی. یادداشت : پشت جلد به انگلیسی: .Global governance of Mahdi یادداشت : عنوان دیگر: الحکومت‌العالمیه للامام‌المهدی (عج). یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس. عنوان دیگر : الحکومت‌العالمیه للامام‌المهدی (عج). موضوع : محمدبن حسن (عج)، امام دوازدهم ۲۵۵ق - موضوع : مهدویت شناسه افزوده : مدرسة الامام علی بن ابی طالب (ع) رده بندی کنگره : BP۲۲۴/م۷ح۸ ۱۳۸۴ رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۶۲ شماره کتابشناسی ملی : ۱۹۴۲۸۵۲

السؤال الذی یساور جمیع الباحثین

ذلک الیوم الذی: تغطی فیه سحب الظلم والفساد المعتمة سماء العالم ذلک الیوم الذی: تغرس فیه البلدان الغاشمة مخالبها القذرة فی اعناق طبقات المجتمع البشری المحرومة والمعدمة. ذلک الیوم الذی: تغیب فیه کافة المعاییر سوی معیار المادیة المقیتة لیکون الاساس فی تقییم الفکر. ذلک الیوم الذی: تعمد فیه أبواق الدعایة الاستکباریة الشرقیة والغربیة إلی اظهار الحقّ بصورة الباطل والباطل بصورت الحقّ بغیة تحقیق اطماعها ومآربها المشبوهة. الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۷ ذلک الیوم الذی: تجلّی فیه ظهور المستضعفین بسیاط التمییز العنصری والتفاضل العرقی وقصر النظر وضیق الافق والظلم والجور. اجل آنذاک: نصوب أبصارنا الراجیة نحو طلعتک البهیة أیّها المصلح العالمی العظیم، إلی نهضتک وحکومتک العالمیة. فاسأل اللَّه أن یوفقنا لتهذیب أنفسنا والتحلی بسعة الافق وشمولیة الفکر والاستعداد لخوض غمار الجهاد والالتحاق بصفوف الأوفیاء فی ممارسة العملیة الاصلاحیة ورفع رایة العدل والأمن والسلام. الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۸ ۱- هل سیکون مستقبل البشریة مفعماً بالعدل والسلام والأمن والأمان والتحرر من کافة أنواع الظلم والجور والإستغلال والإستعباد؟ أم ستشهد هذه البشریة- کما یتکهن البعض- مزیداً من الفوضی والاضطراب والتعقید، وبالتالی نشوب الحرب الذریة والنوویة الشاملة التی تطیح باصول المدنیات والحضارات الإنسانیة، فإن کان هنالک ثمة بقاء لُاناس علی سطح الکرة الأرضیة فسوف لن یکون سوی لبعض الأفراد المتخلفین والمعاقین والبائسین؟ ۲- إن صحّ الاحتمال الأوّل فی أنّ المستقبل سیشهد العدل والسلام فکیف سیکون ذلک؟ ۳- إن کان العالم یحث الخطی نحو «العدل» و «السلام» و «التآخی»، فهل یمکن تنفیذ هذه الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۹ المبادئ دون النهضة؟ وبعبارة اخری: هل یسع الاصلاحات «التدریجیة» تغییر التوجه السائد لدی العالم رغم انطوائه علی کلّ هذه المطبات؟ ۴- إن کانت النهضة ضروریة فهل تقتصر علی القوانین المادیة، أم یتعذر علیها ذلک دون الاستلهام من المبادئ المعنویة والقیم والمثل الإنسانیة؟ ۵- لو سلمنا بقیام مثل هذه النهضة، فما هی الصفات التی ینبغی أن یتمتع بها زعیم هذه النهضة؟ ۶- هل ستقود هذه النهضة علی سبیل الضرورة إلی تشکیل «الحکومة العالمیة الواحدة»؟ ۷- هل هناک من ضرورة لتوفر بعض الظروف المعینة لمثل هذه الحکومة؟ ۸- أمتوفرة مثل هذه الاستعدادات فی عالمنا المعاصر؟ وإن لم تکن کذلک فهل ینطلق هذا العالم فی العصر الراهن باتجاه تمهید تلک المقدمات أم بالاتجاه المعاکس؟ ۹- هل ترتبط هذه الامور- علی کلّ حال- بالعقیدة العالمیة العامة بالنسبة لظهور المصلح السماوی المطلق؟ ۱۰- ما طبیعة عقیدة المسلمین بظهور «المهدی» الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۰ وما کیفیة ارتباطها بهذه القضایا المصیریة؟ ۱۱- هل یسوقنا الاعتقاد بهذا الظهور إلی ممارسة العملیة الاصلاحیة للعالم من خلال النهضة الشاملة، أم یبعدنا عنها کما یذهب البعض إلی ذلک؟ ۱۲- هل تمثل هذه الفکرة والعقیدة الدینیة العامة حقیقة واقعیة تنطلق من أدلة منطقیة، أم لا تعدو الوهم والخیال

بغيـة الاشـباع الكاذب لرغبات الإنسان المكبوتـة باتجاه ضالته الكبرى فى الوصول إلى «السـلام» و «العدالة»؟ ... سـعينا فى هذا الكتاب للرد على هـذه الأسـئلة والاسـتفسارات بعيـداً عن كافـة أشـكال التعصب والرؤى المتطرفـة واجتنـاب الأحكام التى لا تسـتند إلى العقل والمنطق؛ الردود التى تنطلق من أعماق النفس وتحاكى الفكر وتلبى تطلعات «العقل» و «العاطفة» وتشبع حاجات الروح ومتطلباتها. لقد أوردت عـدة أبحاث منذ زمان بهذا الشأن، غير أنّ كثرة المشاغل فى قم لم تسـمح لى ب الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ١١ «شـرح» و «ترتيب» و «اكمـال» ذلـك، كمـا أنّ وساوسـى المتواصـلة فى تـدوين الكتاب حالت دون طبعه بتلك الكيفيـة، حقاً كان الكتاب بسيطاً وليس ناضـجاً. إلّا أنّ بعض الأحـداث دفعتنى إلى موقع لم أكن أتصوره أبـداً. چاه بهار! ... أى أبعـد منطقة إيرانية نائية ذات أسوأ مناخ، تبعـد عن العاصـمة طهران حوالى ٢٣٠٠ كيلومتر، كما لا تسع إمكاناتها المحـدودة أبسط صور المعيشـة، حيث يعانى سكنتها الأمرّين ويفتقرون إلى أدنى المتطلبات. وقد تزامن هذا السفر لحسن الحظّ مع فصل الشتاء، الشتاء الذى كان يفيض بعطر الربيع تارة، وتفوح منه رائحـة الصـيف تارة اخرى، مع ما يتمتع به من برودة قارسة. ولما كان تسـعون بالمئة من أهالى تلك المنطقة من أبناء العامـة، فقـد اغتنمت الفرصـة لألتقى بعض مثقفيهم- لاتـذكر الأيّام التى قضـيتها فى الحجاز- وقد عقدت الجلسات والاجتماعات التى كـان هؤلاء الاخوة يمثلون أغلبيتها الساحقـة؛ وكانت لهـذه الجلسات ثمراتها الرائعـة ونتائجها المطلوبـة وللّه الحمـد. طبعاً كان المجال واسـعاً فى تلك المنطقـة النائيـة الحكومـة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ١٢ المحاذيـة لمياه بحر عمان الزرقاء، تحت قبـة السـماء المفعمـة لياليها بالنجوم والكواكب وفى ظلّ العزلـة؛ فما كان منى إلّاأن سارعت فى اسـتغلال تلك الفرصة الذهبية لاعكف على تلك الأبحـاث (إلى جـانب الاسـتغراق فى بعض المطالعـات والـدراسات الفقهيـة الـتى لم أوفق إليهـا كمـا ينبغى فى قم المقدسـة)؛ بالتـالى خلصت إلى هـذه النتيجـة وهى أنّ «النفى» كان مرحلـة ضـرورية من عدة نواحٍ «عسـى أن تكرهوا شـيئاً وهو خير لكم». آمل أن تكون أبحاث هذا الكتاب قد انطوت على الاجابة عن استفسارات الشريحة الواعية التى تحاول الوقوف عن كثب وبصورة علمية تحقيقية على قضـية ظهور المصـلح العالمى المطلق. كما أرجو الاسـتلهام من مطالعـة هـذا الكتاب فى مواصـلة مسـيرتنا الجهاديـة فى مجابهة «الظلم والفساد»، حتّى تحقيق الأهداف المنشودة فى القضاء على الطواغيت والجبابرة وتطهير المجتمع من أرجاسـهم. ولا يسـعنا فى الختام إلّا أن نتوقع إلى حد كبير وجود بعض النقائص فى محتويات هذا الكتاب، ولا سيّما بالنظر إلى قلة الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ١٣ التحقيقـات الواردة بخصوص مطـالب هـذا الكتـاب. وعليه فإننا نفتـح صـدورنا أمام الاخوة القرّاء الأعزاء ليتحفونا باقتراحاتهم وانتقاداتهم ومراسـلتنا مباشـرة على العنوان التالى (قم- الحوزة العلمية). چاه بهار- ناصـر مكارم الشـيرازى شهر صفر سنة ١٣٩٨ ه شهر شباط سنة ١٩٧٨ م الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ١۴

المستقبل المشرق

اشارة

لدينا عدّة أسـباب تجعلنا نرى إشراقة مستقبل العالم ١- مسيرة المجتمع البشرى التكاملية ٢- الانسجام مع النظام العام للخليقة ٣- ردود الأفعال الاجتماعية (قانون رد الفعل) ۴- الإلزامات والضرورات الاجتماعية ۵- الفطرة و «السلام والعدل العالمى»

١- مسيرة المجتمع البشرى التكاملية

لاـ شك أنّ القرائن تشـير على ضوء النظرة الابتدائيـة أنّ «الـدنيا» تمضـى قـدماً نحو «الفاجعـة»؛ الفاجعـة الوليـدة: «هجران العواطف» و «تعميق الهوة بين المجتمعات الغنيـة والفقيرة» و «تصاعـد حـدة الخلافات والنزاعات ما بين الـدول الكبرى والضـعيفة» و «ارتفاع منحنى الجرائم والجنايات» و «الاختلال الأخلاقى والفكرى والروحى» و «النتاجات المقيتـة وغير المتوقعة التى أفرزتها حياة المكننة» وما شاكل

ذلک. الفاجعة التی تتبین ملامحها من خلال مقارنة الوضع السائد مع الماضی القریب، والتی تعتبر من العناصر المؤثرة فی تنمیة روح التشاؤم فی الأعماق الفکریة لأکثر الأفراد تفاؤلًا. یقول الخبراء العالمیون: الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۷ «إنّ حجم القنابل النوویة التی تغص بها ترسانة الدول الکبری تکفی لابادة کلّ ما علی سطح الکرة الأرضیة ولسبع مرات ولیس لمرة واحدة! ولا یبدو من العبث صنع مثل هذه الأسلحة بتلک التکالیف الفادحة التی تحسب بالأرقام النجومیة، لقد صنعت لتستخدم فی الحرب الذریة الرهیبة؛ کما لا- یبدو من الصعب اختلاق بعض الذرائع لانطلاق شرارة هذه الحرب فی هذا العالم المتخم بالصدامات الحدودیة واشتباک المصالح والمناطق الساخنة المشرفة علی الانفجار. وأننا لنلمس «الشعور بالسیطرة والهیمنة» و «جنون القوة» التی تساور أذهان زعماء الدول العظمی والتی تکفی لنشوب هذه الحرب. وعلیه یمکن توقع حدوث «فاجعة کبری» فی المستقبل القریب، ولعلّ البشریة مهددة بالفناء فی خضم حرب نوویة شاملة، أو إثر الفقر الاقتصادی الذی یفرزه احتکار الدول العظمی، أو بفعل نفاد مصادر الطاقة أو تلوث البیئة». رغم کلّ هذه العناصر المدعاة للتشاؤم، إلّاأنّ الدراسات والمطالعات العمیقة تشیر إلی المستقبل المشرق الذی ینتظر البشریة: ستزول کلّ هذه السحب القاتمة والزوابع المرعبة. ستنطلق تباشیر الصباح من عتمة اللیل. وسیدمغ ربیع العدل والقسط شتاء الجهل والفساد والعنف والظلم. سینجلی هذا الغم القاتل والعواصف الممیتة والسیول الهدامة، ولو أمعنا النظر فی آفاق المستقبل لاستجلینا شاطئ النجاة. الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۸ والدلیل المنطقی الأوّل علی هذا الموضوع هو قانون المسیرة التکاملیة الذی یحکم المجتمعات: فالإنسان لم یعِش الحیاة الرتیبة قط منذ الیوم الذی تعرف فیه علی ذاته، بل اندفع بوحی من نوازعه الباطنیة- ولعلّه بصورة تلقائیة- للنهوض بوضعه ومجتمعه نحو الأمام. فقد استوطن من حیث المسکن الکهوف والمغارات ذات یوم، وشید الیوم ناطحات السحاب التی تستوعب کلّ واحدة منها سکان مدینة صغیرة وبکلّ الوسائل والامکانات الضروریة لمعیشتهم! ومن حیث الملبس، ارتدی یوماً أوراق الأشجار، أما الیوم فهو یمتلک آلاف الأنواع من الألبسة وبمختلف الموضات والفصالات، ولم یکتف بالبحث عن انتقاء الألوان والمودیلات. وأما مأکله فقد کان یتناول الأطعمة الغایة فی البساطة آنذاک، بینما تنوعت الیوم مأکولاته وتشعبت أطعمته بحیث یتطلب ذکر أسمائها کتاباً ضخماً. کما کان مرکبه یوماً رجلیه؛ والیوم یستقل السفن الفضائیة ویحلق فی عنان السماء ویکتشف الکواکب والمجرات. وکما کانت صفحة واحدة تستوعب یوماً کافة علومه ومعارفه- وإن لم یتوصل حینها إلی اختراع الخطّ- لکن تعجز الیوم حتّی ملایین الکتب والمؤلفات وفی مختلف التخصصات عن بیان معلوماته ومعارفه. کان اکتشافه للنار آنذاک واختراع «العتلة» والظفر بالحربة الحادة الرأس من قبیل «الخنجر» ممّا یعتبره ذروة الابداع والاختراع، کما شعر بالفرح الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۹ المفرط والسرور التام حین اطاح بجذع نخلة لیجعله بمثابة قنطرة یعبر بواسطتها من هذه الضفة من النهر إلی الاخری، فی حین تمکن فی العصر الراهن من استخدام الصناعات الثقیلة والاختراعات العملاقة التی تخطف أبصار الناظرین وتقفز به أنظمة العقول الالکترونیة المعقدة إلی عالم من الأحلام والآمال. والغریب فی الأمر أنّ طموحه لم یتوقف عند هذا الحد، بل واصل سعیه الحثیث لیتسلق قمم التطور والنهوض دون أدنی کلل أو تعب. ونخلص ممّا تقدّم إلی أنّ باطن الإنسان یشده إلی عشق السمو والتکامل؛ والحقیقة هی أنّ هذا الأمر یمثل إحدی أعظم الامتیازات التی تمیز الإنسان عن الحیوانات وسائر الکائنات الحیة التی تعشعش ملایین السنین فی موضع معین وتعیش حیاة ظاهریة رتیبة. کما نخلص إلی نتیجة مؤداها عدم خمود تلک الجذوة المتوقدة فی أعماق الإنسان والتی لا- تنفک تسوقه إلی الکمال، وتعبئ طاقاته وامکاناته بغیة التغلب علی المصاعب والمطبات التی تعترض طریق حیاته. لتقذف به فی خاتمة المطاف فی المجتمع الذی یختزن «التکامل الأخلاقی» إلی جانب «التکامل المادی»، المجتمع الذی تغیب فیه مفردات الحرب وسفک الدماء المضاد للتکامل. المجتمع الذی تنضوی فیه کافة مقدرات الناس لسیادة العدل والسلام، وتموت فیه روح العدوان والاستعباد التی تمثل العقبة الکؤود التی تقف حائلًا دون تکامله المادی والمعنوی. لعلّ هنالک من یزعم أنّ مسیرة التکامل الماضیة إنّما ترکزت جمیعاً علی الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۲۰ النواحی المادیة، ولا یوجد ما یشیر إلی امتدادها لتشمل الجوانب المعنویة. إلّا أنّ الاجابة عن هذا السؤال واضحة لما یلی: أوّلًا: یمکن الوقوف علی العدید من

المبادئ المعنوية والاصول الإنسانية فى مسيرة التكامل الماضية؛ فالعلوم التى بلغها الإنسان- على سبيل المثال- فى ظلّ مسيرته التكاملية وبالذات غير المادية ليست بالقليلة، فليست هناك من نسبة على سبيل المثال للمقارنة والشبه بين إيمان الإنسان باللَّه آنذاك والذى كان يعبر عنه بعبادته للحجر والخشب وما ينحته من التمر، وما هو عليه الحكيم العارف اليوم من ادراك وعبادة. ثانياً: التكامل تكامل فى كافة المواقع؛ وليس هنالك من حدود كامنة فى هذا الإنسان بالنسبة لعشقه لذلك التكامل. أضف إلى ذلك فإن الاصول المادية والمعنوية ليست منفصلة عن بعضها. فمثلًا الروح العدائية والمتسلطة المتطلعة للهيمنة تقضى على الحياة المادية للإنسان على غرار ما تفعله القنبلة الذرية، بل ليس للأخيرة من فاعلية دون الاولى. ومن هنا نفهم أنّ هذا التكامل سيتواصل فى كافة المجالات. وعلى هذا الضوء تلوح أوّل بارقة أمل بغية الانفتاح على مستقبل مشرق زاهر وعالم مفعم بالسلام والوئام والاخوة والمساواة فى ظلّ «قانون المسيرة التكاملية للمجتمعات». الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ٢١

٢- الانسجام مع نظام العام للخليقة

يتألف عالم الوجود من سلسلة من الأنظمة. ووجود القوانين المنظمة والشاملة فى كافة أرجاء هذا العالم دليل على وحدة هذا النظام. وتعتبر قضية النظم والقانون على مستوى الخليقة من القضايا الأساسية لهذا العالم. على سبيل المثال، لو رأينا مئات الأجهزة الالكترونية الضخمة تعمل مع بعضها البعض لتمهد السبيل من خلال حساباتها الدقيقة أمام رواد الفضاء بغية الانطلاق إلى الأقمار والكواكب، وكانت هذه الحسابات صائبة بحيث تهبط السفينة الفضائية على الموضع المتوقع فى القمر، رغم حالة الحركة السريعة التى عليها الأرض والقمر، فإن ذلك يجعلنا نلتفت إلى أنّ هذه العملية إنما تتم من خلال نظام دقيق يحكم المنظومة الشمسية وسياراتها وأقمارها؛ ذلك لأنّها إن انحرفت عن مسارها الثابت والمنظم لاختلت أوضاع رواد الفضاء وقذفوا فى المتاهات. ولو تجاوزنا ذلك العالم العظيم ودخلنا العالم الصغير فالأصغر فالنظم الحاكم هنا- سيّما فى عالم الكائنات الحية- يبدو أنصع وضوحاً وحيوية بحيث لا مكان هنالك للفوضى. على سبيل المثال فإن اختلال نظام الخلايا الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ٢٢ الدماغية للإنسان يكفى فى تحويل حياته إلى صورة مفجعة مليئة بالهموم والأحزان. نشرت إحدى الصحف خبراً مفاده أنّ طالباً جامعياً نسى كلّ ماضيه إثر حادثة مرورية أصيب خلالها برجة دماغية؛ بينما لم يكن يشكو من سائر أعضائه؛ لم يعد يعرف أخته وأخيه، ويشعر بالخوف والهلع من امّه التى احتضنته وأرضعته وضمته بين ذراعيها وسهرت الليالى على راحته، فهو ينظر بريب لهذه المرأة الأجنبية ما عساها تريد منه! حمل إلى مسقط رأسه، ثم إلى الغرفة التى ترعرع وكبر فيها، يتأمل أعماله اليدوية واللوحات الفنية، لعله يعود إلى رشده فيقول إنّه يشاهد هذه الغرفة وما فيها لأوّل مرة! وربّما كان يظن أنّه قدم من كوكب آخر ليرى كلّ الأشياء التى تبدو له جديدة ولم يكن قد تعرف عليها من قبل. بالطبع إنّما توقفت بعض الخلايا الدماغية ذات الصلة بالذاكرة والتى تربط الماضى بالحاضر، دون سائر خلاياه التى ربّما جاوز عددها المليار! مع ذلك فإن هذا الاختلال الموضعى البسيط أدّى إلى تلك الآثار السلبية الفادحة! ولو اتجهنا صوب الذرة وجعلناها تحت المجهر لبدت لنا بشكل منظومة شمسية، والعكس بالعكس لو صغرنا على سبيل الفرض المنظومة الشمسية لظهرت كالذرة، فهنالك نظام واحد يحكمهما؛ نظام واحد لأعظم المنظومات وأصغرها!! فهل يسع الإنسان فى مثل هذا العالم والذى يشكل فيه جزءاً من الكلّ أن يعيش وضعاً استثنائياً بحيث يخرج من هذا النظام ولا ينسجم معه. وهل يستطيع المجتمع البشرى أن يسلك «اللانظام» والفوضى والظلم الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ٢٣ والجور وينأى بنفسه بعيداً عن مسيرة الخليقة وهذا العالم العظيم بما ينطوى عليه من دقة ونظام! أفلا نتدبر من خلال نظرتنا إلى الأوضاع العامة لهذا العالم أن تخضع البشرية برمتها شاءت أم أبت للنظام الذى يحكمه، فتستجيب لقوانينه المنظمة والعادلة، فتعود إلى مسارها الأصلى وتتأقلم مع هذا النظام! إننا إن تأملنا البنية المعقدة لأىمن أجهزة الإنسان لرأيناها تسير على هدى قوانين وأنظمة دقيقة وغاية فى الدقة؛ فإن كان الأمر كذلك فأنى للمجتمع البشرى أن يتمرد على الضوابط والمقررات الصحيحة والعادلة! أننا ننشد البقاء ونجهد أنفسنا من أجل الظفر به، غير أنّ مستوى تفكير

المجتمع لم يبلغ الدرجة التى تجعله يعلم بأنّ مواصلته لهذا الطريق إنّما تنتهى إلى الفناء والزوال، لكنه يفيق إلى عقله شيئاً فشيئاً ليقف على هذه الحقيقة. وأننا لنسعى لتحقيق مصالحنا، غير أننا نغفل عن أنّ استمرارنا فى ممارسة أوضاعنا الفعلية إنّما تهدد بالصميم جميع منافعنا ومصالحنا. ونضع نصب أعيننا بعض الأرقام والاحصاءات الحية- على سبيل المثال قضية سباق إلى التسلح- لنرى كيفية ضياع ما يشكل نصف أنشط القوى الفكرية والطاقات الجسمية لمجتمعات العالم إلى جانب نصف ثرواتها وامكاناتها فى هذا المجال، ليس الضياع فحسب، بل توظف من أجل القضاء على النصف الآخر! إننا لندرك على ضوء تنامى مستوانا الفكرى ضرورة الالتحاق بركب الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۴ قافلة النظام العام لعالم الوجود، وكما نرانا حقّاً جزءاً من هذا الكل، فإن علينا تفعيل ذلك على مستوى العمل، لنتمكن بالتالى من تحقيق أهدافنا وفى كافة المجالات. النتيجة: هى أنّ نظام الخليقة يعد الدليل الآخر على المستقبل الزاهر للبشرية على ضوء نظام اجتماعى صائب. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۵

ردود الأفعال الاجتماعية

إنّ قانون الفعل ورد الفعل الذى ينصّ على أنّ لكلّ فعل رد فعل يساويه فى المقدار ويعاكسه فى الاتجاه، بحيث لو اصطدم جسم بجدار بقوة معينة فإنّ هنالك ما يدفعه بنفس تلك القوة إلى الخلف، لا يقتصر على الأبحاث الفيزيائية، بل يبدو أكثر وضوحاً فى القضايا الاجتماعية. ولعلّ الدراسات التأريخية ترشد إلى أنّ النهضات والثورات العملاقة إنّما كانت على الدوام ردود أفعال مباشرة تجاه ضغوط مسبقة؛ وربّما لم تقع ثورة عارمة فى العالم، إلّاإثر ضغوط شديدة سبقتها ومهدت لها. بعبارة اخرى أنّ التغييرات والتطورات وليدة التشددات؛ مثلًا: ۱- النهضة العلمية لأوربا (عصر النهضة)- كانت ردّة فعل ازاء الف سنة من الجهل والتخلف السائد فى القرون الوسطى، ومدى حجم الضغوط التى مارسها القائمون على شؤون الكنيسة بغية الابقاء على حالة التخلف لدى الناس- التى قضت على العوامل التى تقف وراء الجهل ورفعت راية العلم والمعرفة فأخذت تخفق فى كلّ مكان. ۲- الثورة الفرنسية عام ۱۷۸۹- التى شكلت قفزة نوعية فى المجال الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۶ السياسى والاجتماعى، فوقفت بوجه الاستبداد والاستغلال الطبقى والمنطق الغاشم والمتغطرس للأنظمة الحاكمة، وجعلت المجتمع الفرنسى ومن ثمّ سائر المجتمعات الأوربية تدخل مرحلة تأريخية جديدة يسود فيها القانون- طبعاً إلى حدود معينة- بدلًا من الاستبداد والطغيان. ۳- الثورة ضد العبودية- التى انطلقت شرارتها الاولى عام ۱۸۴۸ من بريطانيا- والتى افرزتها المعاملة الفضة والغليظة للأسياد تجاه العبيد، فأججت نار الثورة لدى العبيد من جانب، واثارة عواطف المجتمع لصالح أولئك العبيد من جانب آخر، فانتهى الأمر إلى زوال نظام الاستعباد، وإن اتخذ هذا الاستعباد صيغ اخرى أكبر سعة وأعظم خطورة، حيث ظهر «الاستعمار» بذريعة «إعادة بناء البلدان المتخلفة»! على كلّ حال فكان ينبغى القضاء على نظام الاستعباد، لكن اسلوب التعامل مع العبيد عجل فى القضاء عليه. ۴- الثورة على الاستعمار، فى عصرنا الراهن كانت وما زالت ردود فعل مباشرة لأساليب المستعمرين وتصرفاتهم، والتى ألهبت مشاعر قطاعات الناس وجعلتهم يهبون لمناهضة القوى الاستعمارية، وإن لم تتمخض هذه المواجهة عن استقلال تام اقتصادى واجتماعى وسياسى وفكرى؛ غير أنها أفرزت أوضاعاً يصعب مقارنتها بما كانت عليه سابقاً. ۵- الثورة الشيوعية- عام ۱۹۱۷ م كردّة فعل لظلم الرأسمالية وهضمها لحقوق أغلبية طبقات المجتمع الكادحة والمحرومة؛ رغم ما ذكرناه فى موضعه- من أنّ هذه الثورة لم تحرر هذه الطبقات الضعيفة وترفع من شأنها واستعاضت عن ذلك النظام الاستبدادى بنظام ظالم آخر تمثل فى الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۷ «ديكتاتورية البرولتاريا» والتى تمثل فى الواقع هيمنة بعض رموز الحزب. ۶- الثورة على التمييز العنصرى كردّة فعل قام بها ذوو البشرة السوداء «الزنوج» ضد ذوى البشرة البيضاء، إلى جانب حرمانهم من حقوقهم الاجتماعية. ولو تصفحنا التاريخ وعدنا إلى الوراء فإننا سنواجه قانون ردّ الفعل فى كلّ مكان. تاريخ الأنبياء هو الآخر ينطوى على سلسلة من النهضات والحركات التى أفرزها ما سبقها من ضغوط اجتماعية قوية، وقد وجه الأنبياء تلك النهضات فى مسارها الصحيح من خلال قيادتها على ضوء التعاليم السماوية. ولعلنا لا نتلمس مظاهر هذا القانون فى

التاريخ القديم والمعاصر فى القصص الواقعية لحياة الامم والشعوب فحسب، بل إننا نرى نماذج ذلك القانون فى أساطير سائر الأقوام. فقد جاء فى اسطورة «الضحاك» و «كاوه الحداد» أنّ دماغ الإنسان كان طعام الحيتان التى يحملها على كتفه، وكان عليه أن يخرج كلّ يوم دماغاً من جمجمة ويعطيها الحيتان كى تقرّ وتهدأ! ولعلّ هذه هى حقيقة «الاستعمار» الذى يقتات على الأدمغة؛ حيث يعتبر الاستعمار الفكرى الدعامة الأساسية لكافة أنواع الاستعمار! ثمّ يطالعنا من بين ذلك المجتمع المحروم والذى يعانى من سطوة الضحاك، حداداً ذاق طعم النار فشمر عن ساعديه وجعل صدريته راية للثورة فواجه طغيان الضحاك وأطاح به. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۸ وتضمن علم النفس المعاصر بحثاً يكشف عن هذا القانون. يفيد هذا البحث: إنّرغبات الإنسان ما لم تشبع بالصورة المناسبة فإنّ هذه الرغبات تكبت فى اللاشعور لتنتقل من مرحلة «الشعور الظاهر» إلى مرحلة «الباطن» فتثير عقدة فى الضمير الباطن لدى هذا الإنسان. بل أبعد من ذلك أنّ البعض يعتقد أنّ الضمير الباطن ليس بشيء سوى هذه الرغبات المكبوتة، وأنها لا تستقر فى ضمير الإنسان وتنطفيء جذوتها، وتسعى دائماً لأن تطفو على السطح؛ وتبدو متفاوتةً ردود فعل هذه العقد لدى الأفراد، لكن يمكن القول إنّها عادة ما تعبر عن نفسها بإحدى الصيغ الآتية: ۱- عن طريق إيجاد بعض الاختلالات النفسية وعرقلة التفكير التلقائى. ۲- عن طريق الهروب من المجتمع والتقوقع والتشاؤم. ۳- عن طريق الثأر من المجتمع الذى جعله كذلك. ۴- عن طريق الاشباع الفارغ والخيالى. ۵- عن طريق «التصعيد» والتحليق نحو المراحل الأرفع! مثلًا، افرض أنّ فتى كانت له رغبة شديدة بفتاة، وحال والداه دون الزواج من هذه الفتاة، فالواقع أنّ هذه الرغبة الجامحة ستكبت فى عقله الباطن، وهى ليس فقط لا تزول، بل ستظهر سريعاً بصيغة ردود أفعال عنيفة. فلربّما جعلته مجنوناً، أو تسوقه إلى التقوقع والانطواء، أو تحيله إلى إنسان يحب الثأر والانتقام وبالتالى تجعله مجرماً خطيراً، أو تشده إلى الشعر الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۹ والأدب، ليعيش تلك الأجواء الرومانسية التى تسوقه إلى الأحلام بغية الوصال بالمحبوب. لكن قد يتبدل نفس هذا العشق المادى أحياناً إلى عشق سماوى وربانى عميق، فينزع من قلبه ما سوى اللّه ليكون شخصاً عارفاً وحكيماً منطوياً على أفكار رفيعة متعالية؛ طبعاً ينشأ هذا الاختلاف من سائر الاختلافات النفسية والاستعدادات الروحية لمختلف الأفراد. وبناءاً على ما تقدّم فإننا نلاحظ أنّ الضغوط النفسية إنّما تواجه عادة بردود فعل عنيفة وثورات ونهضات متنوعة.

النتيجة:

يشير هذا القانون إلى أنّ أوضاع العالم الراهنة حبلى بالثورة. فضغوط الحروب والمظالم والممارسات الشنعاء والتمييز العنصرى وانتهاك العدالة، إلى جانب فشل الإنسان وشعوره بالاحباط من القوانين السائدة فى القضاء على هذه الضغوط ومعالجتها، سيجعلها تبرز إلى السطح فى خاتمة المطاف بصيغة ردود فعل عنيفة. وبالتالى فإنّ هذه الرغبات الإنسانية المكبوتة ستتحول فى ظل تنامى مستوى يقظة الامم إلى عقدة اجتماعية تنطلق من العقل الباطن للمجتمع لتطيح بهذا النظام السائد لدى المجتمعات البشرية، وتقدم مشروعها الحديث؛ المشروع الذى يغيب فيه سباق التسلح المقيت من جانب، كما لا تشم فيه رائحة النزاعات البغيضة والحروب الدموية الطاحنة ومفردات الاستعمار والاستبداد والظلم والفساد من جانب آخر. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۳۰ وهذه بارقة أمل اخرى على إشراقة المستقبل الذى ينتظر المجتمع العالمى.

الالزامات والضرورات الاجتماعية

المراد من «الالزام الاجتماعى» أنّ وضع الحياة الاجتماعية للإنسان يبلغ مرحلة بحيث يشعر بحاجته إلى مطلب معين بصفته ضرورة. ونعلم بالطبع أنّ الإنسان يريد بادئ الأمر أن يكون حراً من جميع النواحى دون أدنى قيود أو حدود تعكر صفو حياته، غير أنّه يدرك شيئاً فشيئاً أنّ مثل هذه الحرية تنأى به بعيداً وتحرمه من سلسلة من الاعتبارات التى تتمتع بها الحياة الجماعية، وبالتالى لا تلبى رغباته

الأصيلة والأساسية، ولو لم يقر ببعض القيود والبنود التى يصطلح عليها بالقانون، فسوف لن يكون نصيب المجتمع الذى يعيش فيه سوى الفوضى والهرج والمرج والفناء. وهنا ينصاع إلى القوانين والمقررات. كما أنّ تطور المجتمعات يسهم كلّ آن فى مضاعفة هذه القيود، وعليه أن يقر بها جميعاً كضرورة. أضرب مثلًا بسيطاً على هذا الموضوع بشأن مقررات السياقة والاشارات الضوئية، فالإنسان الذى يمتلك سيارة حديثة سريعة يرغب بأن يمارس حريته فى الذهاب إلى أى مكان، والوقوف فى الموضع الذى يحب، ويسير بالسرعة الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۳۲ التى تعجبه، ومواصلة الحركة فى تقاطع الطرق بعيداً عن الوقوف وضياع الوقت وانتظار إشارة المرور؛ لكنه سرعان ما يفهم أنّه إن فعل ذلك فليس هنالك ما يمنع الآخرين منه، وبالتالى سوف لن يكون هناك سوى الفوضى والارباك وأنواع المخاطر. وعليه فإنّ عدم صواب هذا العمل لا يخفى اليوم حتّى على الأطفال؛ ولابدّ من وجود بعض المقررات وإن تأخر الإنسان لساعات قبل بلوغه المكان الذى يريد، كما لابدّ أن تكون هنالك بعض الغرامات والضوابط الشديدة (العادلة والمنسجمة مع العقل) وإلّا فإنّ مئات الأفراد سيفقدون أرواحهم كلّ يوم أو تتحطم سياراتهم الشخصية. هذا ما نقوله «عن الضرورة» أو «الإلزام الاجتماعى» إلّاأنّ المهم هو أنّ «الحاجة الواقعية» لمجتمع تبدو ملحة بحيث يقر بضرورتها على الأقل مفكرو المجتمع وقادته؛ ويتوقف هذا فى الدرجة الاولى على الوعى الاجتماعى لأفراد المجتمع، ومن ثمّ اتضاح النتائج السلبية لأوضاع المجتمع القائمة واستحالة مواصلة الدرب. ولذلك لا ـ نرى من جدوى للصرخات التى تطلق هنا وهناك بشأن تلوث البيئة، وليس هنالك من يكترث للمقررات المتعلقة بنظافة البيئة. لكن حين يرى الناس- على سبيل المثال- التلوث الذى يصيب منطقة معينة كطهران بحيث يبرز فيها العديد من الأمراض التى تهدد صحة الناس، ويتعذر عليهم التنفس، وتصاب عيونهم بالحرقة، حتّى قال بعض الإحصائيين: يصاب بالعمى عشرة أشخاص يومياً؛ ويسود اللعاب لمجرد التواجد بضع ساعات فى المدينة، وانتشار الأمراض الجلدية وضيق الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۳۳ الأجهزة التنفسية وإصابة القلب والكبد وظهور حالات التسمم، فهنا ينصاع إلى المقررات الشاقة والمعقدة بصفتها ضرورة، ويستجيب لكافة الامور من قبيل اغلاق المصانع والمعامل الضخمة، والتخلى عن آلاف الوسائط النقلية ذات الدخان، والامتناع عن ممارسة أغلب الانشطة الاقتصادية ذات الأرباح الباهضة والتى توجب تلوث الأجواء. ونعود الآن إلى أصل الموضوع على ضوء هذا المثال؛ لعلّ الصورة التى رسمها إنسان القرن السابع عشر والثامن عشر عن القرن العشرين إثر مشاهدته للتطور الصناعى إنّما كانت جنة، فاعتقد أنّ تلك الثورة الصناعية التى انطوت على كلّ هذا التطور والازدهار ستؤدى يوماً إلى: اكتشاف المصادر الجوفية الواحد تلو الآخر؛ السيطرة العلمية على الطاقة «الذرية» التى تعد أهم وأعظم مصادر الطاقة؛ تحقيق حلم الإنسان بالتحليق فى السماء؛ بمجرّد أنّ يضغط الإنسان على زر سينظف البيت وينضج الطعام وتغسل الثياب ويدفأ البيت فى فصل الشتاء ويبرد فى الصيف؛ وما أن يضغط على زر حتّى تحرث الأرض فيلقى فيها البذور فيجنى محاصيلها بالماكنة والحاصودة فيعلبها ويجهزها للاستهلاك و ... آنذاك يجلس الإنسان فى موضعه وينعم بالرفاه والدعة! لكنه غفل عن أنّ إنسان الصناعة وحياة المكننة سوف لا يتمتع بهذه الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۳۴ الرفاهية، بل سوف لا ينتهى هذا التطور التكنولوجى سوى إلى المزيد من التعقيدات والارباكات التى تكدر صفو الحياة، وسيلقى شبح «الحروب العالمية» بظلاله المرعبة على كافة مرافق حياته بما فيها قطاع الصناعة بالشكل الذى يحيلها خراباً ودماراً! حينئذٍ يدرك مدى خطورة هذه الحياة! فإن كان الكلام فى الماضى عن الحروب التى تؤدى بحياة بضعة آلاف من الناس، فالحديث اليوم عن حرب متوقعة أدنى نتائجها حضارة العالم والمدنية والعودة القهقرى إلى العصر الحجرى! وسيفهم تدريجياً أنّ المقررات السابقة لم تعد كافية لحفظ النجاحات الباهرة التى حققها فى ميدان الصناعة والحضارة، ولابدّ من الانصياع لمقررات إضافية جديدة. كما سيشعر شيئاً فشيئاً بأنّ «قيام الحكومة العالمية الواحدة» التى ستضع حداً لسباق التسلح المهلك والقضاء على أطماع الدول الكبرى وما تثيره من نزاعات وصدامات، سيكون «ضرورة» و «واقع لابدّ من تحققه»، آنذاك ستزول هذه الحدود المصطنعة ذات الطبيعة المعقدة لتعيش البشرية برمتها تحت راية واحدة وتمارس حياتها فى ظلّ قانون واحد جامع! وسيأتى اليوم الذى يتكامل فيه الشعور الاجتماعى والوعى لدى العالم ليرى بوضوح ذلك التوزيع الظالم

للثروات بحيث ينعم البعض بالرفاهيـة وطيب العيش ويفرد فيه بعض الأمـاكن للحيوانـات (كالكلاب والقطط) من قبيـل المستشـفيات والأطبـاء والمبانى الشاهقـة، بينما يأن البعض الآخر من الجوع والعطش والحرمان من أدنى متطلبات العيش ووسائل الحياة. لا شك فى أنّ العالم لم ولن يذوق طعم الأمن والاستقرار إن ظلّ مفتقراً للنظام الذى يتكفل بالتوزيع العادل للثروات، وسوف لن يقتصر البلاء على الحكومـة العالميـة للإمام المهدى(عج)، ص: ۳۵ البلـدان الفقيره دون تلك الغنيـة. فإن بلغت هـذه الامور مرحلـة الضـرورة إثر اتضاح وظهور ردود الفعل المقيتة التى يفرزها الواقع الموجود وتنامى الشعور الاجتماعى العام، آنذاك ستكون الثورة والنهضة حتمية الوقوع، على غرار ما حصل فى الماضـى. وعليه فإنّ «الالزام الاجتماعى» يعد العنصـر الآخر الذى سيدفع بالمجتمع البشرى شاء أم أبى نحو حياة مفعمة بالعدل والسلام، ويرسى قواعد الحكومة العالمية على أساس مشروع جديد.

ملامح من الوعى الذاتى للناس:

اشارة

كـان الموضـوع فى أنّ القرائـن الموجـودة هـل تشـير إلى أنّ مستقبل العـالم يتمثـل فى العـدل والسـلام أم الظلم والقضـاء على الجيل الإنسانى؟ ظفرنا لحـدّ الآن من خلال أربعـة طرق على بعض الأدلة الواضـحة التى تؤيد الاحتمال الأوّل، لكن قد يقال بالمقابل إن كان الأمر كـذلك مالنا لا نرى فى ظلّ هـذه الأوضاع والحياة المعاصـره ما يشـير إلى أنّ البشـرية تتجه نحو تحقيق الأهـداف المذكورة، بل بالعكس ليس هنالك- وعلى ضوء الوضع القائم- سوى اليأس والاحباط! نحن بـدورنا نقر بأن الأمر يبدو كذلك للوهلة الاولى، إلّاأنّ التأمل يفيد أنّ الإنسان المعاصـر يحث الخطى باتجاه الهدف المذكور وتبدو ملامح وعيه الذاتى على مسـتوى الفكر والحياة، رغم كلّ هـذه الانتهاكات والاعتداءات الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۳۶ والمظالم والدمار. وبالرغم من أنّ هذه الخطوات ليسـت بـالكبيرة، أو الجديـة كمـا ينبغى، مع ذلـك فهى طفرة جـديرة بالاهتمـام بالنسـبة للاعـداد الفكرى للأجواء. وإليك بعض نماذج هـذه القرائن:

۱- تشكيل المجامع الدولية واعداد ميثاق حقوق الإنسان

نعلم أنّ الحرب العالمية الاولى والثانية أشبه شيء بحالة الجنون الادوارى فى العالم البشرى، لكنها افرزت بعض العناصر التى تدعو إلى الوعى واليقظـة إزاء تلك الآثار السلبية المميتـة. لقد تشـكلت «عصـبة الامم» عقيب الحرب العالمية الاولى، لكنها لم تلبث حتّى تعالى زئير قـذائف مـدافع الحرب العالميـة الثانيـة. ورغم قصـر مدة تلك التجربة إلّاأنها أدّت إلى تشـكيل مرجعاً عالمياً يبدو أكثر رصانة من سـابقه أصـطلح عليه بـاسم «منظمـة الامم المتحـدة» التى أصـدرت تلك الوثيقـة الرائعـة «ميثاق حقوق الإنسان». طبعاً لا ننكر أنّ أغلب مـواده وفقراته من قبيـل المثـل المعروف لـدينا «القـط والجرس» ولا- يمكن أن نظفر بمن يسـعه تعليـق الجرس على القـط فى الظروف الراهنة، مع ذلك لا يسعنا أن ننكر أيضاً كونه يشكل خطوة إيجابية رغم ما يكتنفه من نقص ومثلبة، وأنّ أغلب الناس تؤمن بصحّة هذا الاسـلوب وإن تعثروا فى العمل. ولكم أن تلاحظوا الآن أليست هذه المواد التى سنوردها من الميثاق المذكور، هى تلك التى ذكرناها فى الأبحاث السابقـة؟! المادة الاولى: جميع الأفراد يردون أحراراً إلى الدنيا، وهم اخوة فى الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۳۷ الحقوق والاعتبار، لكلّ منهم عقل وضـمير، وينبغى أن يعامل بعضـهم البعض الآخر بروح التاخى ... المادة الثالثـة: لكلّ حقّ الحرية والحياة والأمن و ... المادة الخامسة: لا يحقّ لأحد أن يعذب آخر ويعامله معاملة سـيئة وظالمة خلافاً للمبادئ الإنسانية. المادة السادسة: ينظر القانون إلى كلّ شـخص بصـفته إنساناً إينما كان. المادة السابعة: الكلّ سواسية أمام القانون، ويتمتعون جميعاً بحماية القانون دون تمييز ويتساوون فى الحقوق. المادة السادسة والعشرون: لكلّ فرد حقّ التربية والتعليم ... وأن تكون غاية هذا التعليم إيصال الإنسان إلى

التنميـة والازدهـار، ويراعى حقوق الناس وحرياتهم ... المادة التاسـعة والعشـرون: كلّ فرد مكلف إزاء المجتمع بتوفير ممهـدات حريته وتبلور شخصيته. وأخيراً فإن المادة الثلاثين من الميثاق المـذكور تغلق الطريق بوجه جميع المسـتغلين. المادة الثلاثون: لا ينبغى تفسـير أى من مواد هـذا الميثاق بحيث يتضـمن حقّاً لدولـة أو جمعيـة أو فرد من شأنه القضاء على الحقوق والحريات الواردة فيه. نُـذكِّر ثانية بعـدم تفاؤلنا إلى هـذا الحـدّ فى أنّ هـذه الشـعارات البراقـة التى تسـحر القلوب إنما تشـبه إلى حدّ بعيد وفى ظلّ الظروف الراهنة حلماً جميلًا بعيـداً جـدّاً عن التحقق الخارجى، لكن لا يسـعنا بالمقابل إنكار هذه الحقيقة الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۳۸ فى أنّ الميثاق المـذكور جعل البشـرية تـدخل مرحلـة تاريخية جديدة. نعلم أنّ «منظمة الامم المتحدة» هى فى الواقع بحكم «المنظمة الامّ» وقـد انبثقت منها عـدة شـعب إحـداها تتمثل فى «مجلس الأمن». الفارق بين هـذا «الابن» وتلك «الامّ» أنّه ليست لهذه الأخيرة من قدرة تنفيذيـة، ولا ـ تعـدو مقرراتهـا كونها سلسـلة من الوصايا الرسـمية لبلـدان العالم. ومن هنا فإنّ بعض الأفراد المتشائمين لا يرى فى هـذه المنظمـة الدوليـة سوى أنها «منبر خطابـة» أو «صالة الخطاب العالمى» أو «البرلمان الحرّ» وما إلى ذلك من المسـميات؛ لكن مهما يكن الأمر فهى تسـتبطن هـذه الفائـدة فى اشتراك كافـة بلـدان العالم فيها فى التصويت على أساس «التكافؤ والمساواة»، ولمقرراتها آثارها النفسـية والمعنويـة الواضـحة لـدى الشـعوب والرأى العام العالمى. بينما يتمتع «مجلس الأمن» بقـدرة إجرائيـة وتنفيذيـة كافية! ولو أراد لاستطاع تفعيل قراراته، لكن ممّا يؤسف له افتقاره للقدرة الكافية على التصويت والاقتراع؛ ذلك لتمتع الدول العظمى الخمس «أمريكا وروسـيا والصـين وفرنسا وبريطانيا» الدائمة العضوية بحقّ النقض «الفيتو» حيث يسعها احباط أى قرار لا يروق لها. ولعلّ هذا الحقّ الذى خلفه الاسـتعمار إنما يهدد هذا المركز الدولى ويعطل جميع مشاريعه وقراراته. ونخلص ممّا سبق إلى أنّ هنالك مؤسسة تتمتع بقدرة الاجراء دون التصويت واخرى تصوت دون أن تكون لها قدرة على الاجراء والتنفيذ! لكن رغم كلّ هذه الاشـكالات فإن هذه المنظمة الدولية وانجازاتها، وهذه المؤسسة ذات الضـجيج العالى والقليلة الأثر إن راعينا العدل الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۳۹ والانصاف، اسـتطاعت أن تقوم لحـدّ الآن ببعض الأعمال المهمـة- رغم صـغرها- وبغض النظر عن فاعليتها فإنّ صورتها الظاهرية هذه، دليـل على تبلور اسلوب حـديث من التفكير فى العـالم انطلق من مراحـل «شـبه جديـة» أقرب شـىء للعفويـة والمزاح وتتحرك باتجاه مراحل أكثر جديـة؛ بحيث تشـعر جميع بلـدان العالم رغم اختلافها فى المـذاهب والأساليب بحاجـة إلى وجود هـذه المنظمـة، ولاترى صحّة تجاهلها.

۲- الحوار عن خلع الأسلحة

رغم أنّ هـذا الموضوع لم يخرج لحـدّ الآـن من دائرة النقـاش وعقـد الاجتماعـات واسـتهلاك الأـوراق؛ وكلّ ما صـدر لحـدّ الآن من المنظمات العالمية لنزع الأسـلحة إنما يدلّ على «اتساع سـباق التسلح»، إلّاأن ترحيب عامة بلدان العالم بهذا الاقتراح يكشف عن ظهور اليقظة والوعى فى الضـمير العـالمى؛ وعلى الأقل فإن كافـة الـدول الكبرى والصـغرى وقفت على عظم حاجتها لكلّ هـذه «الثروات» و «الأدمغة» لتوظف فى «القضايا العمرانية» بدلًا من هدرها فى صـنع الآلات العسـكرية مع ما تتطلبه من طاقات بشـرية، فالكلّ يسـعى على طريقته لينقذ نفسه من هذا الفخ الخطير، ولابدّ أن تأتى الساعة التى تستغل فيها هذه الثروات الإنسانية والاقتصادية العظيمة لصالح البنى التحتية والمراكز الخيرية الضعيفة. لقد قدمت إحدى مؤسسات الاحصاء العالمية بعض الاحصاءات الخيالية بشأن الميزانية التى ترصدها كلّ دولـة من الدول العظمى لجيوشـها وجنودها- الجنود الذين يمثلون أعظم أعضاء المجتمع فتوة وحيوية- مع ذلك تشـير الاحصائية المـذكورة إلى الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۴۰ وجود نزعة تفكيرية إلى جانب ذلك البرنامج الفاحش، والتى تصـرح باستحالة استمرار هذا البرنامج ولابدّ من إعادة النظر فيه. وهذا بدوره يشكل خطوة اخرى نحو تحقيق ذلك الهدف العظيم.

۳- هجوم السلام!

يتحدّث الجميع فى عالمنا المعاصر عن السلام؛ حتّى طلاب الحرب! ذلك لأن النفرة من الحرب أصبحت شاملة عامة، وما زالت الصور المرعبة لآثار الحروب العالمية المدمرة عالقة فى الذاكرة ولا يمكن نسيانها! رغم أنّ التحمس للصلح والسلام- كسائر معظم رغبات الإنسان- لم تتجاوز حدود الأمنية؛ وما زال يستغل هنا وهناك كشعار. مع ذلك فإن هذا الوضع- على كلّ حال- يشير إلى «عطش عام» إلى «ماء الصلح» من قبل الجميع. والواقع هو أنّ الناس تنظر إلى ذلك بصفته الركيزة الأساسية للنهوض بكافة مرافق الحياة، ولا سيّما بالنظر إلى أنّ الحروب الحديثه باهضة التكاليف ومدمرة، فقد يعانى بلد من تخلف اقتصادى وعمرانى لعشرات السنين إثر بضعة أيّام من الحرب، ناهيك عن تكبده أفدح الخسائر بالأموال والأرواح، ولربّما بلغت المليارات من الدنانير وآلاف القتلى والجرحى. حقّاً لا ينبغى الاستخفاف بهذه الرغبة العامة؛ لأن كلّ نهضة وحركة إنما تنطلق بادئ الأمر على أساس كونها «أمنية» و «رغبة دون سند» أو «شعار براق»، ومن ثمّ تتحول إلى «ضرورة» و «واقع قائم» يغير تدريجياً أركان المجتمع. تفيد التقارير أن وقف إطلاق النار بين فيتنام وأمريكا نقض خمسمئة مرة، لكننا رأينا فى خاتمة المطاف كيف بلغ المرحلة الجدية والقطعية، الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۴۱ والضرورة التى ينبغى تحققها إنما تحققت بانتصار فيتنام.

۴- مشروع الحكومة الإسلامية «۱»

حظىَ هذا المشروع أخيراً بالكثير من الأنصار، وورد الحديث بشأنه فى مختلف الأوساط، حتّى ذهب البعض إلى أنّ مشروع اللغة الدولية الذى أخذ يتنامى تأثيره ويتسع مؤخراً إنما يعد مقدمة لذلك المشروع الكبير. وهذا بدوره يمثل خطوة مؤثرة اخرى بغية بلوغ ذلك الهدف النهائى. طبعاً ممّا لا شك فيه أنّ التوجه الراهن للعالم فى ظلّ هذه الظروف لا يبدو مستعداً لمثل هذه الحكومة؛ ذلك لأن قضية الاعراق السوداء والبيضاء لم تحل فى المجتمع الذى يعد مدنياً متحضراً كالولايات المتحدة، وما زال السود (الزنوج) يأنون فى هذا المجتمع من التمييز العنصرى المقيت. وما زال النظام العنصرى فى جنون أفريقيا يحظى بدعم الدول العظمى، وما زالت الهوة قائمة بين الفئات الثلاث «المتخلفة» و «السائرة نحو التنمية» و «النامية» بل تعمقت أكثر فأكثر. لكن بالرغم من كلّ ذلك- كما قلنا- فإن سعة هذه الأفكار وانتشارها واستيعابها من قبل أغلب قطاعات العالم وإن لاح فى الافق البعيد، إلّاأنّه دليل حى على نضج الاستعداد الروحى والفكرى والاجتماعى لتحقق العدل والسلام العالمى. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۴۲ ناهيك عمّا أوردنا فإنّ بعض القرائن الاخرى هنا وهنالك فى المجتمعات البشرية من قبيل «السوق المشتركة» و «المحافل الدولية الكبرى» وكافة اشكال النزوع نحو الحياة الجماعية والجنوح نحو الوحدة، تشير جميعاً إلى أنّ العالم قطع مسيرة طويلة نحو الهدف المذكور؛ ويبشرنا فى خاتمة المطاف ببلوغ هذا الهدف.

الفطرة و «العدل والسلام العالمى»

اشارة

يمكن دراسة كلّ قضية من خلال طريقين؛ «العقل» و «العاطفة والفطرة» والفطرة هى الالهام والادراك الباطنى الذى لا يحتاج إلى الدليل، أى يقره الإنسان ويؤمن به دون قيام الدليل والبرهان. وربّما تكون هذه الالهامات الباطنية أعظم أصالة من أحكام العقل، حيث هذه ادراكات ذاتية، وتلك معلومات اكتسابية. ويصطلح عادة على هذه الالهامات لدى الحيوانات ب «الغريزة»؛ ولهذه الغرائز قاعدة عريضة فى الحيوانات إلى جانب دورها المهم؛ بل يمكن القول إنّ المحور الأصلى لحياة الحيوانات إنما يستند إلى الغرائز. وقد تكون انعكاسات هذه الغرائز على درجة من الدهشة بحيث يشعر الإنسان إزائها بالعجز رغم امتلاكه لكلّ هذه الوسائل الصناعية المتطورة والأدوات الالكترونية المعقدة. مثلًا، كثيرة هى الحيوانات والحشرات التى تتحسس وضع الجو، لعلّ ذلك أحياناً ليوم واحد وأحياناً

اخرى لستة أشهر، بل قرأت فى صحيفة أنّ نوعاً من الجراد يتكهن بأوضاع الجو قبل سنة، حقّاً أنّه لمن المثير للدهشة أنّ إنسان عصر الفضاء ورغم كلّ ما الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۴۴ يمتلكه من أجهزة دقيقة صنعت لأجل التكهن بالأنواء الجوية، ونصبه لكلّ المراصد فى مختلف المناطق وإعداده للخرائط الجوية وما يرصد لها من ميزانية ضخمة لا يسعه التكهن بهذه الأوضاع لأكثر من ست ساعات، وبالعبارات التالية المذبذبة: غائم جزئى. غائم تماماً. مع احتمال زخات مطر. ولعلّه يكون مصحوباً بمطر شديد. ويحتمل أن يكون صحواً ومشمساً! ... أمّا تلك الحشرة العالمة بالأنواء الجوية فهى تتكهن بالأوضاع قبل ستة أشهر ودون الاتصال بسائر الحشرات؛ أى تتنبئ بأوضاع الشتاء فى فصل الصيف وتعد نفسها للتكيف مع تلك الأوضاع. ولعلّ سبب قلة معلومات الإنسان الفطرية مقارنة بسائر الكائنات الحية إلى الحيز العظيم من القدرة العقلية المودعة لديه والتى يمكنها معالجة نقصه فى سائر المجالات؛ لكن على كلّ حال فإن الإنسان يستلهم من هذه الفطره فى تلبية حاجاته الضرورية وشؤونه المعاشية فى حياته، ولهذا السراج دوره فى ارشادنا إلى مسيرتنا القادمة. والسؤال الذى يطرح نفسه هنا: هل لهذه الالهامات الفطرية أن تساعدنا بشأن ما نحن بصدده، أى نهاية العالم بالحرب وسفك الدماء والظلم والجور أو قيام حكومة العدل والسلام والأمن أم لا؟ الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۴۵ الجواب بالايجاب عن هذا السؤال؛ فهنالك قرينتان مهمتان يمكنهما ارشادنا إلى هذه الحقيقة:

۱- حبّ العدل والسلام

هنالك حبّ للعدل والسلام كامن فى عمق روح كلّ إنسان؛ فالجميع يتلذذ بالعدل والسلام؛ والكلّ يسعى إلى عالم يسوده هذان الركنان؛ رغم كلّ الخلافات السائدة بين الشعوب من حيث اسلوب التفكير والسن والآداب والعادات والتقاليد والمدارس والمذاهب والنزعات والرغبات؛ فالجميع مغرم بالعدل والسلام دون استثناء، ولا أظن هناك دليلًا أعظم من كون القضية فطرية؛ فالمفروغ منه أنّ شمولية وعمومية المتطلبات دلالة على فطريتها. فهل هذا عطش كاذب؟ أم أنّه حاجة حقيقية تهتدى إليها الفطره بمعونة العقل، ليؤكد ضرورتها الملحة؟ (ينبغى التأمل). أفلا يدلّ عطشنا الدائمى على وجود الماء فى الطبيعة، ولو لم يكن للماء وجود خارجى فهل من وجود فى باطننا للعطش والرغبة فيه؟ إننا لنصرخ، ونتأوه، وتتعالى أصواتنا فى طلب العدل والسلام؛ وهذا دليل على تحقق هذه الرغبة فى خاتمة المطاف وتطبيقها فى العالم. ليس هنالك أصلًا من مفهوم للفطرة الكاذبة، ذلك لأننا نعلم أنّ الخلق وعالم الطبيعة وحدة واحدة متصلة، وليست مركبة من سلسلة موجودات منفصلة عن بعضها البعض الآخر. الجميع بمنزلة شجرة عظيمة امتدت أغصانها العملاقة لأنحاء الوجود، الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۴۶ وربّما كانت هنالك مسافة تقدر بملايين السنين الضوئية بين غصنين من أغصانها أو حتّى بين بذورها، إلّاأنّ هذه المسافة ليست دليلًا على انفصالها وتفككها، بل تعد من خصائص سعتها وعظمتها. إنّ كلّ جزء فى هذه الوحدة العظيمة دليل على الكلّ، وكلّ فرع مرتبط بالآخر، وردود أفعالها مرتبطة مع بعضها؛ وكلّ واحدة قرينة على وجود الاخرى، والجميع يسقى من جذر واحد. وعلى هذا الأساس فإن «كلّ عشق أصيل وفطرى يحكى عن وجود معشوق فى الخارج وأنّه جذبة واندفاع نحوه». و «العشق» الذى لا مكان لمعشوقه سوى فى عالم الرؤيا هو «عشق مزيف»؛ وليس للزيف من مكان فى عالم الطبيعة؛ والانحراف عن مسار الخلق فقط من شأنه استبدال الموجود المزيف بواقع أصيل. (ينبغى التأمل). على أيّة حال فإن فطرة الإنسان تنادى بوضوح أنّ العدل والسلام سيعم العالم فى نهاية المطاف وينهار الظلم والجور، فهذه حاجة إنسانية مطلقة.

۲- الانتظار المطلق للمنقذ

يبدو أنّ الجميع متفق على أنّ كافة شعوب العالم تنتظر زعيماً ثورياً عظيماً اصطلحت عليه باسم معين، إلّاأنّهم يتفقون جميعاً على صفاته الكلية ومبادئ ثورته. وبناءً على ما تقدّم فإنّ قضية الإيمان بظهور المنقذ والمصلح المطلق الذى يعالج أنين البشرية ويضع حدّاً لمعاناتها لا يقتصر على المسلمين أو بعض المذاهب والمدارس الشرقية؛ بل تفيد «الوثائق والأدلة» أنّ هذه الفكرة قديمة ومتأصلة لدى

جميع شعوب الشرق والغرب، وإن تأكدت هذه القضية لدى بعض الأديان كالديانة الإسلامية. وهذا دليل آخر الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۴۷ وشهادة حية على كون هذه المسألة فطرية. ونشير هنا بصورة مقتضبة إلى نماذج هذا الاعتقاد لدى الامم والشعوب من أجل غايتين؛ الاولى: الالتفات إلى عمومية هذه المسألة، والاخرى: الالتفات إلى المبادئ المشتركة بشأن مشاريع ذلك المصلح الكبير لدى جميع تلك الأقوام. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۴۹

الشعوب والمصلح العظيم

مشروع المصلح فى كتب الزرادشت:

۱- ورد فى كتاب «زند» بعد الصراع الأبدى بين الأخيار والأشرار: «آنذاك يكون النصر للاخيار، ويقضون على الأشرار ... وما أن يتغلب الأخيار حتّى تتحقق السعادة فى العالم وينعم بنو آدم بالخير والرفاه». ۲- روى «جاماسب» فى رسالة سفره عن زرادشت أنّه قال: «يخرج رجل من أرض تازيان ... رجل عظيم الرأس والبدن وطويل الساق ويتجه إلى ايران بجيشه الكبير ودين جده فيملأ الأرض عدلًا. نماذج هذا الاعتقاد فى كتب الهند والبراهمة». ۱- جاء فى أحد الكتب الهندية «وشن جک»: «ستعود الدنيا آخر الأمر إلى رجل يحب اللّه ومن خاصة عباده. واسمه مبارک وميمون»! ۲- كما جاء فى كتاب آخر اسمه «ديده»: «سيظهر آخر الزمان بعد خراب الدنيا ملک هو إمام الخلق. واسمه الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۵۰ منصور يستولى على جميع العالم ويلحقه بدينه». ۳- وورد فى أحد كتب البراهمة «دداتک» وهو من الكتب المقدسة: ... «سيظهر رجل الحق ويسيطر على مشرق العالم ومغربه ويهدى جميع الخلائق». ۴- وجاء فى كتب الهنود «باتيكل»: «إن انتهى النهار وتجددت الدنيا القديمة وأصبحت حية وظهر صاحب الملک؛ أحد أبناء إمامى العالم أحدهما ناموس آخر الزمان، والآخر يدعى بشن واسم صاحب الملک «المرشد»، هو الملک حقّاً والخليفة الذى يلى الحكومة وله معجزات كثيرة». ۵- وورد فى كتاب «باسک» من كتب الهنود: «تؤول الدنيا إلى ملک عادل فى آخر الزمان هو إمام الملائكة والجن والانس؛ والحقّ معه، ويستخرج ما فى البحار والجبال وينبئ عن السماء والأرض، ولم يرد الدنيا أعظم منه».

قبسات من كتب العهد القديم (التوراة وملحقاتها):

۱- جاء فى كتاب «مزامير داود» المزمور ۳۷: «... لأنه سينقطع الأشرار، وسيرث المتوكلون على اللّه الأرض، سوف لن يكون هناک شريراً بعد مدة قليلة، ستتأمل مكانه وليس فيه، أما الحكماء (الصالحون) فسيرثون الأرض». ۲- كما ورد فى المزمور المذكور الجملة ۲۲: «سيرث الأرض مباركو الرب وسينقطع ملعونوه». الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۵۱ ۳- وجاء فى الجملة ۲۹ من المزمور السابق: «سيرث الصديقون الأرض ويسكنون فيها إلى الأبد». ۴- وورد فى الفصل السابع من كتاب النبى «حبقوق»: «... وإن تأخر، فانتظره. لأنه سيأتى وسيتوقف بل سيجمع حوله جميع الامم ويعدّهم جميعاً لنفسه». ۵- ونقرأ فى كتاب «النبى أشعياى» الفصل ۱۱ فى بحث كله تشبيه: «وستظهر نبتة من جذع يسى «۱» وينتصب فرع من فروعها. سيحكم الذليلون بالعدل والقسط. فالعدالة محور الحكم. وستعيش الشاة إلى جانب الذئب ... والطفل الصغير سيكون الراعى ... وسوف لن يكون هنالک فساد وضرر فى جميع أرضى المقدسة ... لأن الأرض ستمتلئ من علم اللّه، كالمياه التى تملأ البحار».

العلامات فى كتب العهد الجديد (الاناجيل وملحقاتها):

۱- جاء فى الفصل ۲۴ من انجيل «متى»: «حيث يأتى البرق من المشرق ويظهر فى المغرب، هكذا سيكون قدوم ابن الإنسان ... سيرون ابن الإنسان كيف سيقف بقدرته وجلال عظمته ... الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۵۲ وسيبعث بملائكته (أصحابه)

وسیجمع هؤلاء أولیاءَهم». ۲- وورد فی الفصل الثانی عشر من انجیل «لوقا»: «اعقدوا أحزمتکم وأضیئوا مصابیحکم وکونوا کمن ینتظر سیّده، حتّی تفتحوا له الباب متی جاء ودق بابکم». عقیدة الصینیین والمصریین وأمثالهم بهذا الشأن. ۱- جاء فی ص ۴۷ من کتاب «علامات الظهور» (تدوین أحد أصدقاء صادق هدایت): «إنّ القسم الأعظم من المتون البهلویة المترجمة لدی «صادق» بشأن الظهور وعلامات الظهور، والواقع لو التفتنا إلی جمیع المتون لدیه لقلنا: لکافة هذه المتون صبغة دینیة. ... موضوع الظهور وعلامات الظهور موضوع یحظی بأهمیة خاصة لدی جمیع المذاهب العالمیة ... حسب قول «صادق»: بغض النظر عن العقیدة والإیمان التی تعد أساس هذه الأمنیة فإن کلّ فرد حریص علی مصیر البشریة وینشد تکاملها المعنوی، حین یصاب بالیأس من کلّ شیء ویری البشریة غافلة وتتجه نحو الفساد والانحطاط وتتمرد علی اللَّه ولا تمتثل أوامره رغم کلّ هذا التطور الفکری والعلمی المدهش، فإنّه یتوجه إلی اللَّه بوحی من فطرته الذاتیة ویسأله رفع الظلم والجور والفساد. ومن هنا فقد عاش العباد علی مرّ العصور والدهور انتظار المصلح العالمی ولا- تقتصر هذه الرغبة علی اتباع الدیانات الکبری کالزرادشتیة والیهودیة والمسیحیة والإسلامیة؛ بل وردت فی الکتب القدیمة للصینیین وعقائد الهنود، والبلدان الاسکندنافیة، حتّی لدی قدماء المصریین، بل حتّی أهل المکسیک وأمثال تلک الامم». الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۵۳ جدیر ذکره أنّ کتاب «زند، وهو من یسن» وسائر الکتب الزرادشتیة ومنها البابان الأخیران من رسالة جاماسب تشتمل علی النبوءة الزرادشتیة علی لسان جاماسب الحکیم ب «کشتاسب» الملک آنذاک اعتنق الزرادشتیة المتعلق بموعود آخر الزمان، ترجم من قبل صادق هدایت من البهلویة إلی الفارسیة ونشر من قبل حسن قائمیان رفیق هدایت بعنوان «علامات الظهور».

قبسات من عقائد الغرب بهذا الشأن:

۱- إنّ الاعتقاد بظهور المنقذ العظیم وفناء الظلم والجور عن الناس واقامة حکومة الحقّ والعدل لا تقتصر علی الشرقیین والمدارس الشرقیة؛ بل هو اعتقاد عام وعالمی انعکست أبعاده فی مبادئ الأقوام المختلفة، وکلّ ذلک یفید هذه الحقیقة وهی أنّ لهذه العقیدة العریقة جذور فی الفطره البشریة وفی دعوة جمیع الأنبیاء. ذکر فی کتاب «اطلالة علی الزعامة» ضمن بیان وجود انتظار ظهور منقذ عظیم لدی مختلف المجتمعات الغربیة واستفادة بعض الأفراد من هذا الانتظار العام، أسماء خمسة أفراد من الأدعیاء نهضوا من بریطانیا هم: «جیمس نایلور» و «یوحنا سوثکات» و «ریتشارد برادرز» و «جون نیکولستام» و «هنری جیمس برینس»، کما نقل عن «برنارد باربر» عالم الاجتماع الامریکی فی رسالته «نهضة المنقذ» وجود مثل هذا الاعتقاد حتّی لدی زنوج أمریکا وقال: «إنّ هذه العقیدة شائعة بین قبائل الزنوج الأمریکیین ... أنّه سیظهر یوماً ذلک الرجل ویدخلهم جنّة الأرض ... وقد أحصی التأریخ الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۵۴ الأمریکی لما قبل سنة ۱۸۹۰ أکثر من عشرین نوعاً من هذه النهضات». ذکرنا سابقاً فی بحثنا بشأن کتاب «علامات الظهور» أنّ آثار هذه العقیدة موجودة بین الشعوب الاسکندنافیة والمکسیک وأمثالهم «۱». ویتبین ممّا ذکرنا- وسائر الشواهد والقرائن التی لم نوردها رعایة للاختصار- أنّه لیس هنالک منطقة معینة لهذا الانتظار؛ فهو انتظار عام وشامل وعلی نطاق عالمی وبالتالی شاهد علی فطریة هذه العقیدة. وسنری سعة کبیرة لهذه العقیدة فی الأبحاث القادمة تحت عنوان ظهور «المهدی» فی العقائد الإسلامیة، مع کونه تشکل عقیدة أساسیة. وکما سنری کیف أسهم الإیمان بهذه الحقیقة الفطریة المؤیدة بالعقل فی طرد غیوم الیأس وسحب الاحباط عن سماء روح الإنسان، وجند طاقاته وأعده لمستقبل مشرق وزاهر، لتکون القوی أعظم استعداداً، والأفکار أکبر یقظة، والاستعدادات أشمل، والنهضات أسرع، والعشق أعمق، وکیف مهد السبیل لمجتمع إنسانی بمعنی الکلمة؛ المجتمع الذی تذوب فیه مفردات الظلم فتنطفیء جذوة ناره، والتمییز العنصری وما إلی ذلک من المصائب. الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۵۵

النهضة العالمیة

نهضة أم إصلاحات تدريجية

كان البحث لحدّ الآن أنّ الإنسان ينظر بعين الأمل إلى مستقبل مشرق على ضوء نداء العقل وإلهام الفطرة، المستقبل الذى يفرق كثيراً عن اليوم، والذى ستنعدم فيه كافة السحب السوداء. ولكن يرد هنا هذا السؤال: هل سيتم هذا التغيير من خلال الاصلاحات التدريجية أم بواسطة النهضة والثورة؟ أساساً- وبصورة عامة- ليست هنالك فكرة واحدة لدى العلماء فى السبيل الذى تتم من خلاله الاصلاحات الاجتماعية، فالبعض يقول بالاصلاحات التدريجية. وبالمقابل هناك البعض الآخر وهم الثوريون الذين لا يرون امكانية حدوث أى تغيير جذرى فى أوضاع المجتمع البشرى دون النهضة. يعتقد هؤلاء أنّ التغيير الذى يصيب الطبيعة إنما يقوم على أساس قفزة ونهضة، ولا جدوى من التغييرات التدريجية «الكمية» والتى تتخذ صيغة «كيفية» وتنقلب ضدها لأدنى نهضة. وقد أورد أصحاب هذه الفكرة وفى كافة التغييرات الاجتماعية عدة دوافع وعناصر فى كيفية النهضة وتغيير الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۵۸ المجتمعات، تفتقر جميعها للدليل، ولا تنطبق على القضايا التأريخية والشواهد العينية، مع ذلك لا يمكن انكار فاعلية هذه الفكرة فى عدة ميادين. توضيح ذلك: الذى يبدو أقرب إلى الواقع أنّ درجات الفساد فى المجتمعات متفاوتة؛ فالموضع الذى لم يستشر فيه الفساد، يمكن للإصلاحات التدريجية أن تكون أساس التغيير فيه. بينما لا جدوى من التغيير فى المواضع التى تتسع فيها رقعة الفساد سوى من خلال النهضة الشاملة ليمكنها التغلب على الارباكات. وكأن الأمر أشبه ببناء عظيم يراد ترميمه بالتعمير التدريجي واعادته إلى سابق جماله؛ أما حين يتحطم البناء من الأساس وتشرف اسسه على التآكل، فليس هنالك من سبيل سوى هدمه من الأساس واعادة بنائه. ولدينا عدة شواهد على صحّة هذا الاعتقاد: ۱- توضع الاصلاحات التدريجية دائماً على تلك الاسس القديمة ويتوقف تأثيرها على سلامة الاسس، وبعبارة اخرى فإنّ النماذج والضوابط فى «الإصلاحات» هى تلك النماذج والضوابط القديمة، وهى مجدية فى المواضع التى تكون فيها النماذج سالمة، وإلّا ليست هنالك من ثمرة، ذلك أنّ الدار خاوية من الأساس. وهنا ينبغى البحث عن نماذج جديدة والتعامل مجدداً مع القضايا الأساسية باتجاه التغيير. ۲- غالباً ما تنشأ الإصلاحات التدريجية من خلال الطرق السلمية، وتعتمد عادة على «المنطق» فى أغلب المواقع، ويتوقف تأثيرها على الاستعداد الفكرى للمجتمع، وإلّا فلابدّ من اللجوء إلى الثورة على أنّها تمثل الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۵۹ منطق القوة، وإن كان للمنطق دوره البارز فى التحولات الثورية، إلّاأنّ الحرف الأوّل والأخير للقوة الثورية. فالاستعانة بالأساليب غير الثورية فى المجتمعات التى تجذر فيها الفساد، تؤدى إلى تحصن عناصر الفساد إزاء الإصلاحيين والتسلح بالوسائل المتاحة لمواجهة أسلحة الاصلاح. بالضبط كالمكروب القوى الذى يتحصن تجاه الاستعمال التدريجى للدواء ويواصل نشاطه، ولا يمكن القضاء عليه سوى بهجوم خاطف لذلك الدواء! ۳- تستحوذ العناصر الفاسدة المقتدرة المضادة للإصلاح فى المجتمعات التى تجذر فيها الفساد على كافة المراكز الحساسة فى المجتمع ويستطيع هذه العناصر احباط كلّ مشروع إصلاحى تدريجى بسهولة؛ إلّاأن تُباغت ويقضى عليها بحركة ثورية قبل أن يأخذ حذرها وتتجمهر وتتجهز! ۴- لا يمكن الابقاء على القوى الثورية والإصلاحية وديمومة فاعليتها وتحمسها لمدة طويلة، وما لم تستثمر طاقاتها فى الموقع المناسب فلربما تضيع جهودها على مرور الزمان وتفقد حيويتها؛ فتتاح الفرصة للعناصر المضادة باختراق صفوفها بالتدريج، وعليه فلابدّ من الاستفادة القصوى حين ممارسة الإصلاحات الشاملة من هذه العناصر وبالسرعة الممكنة. ۵- يشير التاريخ أيضاً إلى أنّ هذه الطائفة من المجتمعات لم تنتظم من خلال الإصلاحات التدريجية، بل تمّ إصلاحها عن طريق الثورة والنهضة. وقد اعتمد الأنبياء العظام وقادة الاصلاح الاسلوب الثورى فى مواجهتهم لمثل هذه المجتمعات، وقد استماتوا فى ميادين الجهاد بعد أن جندوا كلّ قواهم وطاقاتهم فى هذا المجال. وخير مثال على هؤلاء الثوريين الأبطال أنبياء اللّه نوح وموسى وعيسى الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۶۰ وإبراهيم وفى مقدمتهم نبى الإسلام سلام اللّه عليهم جميعاً. كما عرف بالثورية سائر العظام من الرجال والنساء الذين مارسوا مهمة الاصلاح وغيروا مسيرة مجتمعاتهم. وهذا بحدّ ذاته دليل حى على أنّ إصلاح مثل هذه المجتمعات لا يتم سوى من خلال الثورة. ويبدو الأمر أكثر وضوحاً بالنسبة لممارسة الاصلاح العام لأوضاع العالم والاطاحة بالنظام المعاصر القائم على أساس الظلم والجور

وارساء قواعـد نظام عادل خالٍ من كلّ هـذه المفاسـد. فإذا كان الأمر كـذلك فأنّى للإصـلاحات التدريجيـة أن تقوم بهذه المهمة فى ممارسـة التغييرات الشاملـة؟! هنـا لابـدّ من القول: إذا أريـد لعالمنـا المعاصـر المليىء بـالظلم والجور والفساد أن ينقـذ من هاويـة الفناء والعـدم فليس هنالـك مـن سبيـل سـوى قيـام الثـورة الشاملـة. الثـورة على جميـع المسـتويات: الثـورة على المسـتوى الفكرى والثقـافى والأخلاقى والاقتصادى والسياسـى، وفى مجال القوانين والمشاريع، وإلّا فليس هنالك سوى السـقوط فى النيران المحرقة لحرب عالمية شاملة.

الثورة المادية أم المعنوية؟

البحث الآخر الـذى يتمم البحث السابق: بالاسـتناد إلى الأدلـة العديـدة التى تبين مسـيرة الحياة البشـرية فى خاتمـة المطاف إلى العـدل وانقشاع سـحب الظلمة من سماء الحضارة البشرية، فانه يرد هذا السؤال: أنّ هذه الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۶۱ الثورة الشاملـة التى سـتنفذ هـذا المشـروع تحصـل من خلاـل تكامل القوانين الماديـة أم ينبغى أن تحقق ذلك الهـدف بالاسـتعانة بالمصادر المعنويـة؟ بعبـارة اخرى، هـل يسع هـذه الحياة أحاديـة الجانب وتكاملها تحقيق الهـدف المـذكور، أم لابـدّ من التكامل الشامل والتام بحيث يتم: إحياء القيم والمثل الإنسانية. تفعيل المسائل الأخلاقية بشكل واسع. إنعاش الإيمان والعاطفة. والسيطرة من خلال ذلك على طغيـان الحيـاة الماديـة؟ يشـير التمعن فى الجـذور الرئيسـية للبؤس والشـقاء والاربـاك الراهن إلى أن تكامل هـذا الوضع هو فى الواقع تكامـل التعاسـة، ومواصلـة هـذا الطريق سـتكون مواصلـه الازمـات. وذلـك لما يلى: إن أعـدل أساليب الحكم فى عالمنا المعاصـر هو اسلوب الحكومة الديمقراطية (حكومة الشـعب لنفسه بنفسه) والذى لا يطالعنا منها فى أغلب مناطق العالم سوى اسمها. ولو افترضنا أنّ هذا النظام طبق بمفهومه الواقعى فى كافة أنحاء العالم، فانه سـيخلف العديد من المعضـلات. توضيح ذلك: تفيد الدراسة الإجمالية أنّ فى العالم أربعـة أنواع من الحكومات هى: ۱- الحكومة الاسـتبدادية (فى صورتها الحقيقية) المراد حكومة استبداد فرد يعلم وضعه فى الماضـى والحاضـر، ويمكن القول باختصار: إنّ كلّ بؤس الحكومـة العالميـة للإمام المهـدى(عـج)، ص: ۶۲ وشـقاء وعبودية وتخلف أصاب الإنسان إنما أفرزته هـذه الحكومـة المقيتة. ۲- الحكومة الاسـتبدادية (بلباس الديمقراطية) أى تلك الحكومة الفردية المستبدة والجبارة الطاغية التى تتمشدق بالديمقراطية وتحاول محاكاتها فى انشاء الحزب والمجلس المزيف؛ الحزب والمجلس الذى تعد قائمة أعضائه سـلفاً وهكـذا سائر العناصـر الـذين يؤهلون للقيام بوظائفهم من خلال ظهورهم على مسـرح الأحداث. طبعاً يجلسون معاً خلف الكـواليس يشـربون ويـأكلون ويمرحـون ويمزحـون، وحين يظهرون يتخـذ أحـدهم موقف المعـارض والآـخر الموافق، هـذا من التيـار المحافظ وذلك من التيار المعتـدل ويفتعلون بعض الأزمات فيما بينهم بغيـة خداع العوام الذين لم تعد تنطلى عليهم هذه الألاعيب، بل يلجـأون أحيانـاً إلى بعض الحركـات العنيفـة لإكمـال الخطـة. لم يكن لهـذه الحكومـة من وجود فى التاريـخ الماضـى وذلـك لبساطة ووضوح الناس والحكّام وربّما لم يكن يسع عقولهم عرض الاستبداد فى إطار الديمقراطية. فقد ظهرت هذه الحكومة فى عصرنا؛ عصر النفـاق وتغيير المواقف والثمرة المرة التى ترتـدى حلـة اليوم بينما قعود نواتها إلى الماضـى، ولا هم لهـذه الحكومـة سوى تأخير عملية انقاذ الشعوب ممّا هى عليه وتحريرها من قيودها. ۳- الحكومة الاستبدادية الجماعية (دكتاتورية البرولتاريا) لم تكن هذه الحكومة بهذا المضـمون فى الماضـى وهى وليـدة عصـر اتساع حياة المكننة وتقتصـر على البلدان الشـيوعية التى تتزعم فيها البرولتاريا (طبقة العمال) الحكومـة العالميـة للإمام المهدى(عج)، ص: ۶۳ دفـة الحكم، وتحقق تطلعاتهـا فى كافـة المجالاـت تحت رايـة الماركسـية. ورغم أنّ الماركسيين هم الذين اختاروا عنوان دكتاتورية البرولتاريا كشعار لحكومتهم، لكن وبغض النظر عن المفاهيم الكامنة فى هذا العنوان لابـدّ من الوقوف على هـذه القضيـة وهى: هل طبقة البرولتاريا تحكم هذه المجتمعات أم أعضاء اللجنة المركزية للحزب والأمين العام لهـذا الحزب؛ الحزب الذى يفتقر إلى الشـمولية وتغيب فيه الانتخابات الحرة وليس فيه سـمة من ديمقراطية، أما اسـتبداد قادة الحكومة واللجوء إلى العنف ومصادرة حريـة الآخرين، فليست بالامور الخافيـة على الآخرين. ولو تأملنا التاريخ وما حفل به من حكّام مستبدين

وطغاة، وحقب عانى فيها الناس من صنوف العذاب لتقدم كلّ من إستالين وخروشوف وماو قافلة أولئك الحكّام. صحيح أنّ زعماء هذه المجتمعات خطوا خطوات مؤثرة باتجاه توزيع الثروات، وصحيح أنّهم وضعوا حدّاً لعصور الأثرياء الخرافية، ولكن هل يمكن غض الطرف عن هذه الحقيقة الناصعة وهى أنّهم ينفقون المليارات من ثروات بلدانهم لترسيخ دعائم حكومتهم، ويفعلون دون وازع كلّ ما يروق لهم، ويسلبون شعوبهم حقّ ابداء الرأى والنقد والتظاهر والاحتجاج وكافة أنواع الاستجواب. ۴- الحكومة الديمقراطية (فى صورتها الحقيقية) يمكن ايجاز مفهوم هذه الحكومة التى تمثل أرقى أنواع الحكومات المعاصرة والتى يتباهى بها أغلب القادة والزعماء، فى عبارة قصيرة وهى: يبدو أنّ الشعب بجميع طبقاته يستطيع ظاهراً فى ظلّ هذه الحكومة أن يتقدم بكلّ حرية إلى الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۶۴ صناديق الاقتراع ويصوت لصالح ممثليه، فيفوض مصيره ومستقبله لعدة سنوات- وفق ضوابط معينة- لهؤلاء الأفراد. ولهؤلاء الأفراد من خلال تبادل وجهات النظر والمشورة أن يسنوا بعض القوانين التى يعتقدون أنها تتكفل بحفظ مصالح الآخرين. وقد ينتخب رئيس السلطة التنفيذية من قبل هؤلاء الممثلين أحياناً، وأحياناً اخرى ينتخب مباشرة من قبل الشعب ليكون رئيساً للوزراء أو رئيساً للجمهورية.

مثالب الحكومة الديمقراطية:

رغم الامتيازات التى تطبع هذه الحكومة، إلّاأنّ التعمق فيها والتأمل يجعلنا نقف على صورتها المرعبة والتى تناقض صورتها الظاهرية الجميلة، لما يلى: ۱- الاستغلال الطبقى- الحصيله الاولى لهذه الحكومة، أى حكومة «الأكثرية»- بالنظر إلى أنّ الإقلية ليست عدداً قليلًا من الأفراد على الدوام وزهيدة بحيث يمكن اهمالها فى الحسابات الفئوية- أنها تسمح بالاستغلال الجماعى ويجيز لواحد وخمسين بالمئة من شعوب العالم فرض أفكارهم وتطلعاتهم على تسعة وأربعين بالمئة من سائر الناس؛ حيث تغيب مصالح وحقوق شريحة واسعة من الشعب بغية حفظ منافع شريحة اخرى تمثل الأكثرية وقد لا تزيد سوى بنسبة اثنين أو واحد بالمئة على الأقلية. وهذه فى الواقع ضربة مهلكة إلى العدالة والحرية فى عالم البشرية والتى تتم فى ظلّ أرقى أشكال الحكومة. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۶۵ ۲- الأقلية فى صيغة الأكثرية- الأسوأ من ذلك ما فى هذه الحكومة التى تلبس فيها «الأقليات» ثوب «الأكثرية» وتفرض عليها آراءها؛ فأصحاب «الثراء» و «الاقتدار» إنّما يغسلون أدمغة الأكثرية ويمهدون الأجواء أمام تحقيق أطماعهم ومآربهم ليأتوا بحكومة لا تغطى سوى متطلبات ومصالح الأقلية المستكثرة من خلال سيطرتهم على وسائل الارتباطات وإعدادهم لبعض الفئات وتغذيتهم بأهدافهم ومشاريعهم وخططهم واستحواذهم على وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والصحافية. ومن هنا فليس هنالك ما يدعو إلى الدهشة أن نرى فى البلدان التى تدار من قبل هكذا حكومة، أن تكون الحكومات «عادة» ممثلة وراعية لمصالح البورجوازيين وكبار الرأسماليين (رغم وجود الانتخابات الحرة ظاهراً والمشاركة العامة للناس فى التصويت). طبعاً إن استطاعت الأكثرية أن تُنحّى هذه الفئة بادئ الأمر عن السلطة ومن ثمّ تجرى الانتخابات، فربّما تتمكن الأكثرية الحقيقية من زعامة الشعب، إلّاأنّ هذا العمل يبدو محالًا ينبثق من الدور والتسلسل كما يصطلح على ذلك فى الدين. ولو استطعنا توجيه حكومة الأكثرية الواقعية للأقلية بنحو معين، فمن المسلم أنّه ليس هنالك من توجيه لحكومة الأقلية المستغلة للأكثرية المستغلة. ۳- عدم التساوى فى ظروف المساواة- لكلّ فرد فى أية ظروف رأى فى ظلّ هذا النظام الحكومى، أى: هناك مساواة تامة بين العالم الفاضل والفرد الامّى الجاهل وكذلك بين السياسى الحاذق والرصين والوطنى والفرد الساذج والخام، والإنسان الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۶۶ العفيف الطاهر مع السارق الجانى ... وهذا ظلم فاحش، ذلك لأن أحدهما يعدل نظيره ألف مرة فى صنع المستقبل وتقرير المصير. صحيح إننا إن أردنا أن نميز الأفراد نصطدم بفقدان المعيار والضابطة الواضحة، ولكن مهما كان الأمر فهذا نوع من العجز تختزنه طبيعة الحكومة الديمقراطية المادية الغربية. ۴- المتابعة بدل الزعامة- يرى الحكّام ووكلاء المجلس فى هذا النظام أنفسهم ملزمين برعاية متطلبات الأكثرية (دون أى قيد أو شرط)، ذلك لحاجتهم إليهم فى الحاضر والمستقبل، وإلّا تعرضت مواقعهم للخطر. وعليه فالزعامة فى هذا

النوع من الحكومـة تتخلى عن موقعهـا للمتابعـة، فلا يقتصـر الأمر على المتابعـة للفساد والظلم والانحراف والانحطاط الاجتماعى بكافة اشكاله والـذى يحظى برغبة الأكثرية، بل تتشدد وتسـتفحل كلّ هذه الأمراض. وعلى هذا الضوء فلا غرابة أن نسـمع على سبيل المثال بمصادقة المجلس البريطانى على «زواج المثل» ويشرعها كقانون، ذلك لأنّ لهؤلاء الأفراد ممثل أو عدة ممثلين فى البرلمان! ولك أن تتصور على هـذا الأساس مـدى بعـد هـذه الحكومـة المثالية المادية عن روح المثالية، وذلك لأنه: أوّلًا: أنّ القوانين المادية على فرض أنّها مفيـدة للضـعفاء ومدعاة للعدالة تفتقر لأية ضـمانة للتنفيذ، ذلك لأنه ليس هنالك من معنى وأهمية للعدالة فى الوسط الذى تتعين فيه كافة القيم على ضوء المعايير الماديـة بالنسـبة للأقوياء الـذين يرونها تسـتلزم إغماضـهم عن الكثير من منافعهم وامكاناتهم المادية، وعليه فالضـعفاء وحـدهم هم الـذين يتحدّثون فى هذه الأوساط عن الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۶۷ العدالة والمساواة، لا الأقوياء، أما إن كان الكلام عن القيم المعنوية فالعدالة ستكون مهمة للجميع، ذلك أنّهم ينالون بعض المثل المعنوية والفضائل وإن تعرضت بعض مصالحهم للخطر بفعل تطبيق العدالـة. والنموذج الواضح على ذلـك، المنظمـات الدوليـة الواسعة التى ظهرت عقب الحرب العالمية الثانية، فهذه المنظمات التى تعتبر من أهم المراكز الساعية لضمان السلام العالمى وينشط فيها ساسة العالم ومفكروه، ما زالت لحـدّ الآن اُلعوبـة بيد الدول الكبرى، أو لم تعد أكثر من صالة لعقد المؤتمرات والاجتماعات والتى يسـمح فيها للبلدان الصـغيرة بالتحـدّث لمـدة وجيزة. ثانياً: تفيـد الدراسات التاريخية والتجارب أنّ شـعور الإنسان بالحاجة إلى المزيد لا يلبى أبداً من خلال الطريق المادى؛ أى أنّ الإنسان لم يبلغ لحـدّ الآن مرحلـة ليقول أكتفى بهـذا المقـدار. فطلبات الإنسان ورغباته مفتوحـة، بينما تمتاز الامكانات الماديـة مهما ازدادت بالمحدوديـة، وليس من شأن هـذه الامكانات المحـدودة تلبية تلك المتطلبات غير المحدودة، وهذا «التضاد بين المتطلبـات والامكانـات» هو الـذى أفرز الحرب كونها من اللوازم الدائميـة للحياة الماديـة. لكن إن اسـتعادت المعنويات والإيمان باللَّه والالتفـات إلى القيم الإنسانيـة والأخلاقيـة والشـعور بالمسؤوليـة إزاء ذلـك المبـدأ العظيم الـذى يفوق الماديـات وعالم المادة حيويته وفعاليته، فله أن يهذب هذه الغريزة ويحد من جموحها ويضعها فى مسارها الصحيح، ويجلب الأمن والسلام بدلًا من الفوضى والحرب. وبعبـارة اخرى فـإنّه يمكن اشـباع غريزة طلب المزيـد عن طريق الامور المعنويـة التى لا تعرف أيـة محدوديـة، آنـذاك سـيزول ذلك الحكومــة العالميــة للإمــام المهــدى(عــج)، ص: ۶۸ التضــاد الــذى يعــد العنصــر الرئيســى للحرب والظلـم. الحكومـة العالميـة للإمـام المهدى(عج)، ص: ۶۹

الاستعدادات الضرورية للحكومة العالمية

الاستعدادات العامة

اشارة

لابـدّ أن نـذعن بأنّ بلوغ تلك المرحلـة التأريخية التى: يجتمع فيها كافة الناس تحت راية واحدة، وتزول فيها الاسـلحة الفتاكة، وتنعدم فيها الطبقات المسـتعمرة (بالفتح) والمستعمرة (بالكسر)، وتنتهى فيها النزاعات والألاعيب السياسية والعسكرية للدول العظمى ويتخلص العالم من اسم «العظمى» وكابوس قـدرتها الجهنمية، وتتحول فيها المنافسة الاقتصاديه البغيضة والهدامة إلى تعاون وتكاتف بشـرى من أجل حياة أجمل ومعيشـة أرغـد، ... كلّ هـذه الامور تبدو مبكرة وتتطلب اسـتعداداً عاماً، مهما كنا متفائلين ونشـعر بالأمل. لكن بالنظر إلى التطورات والتغيرات التى تحدث بسـرعة فى العصـر الأخير فلا ينبغى أن نراها بعيدة أيضاً لتصبح رؤيا خيالية. على أيّة حال هنالك أربعة استعدادات ينبغى توفرها لقيام هذه الحكومة.

۱- الاستعداد الفكرى والثقافى

أى، ينبغى أن يبلغ المستوى الفكرى للناس درجة تجعلهم يـدركون بأن قضـية «العرق» أو «المناطق الجغرافية المختلفة» ليست بالامور الجـديرة بالاهتمـام فى حيـاتهم، وليس للخلافـات على أسـاس اللون واللغـة والأرض أن تفرق بين أبناء البشـر، ويجب أن تموت وإلى الأبـد العصبيات القبليـة والفئويـة، ولابـدّ من طرح الفكرة المقيتـة القائلـة بالجنس الأفضل، وليس لهذه الحدود المصـطنعة والأسـلاك الشائكـة والجـدران الأثريـة كجـدار الصـين أن تبعـد النـاس بعضـهم عن البعض الآخر، بل ينبغى النظر إليها كضـياء الشـمس والنسـيم المنعش وسـحب السـماء وسـائر النعم التى لا تعرف من معنى لهـذه الحـدود والأعراق وتغـذى الجميع، وأن يعتبروا العالم بأسـره دولة صغيرة. ولو أمعنا النظر لرأينا أنّ هـذا التفكير قـد تبلور وتكامل لدى مفكرى العالم ومثقفيه، بل أبعد من ذلك فقد جرى الحديث عن اللغة العالمية الواحدة، وقد اقترح لذلك لغة معينة توحد الجميع وقد طبعت عدة كتب بهذه اللغة.

۲- الاستعداد الاجتماعى

لابـدّ أن يمتعظ الناس من الظلم والجور والأنظمـة السائـدة، ويشـعروا بمرارة هـذه الحياة الماديـة، واليأس التام من أنّ مثل هـذه الحياة الاحاديـة النزعـة يمكنها فى المسـتقبل حل المشاكل القائمـة. ينبغى أن يدرك العالم أنّ البشارة فى القرن ۱۸ و ۱۹ م بشأن المستقبل الحكومـة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۷۳ الزاهر للحضارة البشـرية فى ظلّ التطور الآلى، لم تكن فى الواقع سوى حلم أو سـراب بقيعـة يحسبه الظمآن ماء. فقـد اتسـعت رقعـة الارباكات الماديه وعدم الأمن والاسـتقرار، إلى جانب غياب حالة الرفاه والرخاء. وليس فقـط لم تزُل القوانين التى تبـدو رصـينة والظلم والاسـتعمار والاسـتغلال والتفاوت الطبقى الفاحش فحسب، بل اسـتفحل الفساد السابق ليتخـذ أشـكالًا وانماطاً مرعبة. إنّ الوقوف على عمق خطورة الوضع الموجود إنما تسـتلزم بادئ الأمر حالة التفكير، ثمّ الترديد، وبالتالى اليـأس من الوضع العالمى القائم والاسـتعداد للنهضـة الشاملـة على كافـة الأصـعدة وعلى ضوء القيم الجديـدة. فليس هنالك من سبيل لبلوغ تلك المرحلة دون هذا الأمر.

۳- الاستعدادات التقنية

خلافـاً لما يراه البعض من أن بلوغ مرحلـة التكامل الاجتماعى وعالم مفعم بالأمن والعـدل والسـلام يقترن ضـرورة بالقضاء على التقنية المعاصرة، بل الواقع أنّ هذه التكنولوجيا المتطورة ليس فقط لا تحول دون قيام حكومة العدل العالمية فحسب، بل ربّما يستحيل بدونها تحقيق تلك الحكومـة. فلابـدّ من وجود سلسـلة من الأمكانات والوسائل الغاية فى التطور بغية إيجاد مثل ذلك النظام العالمى ومن ثمّ السيطرة عليه، والتمكن من الطوف فى أرجائه خلال فترة زمنية قياسية وايصال المعلومات إلى مختلف مناطقه البعيدة. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۷۴ فلو عادت الحياة الصناعية لوضعها القديم لتطلب ايصال رسالة من منطقة معينة فى هذا العالم إلى اخرى مدّة سنة، فكيف يمكن إرساء قواعد الحكومة العالمية وبسط العدل والقسط فى كافة أرجائها؟ أم كيف يمكن تحقيق هذا الهدف أن تطلب القضاء على حفنة من الاشرار- الذين يفترض وجودهم حتّى فى مثل هذه الحكومة- مدة زمانية طويلة لكى تقف الحكومة على أوضاعهم والمبادرة إلى القضاء عليهم؟ وزبـدة الكلام فإنّ مثل هـذه الحكومـة وبغيـة اشاعة الأمن وبسط العدل فى ربوع العالم تحتاج إلى العلم بكافـة المناطق والسـيطرة التامة لتتمكن من تربية المجتمع المتأهب للاصـلاح، إلى جانب الإبقاء على وعيه وحيويته، والتجهز لكـلّ فرد يحـاول المسـاس بنظـام تلـك الحكومـة. ولعـلّ من يفكر عكس ذلـك كأنه لا يفكر فى مفهوم الحكومـة العالميـة ويقارنها بالحكومات المتداولـة المحـدودة. ويبـدو أنّ العالم الـذى يريـد أن يبلغ هـذه المرحلـة ينبغى أن تتسع فيها رقعـة وسائل التربية والتعليم وتتصف بالشـمولية بحيث تسـتند أغلب مشاريعهـا إلى التثقيف الـذاتى، وهـذا بـدوره يتطلب مراكز ثقافيـة فاعلـة ووسائل ارتباط عامة وصـحافة وكتب ضـخمة والتى لا- تتيسـر جميعـاً دون وفرة الآلاـت الصـناعية المتطورة. أجل، يمكن قيام مثل هـذا النظام دون الوسائل الصـناعية المتطـورة إن كـانت هنـاك معجزة فى هـذه العمليـة، ولكن هـل تتم إدارة شـؤون المجتمع البشـرى على ضوء المعجزة؟ إنّ

المعجزة عبارة عن استثناء منطقی فی النظام الجاری للطبیعة بغیة الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۷۵ إثبات حقانیة دین سماوی، ولیست لإدارة امور الامّة، وعلیه فلابدّ أن تتم هذه الادارة وفق القوانین الطبیعیة. سنتحدث فی المباحث القادمة أیضاً عن هذا الأمر. الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۷۷

الانتظار

مفهوم الانتظار:

یطلق «الانتظار» أو «التطلع إلی المستقبل» علی الإنسان الذی یسأم الوضع القائم ویسعی إلی وضع أفضل. علی سبیل المثال، المریض الذی ینتظر الشفاء أو الأب الذی ینتظر قدوم ولده من السفر، إنّما یأنان من المرض والفراق، ویسعیان إلی نیل وضع أحسن. وکما أنّ التاجر الذی یعیش الامتعاظ من السوق المتقلبة ویترقب جلاء الأزمة الاقتصادیة، ینطوی علی هاتین الحالتین: «عدم التکیف مع الوضع القائم» و «السعی لوضع أحسن». وعلیه فإنّ مسألة انتظار حکومة الحقّ والعدل وقیام المصلح العالمی «المهدی» تترکب فی الواقع من عنصرین؛ عنصر «النفی» وعنصر «الاثبات». وعنصر النفی هو عدم التکیف مع الوضع الموجود، وعنصر الاثبات هو السعی إلی الوضع الأفضل.

الانتظار فی عمق الفطرة الإنسانیة:

خلافاً لاعتقاد البعض بأنّ المحور الرئیسی لانتظار ظهور المصلح الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۷۸ المطلق یکمن فی الاحباطات والارباکات علی مستوی الأفکار، فإن عشق هذا الأمر إنّما یرتبط بأعماق الإنسان؛ بصورة مرکزة أحیاناً وخفیفة أحیاناً اخری، بعبارة اخری أنّ الإنسان یتعامل بطریقین- العقل والعاطفة- مع هذه المسألة، ویسمع نغمة هذا الظهور عن طریق لسانین هما «العقل والفطرة». وبعبارة أوضح فإنّ الإیمان بظهور المصلح العالمی جانب من «عشق المعرفة» و «عشق الجمال» و «عشق الخیر والفضیلة» (ثلاثة أبعاد من أبعاد الروح الإنسانیة الأربعة)، حیث تؤول صنوف العشق هذه إلی الذبول والموت دون ذلک الظهور. ولعلّ هذا الکلام یحتاج إلی توضیح أکثر، ذلک إننا نعلم أنّ «عشق التکامل» شعلة خالدة تضییء أنحاء وجود الإنسان، فهو یرید العلم بالمزید، ویری المزید من الجمال، وینفتح علی الکثیر من الفضائل، والخلاصة، یسعی لتوفیر کلّ ما یقوده إلی الرقی والازدهار. لا یمکن ربط ظهور هذه الدوافع بالعوامل الاجتماعیة والنفسیة. ورغم أنّ لهذه العوامل دوراً مهماً فی إضعافها أو إثارتها، غیر أنّ وجودها هو جزء من الأبعاد الأصلیة لروح الإنسان وترکیبته النفسیة، بدلیل عدم افتقار أیة أمّة لمثل هذه الدوافع. وزبدة القول فإن حبّ الإنسان للرقی والتکامل وانفتاحه علی العلم والمعرفة والجمال والخیر والفضیلة والعدل تمثل رغبة أصیلة ودائمیة خالدة، وانتظاره لظهور مصلح عالمی مطلق هو ذروة هذه الرغبة والحبّ. «ینبغی التأمل فی هذا الموضوع!». کیف لا یکون للإنسان مثل هذا الانتظار وشعلة حبّ التکامل تتوقد فی جمیع أحشائه! وهل یتکامل المجتمع البشری دون ذلک! الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۷۹ وبناءً علی هذا فإنّ هذا الشعور یساور باطن کلّ من لم یعِش حالة الاحباط والانکسار فی حیاته ... هذا من جانب. ومن جانب آخر، کما تساعد الإنسان أعضاؤه فی السمو والتکامل، ولا یسعنا أن نظفر بعضو یغیب دوره بصورة مطلقة فی هذه الحرکة التکاملیة، فإن خصائص الإنسان النفسیة کذلک؛ أی لکلّ منها دور مهم فی تقدّم مشاریعه الأصیلة. مثلًا «الخوف من العوامل الخطیرة» الکامن فی وجود کلّ إنسان درع یحفظه من تلک المخاطر. و «الغضب» الذی یستشعره الإنسان حین یری خطراً یهدد مصالحه، وسیله لمضاعفة القدره الدفاعیة وتعبئة کافة طاقاته البدنیة والروحیة بغیة إنقاذ مصالحه من الخطر. وعلیه فإن حبّ التکامل وحبّ السلام والعدل وسیلة لبلوغ هذا الهدف العظیم، وبمثابة ماکنة قویة تحرک عجلات وجود الإنسان فی هذا الطریق، وتساعده فی الوصول إلی عالم ملیئ بالعدل

والسـلام. من جانب آخر فإنّه لا يمكن للأحاسيس والأجهزة فى جسم الإنسان وروحه أن لا تنسجم مع عالم الوجود؛ لأن عالم الوجود برمته وحـدة واحـدة متصـلة، ولا يمكن لوجودنا أن ينفصل عن سائر العالم. ويمكننا أن نسـتنتج من هـذا الاتصال أنّ كلّ حبّ وعشـق أصـيل فى جودنا دليل على وجود «معشوقه» و «هدفه» فى عالم الوجود، وهذا العشق وسـيلة تقربنا منه. أى إن عطشـنا ورغبنا بالماء فإن ذلـك دليـلٌ على وجود «المـاء»، وقـد أودع عالم الخليقـة العطش فى وجودنا. وإن ملنا للجنس الآخر فإنّ ذلك دليلٌ على وجود هـذا الجنس فى الحكومـة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۸۰ الخارج، كما أنّ عشـقنا للجمال والمعرفة دليل على وجود العشق والجمال فى عالم الوجود. ونخلص من هذا أنّ انتظار الناس للمصـلح العالمى الذى يملأ العالم بالعدل والسـلام، دليل على امكانية وعملية ذروة هـذا التكامل فى المجتمع البشـرى، فعشـقه وانتظاره فى أعماق أرواحنا وأنفسـنا. وعموميـة هـذا الاعتقاد فى كافة المذاهب والمدارس علامـة اخرى على أصالته وواقعيته؛ لأن الشـىء إن كان وليد الشـرائط المعينة والمحدودة، لا يمكنه أن يحظى بهذه الشـمولية، فليسـت هنالك من شمولية سوى للقضايا الفطرية؛ وكلّ هذه الامور دليل على أنّ هذه النغمات تعزف فى روح الإنسان عن طريق لسان عاطفته وفطرته فى أنّ الأمر سيؤول إلى إرساء العدل والسلام فى حكومة العدل العالمية من جانب المصلح العالمى.

فلسفة الانتظار:

لعلّ هـذا السؤال يطرح نفسه: ما النتيجـة المتوخاة اليوم من الحديث عن مسـتقبل العالم البشـرى؟ لدينا اليوم آلاف المشاكل والأزمات وينبغى لنا التفكير فى معالجتها والتغلب عليها، فما علاقتنا بالمسـتقبل؟ إنّ الغد سـيأتى خيراً كان أم شراً، ومن سيبقى يشهد ذلك، ومن يموت فـاللّه يرحمه! على كـلّ حـال هـذه قضـية بعيـدة وليس لهـا من آثـار ايجابيـة على حياتنا الراهنـة! نرى أنّ هـذه كلمات من ينظر بسذاجـة وسـطحية للأحـداث، ويتصور الحكومـة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۸۱ انفصـال اليوم عن الأمس والغـد؛ ويعتقـد بأن العالم يتركـب من وحـدات متباعدة ومتناثرة ومتفرقة. ولكن بالنظر إلى أنّ جذور «أحداث اليوم» تمتد إلى الأمس، وأنّ علينا أن نصـنع الغـد من اليوم، وأنّ للالتفات إلى مسـتقبل «مظلم» أو «مشـرق» انعكاس آنى على حياتنا المعاصـرة ومواقفنا إزاء الحوادث، فإنّه تتضـح ضرورة دراسـتنا للماضـى والمسـتقبل من أجل اليوم والوقت الحاضـر، وسنرى عمّا قريب فاعلية هذا الانتظار العظيم. إلّا أنّ العجيب فى الأمر هو أنّ بعض الكتاب لم يتنكروا للجانب الايجابى لهذه القضـية فحسب، بل صـرّحوا بأنّ لمثل هذا الانتظار جوانبه السـلبية فى شلّ القـدرات الاجتماعيـة والقضاء عليها! والأعجب من ذلك ما يراه البعض الآخر من أنّ الإيمان بمسـتقبل مشـرق انعكاساً للحرمان الـذى تعيشه الطبقـة المسـحوقة والـذى يتخـذ عادة صـبغة دينيـة. ولكن لا يمكن انكار هذه الحقيقة فى أنّ هنالك بعض ضـيقى الافق الذين يسـعون لاسـتغلال قضـية الانتظـار، وقـد تخلـوا عن جميـع مسؤوليـاتهم بذريعـة الانتظـار، والاكتفـاء بهـا على نطـاق اللسـان! وأرى من الضرورى- لإزالة إساءة الفهم من الجانبين- أن أُطلع الاخوة القرّاء على الرسالة التى كتبتها سابقاً بشأن هذا الموضوع:

الأحكام غير المدروسة:

رغم ما يعتقـده بعض المستشـرقين بأنّ الإيمان بالمصـلح العالمى «رد فعل» لوضع المسـلمين المأساوى طيلة الحقب التاريخية المظلمة؛ ورغم الحكومـة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۸۲ تأثر بعض الباحثين الشـرقيين والمسـلمين بأفكار الغرب وإثارتهم لهذه القضية؛ حتّى أنّهم يصـرون على أنّ الإيمـان بالمهـدى عقيـدة مسـتوردة من عقائـد اليهود والنصارى، وعلى الرغم من سـعى جماعـة من علماء الاجتماع من المدرسـة الماديـة لبلورة قضـية انتظار المهـدى كـدليل على أفكارهم، فى أنّ جذور هذه العقيدة اقتصادية تهدف تخدير أفكار الطبقـة الكادحـة والمحرومـة، رغم كلّ ذلك، لابـدّ من الالتفات إلى أنّ لهـذه العقيـدة جـذوراً فطريـة راسـخة تمتد إلى أعماق عواطف الإنسـان إلى جـانب تجـذرها فى المصـادر الإسـلامية المهمـة. ولعلّ الـدراسات المقتضـبة لهؤلاء الباحثين من جانب، والرغبة بـالتوجيه المـادى لكـلّ فكر وعقيـدة دينيـة من جـانب آخر، هى التى أفرزت مثـل هـذه الأفكـار. والغريب فى الأمر أنّ بعض الباحثين

الغربيين مثل «مارغلى يوت» قد أنكر الأحاديث الإسلامية الواردة فى المهدى وقال: «كيفما فسروا هذه الأحاديث فليس هنالك من دليل مقنع فى أنّ نبى الإسلام صلى الله عليه و آله قال بضرورة وحتمية ظهور مهدى لاحياء الإسلام وتحقيق كماله؛ إلّاأنّ نيران الحروب الأهلية بين أبناء الجيل الواحد بعد وفاة النبى صلى الله عليه و آله واضطراب العالم الإسلامى إثر الاختلاف، أدّى إلى اقتباس فكرة ظهور المنقذ من اليهود أو النصارى الذين ينتظرون عودة المسيح وظهوره». ولا أدرى ما هى الكتب التى رآها «مارغلى يوت» من المصادر الإسلامية بهذا الخصوص، وكيف لم يعثر فى تفاسيرها على دليل يقنعه، الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۸۳ والحال وردت عدّة أحاديث صريحة فى مصادر الفريقين بشأن الظهور حتّى بلغت حدّ التواتر. أم كيف لا يكون لكلّ علماء الإسلام والمحققين دون استثناء (سوى النادر منهم كابن خلدون الذى أعرب عن ترديده فى أحاديث المهدى فى مقدمته التاريخية) من نقاش فى صدور هذه الأحاديث عن النبى صلى الله عليه و آله واقتصرت كلماتهم على القضايا الفرعية والجزئية، بينما لم يقتنع «مارغلى يوت»؟ ينبغى أن يجيب بنفسه عن هذا السؤال. ويقول البعض الآخر: «إننا ننظر إلى نتائج هذا الانتظار، ولا يعنينا العمل به ودوافعه، والتى تؤدى إلى احتمال المعاناة والصبر إزاء الارباكات والاستسلام إلى الظلم والجور والتهرب من المسؤولية. إننا نظر إلى هذا فى أنّ هذا الانتظار يقذف بالطبقات المحرومة فى عالم الخيال ويجعلهم يغفلون عمّا يدور من حولهم، ويدعوهم إلى الكسل والهروب من الالتزامات الاجتماعية. وبعبارة اخرى، فهو من الناحية الفردية عامل للركود والسكون، ومن الناحية الاجتماعية فهو وسيلة لإخماد حركات الشعوب ضد الاستعمار، وكيف كان فاثاره السلبية واضحة». إلّا أننا نعتقد أنّ الباحث الواعى الذى لا يريد اصدار الأحكام جزافاً، بل يرى نفسه موظفاً بالتعرف على «الدوافع والنتائج» عن قرب وعدم الاكتفاء بالأحكام التى تصدر بصورة اعتباطية. والآن دعونا نتناول بحياد دوافع الانتظار ونتائجه، لنرى هل كان عامل ظهوره الاحباطات أم سلسلة من الواقعيات الفطرية والعقلائية، وهل نتائجه بناءة وايجابية أم هدامة وسلبية؟

آثار الانتظار البناءة:

هل الإيمان بمثل هذا الظهور يجعل الإنسان غافلًا عن أوضاعه القائمة ومستسلماً لكافة الظروف والشرائط؟ أم أنّ هذه العقيدة تستبطن الدعوة إلى القيام وبناء الفرد والمجتمع؟ هل تدعو إلى الحركة أم السكون؟ هل تؤدى إلى تحمل المسؤولية أم الهروب منها؟ بالتالى هى أفيون أم منبه؟ يبدو من الضرورى الالتفات إلى نقطة مهمة قبل الاجابة عن هذه الأسئلة وهى أنّ أعظم المقررات وأسمى المفاهيم إن وقعت بأيدى أفراد ليسوا بأكفاء أو انتهازيين فلربما يمسخونها إلى درجة بحيث تعطى نتائج مخالفة لأهدافها الأصلية وتتحرك خلاف مسيرتها المرسومة، وهنالك الكثير من هذه النماذج، ومسألة الانتظار كما سنرى واحدة من هذه النماذج. على كلّ حال، وبغية التحرز من الخطأ فى الحسابات فى مثل هذه المباحث لابدّ من انتهال الماء من عينه الصافية بعيداً عن المياه الملوثة التى ربّما تفسده. ومن هنا فإننا نتجه فى بحث الانتظار صوب المتون الإسلامية الأصيلة، ونسلط الضوء على مختلف الروايات الواردة بشأن مسألة «الانتظار» لنقف على طبيعة الهدف الرئيسى. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۸۵ نسلط الضوء هنا على هذه الروايات: سئل الإمام الصادق عليه السلام عمن يقول بولاية الأئمّة وينتظر حكومتهم الحقّ ويموت على ذلك؟ قال الإمام عليه السلام: «هو بمنزلة من كان مع القائم فى فسطاطه- ثمّ سكت هنيئة- ثمّ قال: هو كمن كان مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله». وقد ورد هذا المضمون فى عدة روايات بعبارات مختلفة: ففى بعضها «بمنزلة الضارب بسيفه فى سبيل اللَّه». وفى البعض الآخر «كمن قارع مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بسيفه». وفى رواية «بمنزلة من كان قاعداً تحت لواء القائم». وفى رواية اخرى «بمنزلة المجاهد بين يدى رسول اللَّه». وفى رواية «بمنزلة من استشهد مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله». فالتشبيهات الواردة فى هذه الروايات بشأن انتظار ظهور المهدى عليه السلام عميقة المعنى وتكشف عن هذه الحقيقة وهى أنّ هنالك نوعاً من الارتباط والتشابه بين مسألة «الانتظار» و «الجهاد» ومواجهة الأعداء. «لابدّ من تأمل هذا الموضوع». كما صرّحت بعض الروايات بأن مثل هذا الانتظار يعد أعظم عبادة. حيث ورد مثل هذا

المضمون فی أحادیث النبی صلی الله علیه و آله وروایات الإمام علی علیه السلام. فقد قال صلی الله علیه و آله: الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۸۶ «أفضل أعمال امّتی انتظار الفرج من اللَّه عزّوجلّ». کما ورد عنه صلی الله علیه و آله أنّه قال: «أفضل العبادة انتظار الفرج». ویکشف هذا الحدیث عن أهمیة الانتظار، سواء الفرج بمعناه الواسع والشامل، أو مفهومه الخاصّ، أی انتظار ظهور المصلح العالمی. وتشیر کلّ هذه العبارات إلی أنّ انتظار تلک النهضة إنّما اقترن علی الدوام بجهاد واسع ومقاومة تامة. ولو استند الاعتقاد وانتظار حکومة العدل للمهدی إلی قاعدة رصینة لافرز نوعین من الأعمال العظیمة (لأن الاعتقاد السطحی قد لا یتجاوز أثره اللسان، بینما الاعتقاد العملی یقتضی دائماً الآثار العملیة). والنوعان هما: الامتناع عن کافة أشکال التعاون والرکون إلی عوامل الظلم والفساد إلی درجة مقاومتها من جانب، ومن جانب آخر تزکیة النفس وتوظیف الاستعدادات الجسمیة والروحیة والمادیة والمعنویة بغیة تبلور تلک الحکومة العالمیة. ولو تأملنا ذلک لرأینا کلا العملین بناءً ومدعاة للحرکة والمعرفة والوعی والیقظة. وهکذا یفهم معنی الروایات الواردة فی فضل المنتظرین من خلال الالتفات إلی مفهوم الانتظار الواقعی. کما نفهم بعض الروایات التی صورت المنتظر الحقیقی وکأنّه فی الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۸۷ فسطاط المهدی أو تحت لوائه أو کمن جاهد بین یدی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بسیفه. أولیست هذه المراحل المختلفة والدرجات المتفاوتة فی الجهاد من أجل تحقیق العدل والحقّ إنّما تتناسب مع استعدادات الأفراد ودرجات انتظارهم؟ أی کما یتفاوت مقدار تضحیة المجاهدین فی سبیل اللَّه ودورهم، فإنّ انتظارهم واستعدادهم هو الآخر مختلف وعلی درجات. طبعاً کلاهما جهاد ویحتاج إلی استعداد وتزکیة. فالفرد الذی یکون فی فسطاط زعیم تلک الحکومة والذی یمثل مرکز القیادة والإمرة العسکریة لجمیع العالم، لا یمکن أن یکون شخصاً غافلًا وجاهلًا، فلیس کلّ فرد یلج ذلک الفساط، سوی من استعد له. کما ینبغی أن ینطوی من حمل السلاح وقاتل إلی جانب ذلک الزعیم کلّ من یقف بوجه حکومة العدل والسلام، علی استعداد روحی غزیر وتأهب فکری وعسکری کبیر.

الانتظار یعنی التأهب التام:

اشارة

إن کنت ظالماً فکیف یسعنی انتظار من یضع سیفه فی أعناق الظلمة؟ وإن کنت ملوثاً وفاسداً فکیف انتظر نهضة أوّل شرارتها تطیح بالملوثین المردة! والجیش الذی ینتظر الجهاد الأکبر إنما یرفع القدرة القتالیة لأفراده وینفخ فیهم روح الثورة ویصلح فیهم کلّ ضعف. وکیفیة الانتظار تتناسب دائماً مع الهدف الذی یقف وراءه: فانتظار قدوم مسافر عادی. وانتظار عودة صدیق عزیز. الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۸۸ وانتظار حلول فصل جنی الثمار من الأشجار. وانتظار حلول فصل افتتاح المدارس. فکلّ نوع من هذه الانتظارات ممزوج بنوع من الاستعداد. فلابدّ من اعداد الدار فی أحدها وتوفیر وسائل الضیافة، بینما یستلزم الآخر اعداد المنجل والحاصودة، کما یلزم الأخیر القلم والکتاب والقرطاس وثیاب المدرسة وما شاکل ذلک. ولکم أن تتصوروا الآن ذلک الذی ینتظر قیام المصلح العالمی، فهو ینتظر فی الواقع نهضة وثورة تعد أوسع وأعظم جمیع النهضات البشریة طیلة التاریخ. النهضة التی تختلف عمّا سبقها من النهضات الاصلاحیة، فهی لا تنطوی علی أیة صبغة إقلیمیة، کما لا تختص بأی جانب من جوانب الحیاة المختلفة؛ بل اضافة إلی کونها عامة، فهی تشمل کافة جوانب حیاة البشریة؛ فهی نهضة سیاسیة وثقافیة واقتصادیة وأخلاقیة. طبعاً لسنا بصدد الدلیل علی تحقق هذه النهضة، ونوکل ذلک إلی بحث آخر، ذلک لأن هدفنا فی هذا البحث الاقتصار علی نتائج وآثار هذه العقیدة وذلک الانتظار، وهل ینطوی هذا الانتظار علی فکرة التخدیر کما یزعم أصحاب المدارس المادیة، أم أنّه انتظار بناء واصلاحی یدعو إلی الانطلاق والحرکة. ذکرنا سابقاً أنّ «الانتظار» یتألف من عنصرین؛ «نفی» و «إثبات»، الامتعاظ من الوضع الموجود والرغبة فی وضع أفضل. ونضیف هنا أنّ لکلّ نهضة وحرکة محوریة بُعدین بُعداً سلبیاً وبُعداً ایجابیاً. فالبعد الأوّل لهذه النهضة یتمثل فی القضاء علی

عوامل الفساد والانحطاط وتطهیر المجتمع من دنس العصاة. وما أن تنتهی هـذه المرحلـة الحکومـة العالمیـة للإمام المهدی(عج)، ص: ۸۹ حتّی یأتی دور البعـد الایجابی، أی اشاعة عوامل الاصـلاح. کما أشـرنا سابقاً إلی ترکـب مفهومی «الانتظار» و «النهضة العالمیة» أی أنّ الآثار التالیة إنما تتجلی فی المنتظرین الواقعیین (لا مجرد ادعاء الانتظار کذباً):

۱– التزکیة الفردیة

إن حکومة المهدی العالمیة تتطلب قبل کلّ شـیء العناصـر الإنسانیة علی صـعید القیم والمثل لتتمکن من النهوض باعباء الاصـلاحات الکبیرة فی العالم؛ وهذا ما یقتضـی بادئ الأمر الارتقاء بالمسـتوی الفکری والمعرفی والاستعداد الروحی والفکری بغیة التعاضد لتطبیق ذلک المشـروع العظیم؛ فقصر النظر وضیق الافق والضحالة الفکریة والحسد والفرقة وبالتالی کافة أشکال النفاق والتشتت لا تنسجم مع مکانـة المنتظر الحقیقی. ولعـلّ القضـیة المهمّـة تکمن هنـا فی أنّ المنتظر الواقعی لـذلک المشـروع العملاـق لا یمکنه أن یتخـذ موقفاً متفرجاً، فهو جنـدی باسل فی جبهـة الإصـلاح. فالإیمان بنتائـج النهضـة ومصـیرها لا تسـمح له بأن یکون فی الجبهـة المقابلـة، کما أنّ التحاقه بجبهـة الإصـلاح یتطلب منه قـدراً کافیاً من الأعمال الصالحـة والانطواء علی الشـجاعة والیقظة التامة. فکیف لی إن کنت ظالماً متمرداً أن انتظر نهضـة تسـتهدفنی! وإن کنت فاسـداً ومنحرفاً فأ نّی لی بانتظار قیام نظام لا مکان فیه للافراد الفاسدین والمنحرفین! أولا یکفی هـذا الانتظـار فی تنقیـة روحی وتهـذیب فکری من الزلـل والـدنس! والجنـدی الـذی یتطلع إلی جهـاد التحریر إنّمـا یعیش قطعاً الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۹۰ حالة التأهب القصوی، والسـلام الذی ینبغی له حمله فی هذه المعرکة إنّما یهدف إلی إصـلاح الأسـلحة السائدة؛ ویقوم ببناء المواضع المحکمة، کما یرفع معنویات رفاقه ویفجر فی نفوسـهم عشق المواجهة، وإلّا فلا یسـعه الانتظـار، وإن زعم ذلـک فهو کـاذب، فانتظـار المصـلح العـالمی یعنی التـأهب الفکری والأخلاـقی والمـادی والمعنوی التام من أجل إصـلاح العالم بأجمعه. ولک أن تقف علی أهمیّة مثل هذا التأهب! فإصـلاح کلّ ما علی الأرض ووضع حدّ للظلم لیس بالعمل الهین! والاسـتعداد لهذا الهدف العظیم ینبغی أن یتناسب معه، أی لابدّ أن یناسبه سعة وعمقاً. وعلیه فإنّ تحقیق مثل هذه النهضة یتطلب رجالًا أشـداء من ذوی القوة والطهر وسـعة الاـفق وبعـد النظر والاسـتعداد التام، کما أنّ التزکیـة اللازمـة لتحقق هـذا الهـدف تسـتلزم توظیف وتفعیل البرامج الأخلاقیة والفکریة والاجتماعیة، وهذا هو معنی الانتظار الواقعی؛ فهل یسع فرد أن یزعم بأنّ هذا الانتظار لیس بناءً؟!

۲– التکافل الاجتماعی

إلی جانب الإصـلاح الـذاتی فإنّ وظیفة المنتظر الحقیقی تحتم علیه إصـلاح الآخرین؛ ذلک لأنّ المشـروع العظیم والثقیل الذی ینتظره لیس بمشروع فردی، بل مشروع یختزن کافة عناصر التغییر، وعلیه ینبغی أن تتم الانشطة والفعالیات فیه بصیغة جماعیة، ولابدّ أن تتظافر جمیع الجهود والمساعی، وأن یتناسب عمقها وشـمولیتها مع عظمة مشـروع النهضة العالمیة المنتظرة. لیس لأیفرد أن یتجاهل الآخرین فی میـدان المواجهـة الحکومـة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۹۱ الشاملـة، وعلیه أن یسـعی لمعالجة نقاط الضـعف إینما وجدت، وتقویـة مواطن الضـعف، ذلک لعـدم إمکانیـة تطبیق ذلک المشـروع دون المساهمة الفاعلة للجمیع. وعلیه فإن المنتظر الحقیقی یشـعر بتکلیفه فی السـعی إلی إصـلاح الآخرین فضـلًا عن اصلاح نفسه. وهذا هو الأثر البناء الآخر من آثار انتظار قیام المصلح العالمی. وهذه هی فلسفة کلّ تلک الفضائل والامتیازات الواردة بشأن المنتظرین.

۳– عدم الانصهار فی بوتقة الفساد

إن عمّ الفساد فإنّه یشـمل أکثریة الناس، وهنا یشـعر الطاهرون من الأفراد بأنّهم بلغوا موضـعاً مغلقاً، وهو الموضع الذی یفرزه الیأس من الاصـلاح. وربّما یعتقـد البعض بأن الفرصـة قد مضت ولم یعد هنالک من أمل فی الاصـلاح، ومن العبث بذل الجهد فی هذا المجال؛

ومن شأن هـذا اليأس والاحباط أن يـدفع بهؤلاء الأفراد تدريجياً إلى الفساد والانسـجام مع الوسط الملوث، بحيث لا يسعه الابقاء على صلاحه تجاه الأكثريـة الفاسـدة، وبالتالى فإنّ عـدم الانسـجام والجماعة يوجب فضـيحته. وبالطبع فإن العنصـر الوحيد الذى يبعث فيهم روح الأمل ويـدعوهم إلى المواجهـة وضـبط النفس ويحول دون انصـهارهم فى بوتقة الفساد يتمثل بالأمل فى الإصـلاح النهائى؛ وهنا طبعاً يشـعرون بضـرورة السـعى لحفظ صـلاحهم وصـلاح الآخرين. ولعلّ هذا هو السرّ فى عدّ اليأس من رحمة اللّه من الذنوب الكبيرة ومن أخبث الكبائر، حيث لا يرى الفرد الذى يشـعر الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۹۲ باليأس من ضرورة لأن يتدارك ما فرط منه أو على الأقل الكفّ عن مواصلة معاصـيه، ومنطقه فى ذلك «لقـد أوغلت فى المعصـية وفاتنى النـدم والتوبـة ولم تعـد أمامى سوى نار جهنم، فهل هناك شـىء أخشاه كى أصـد عن هذا الطريق». أمّا إن فتحت له نافذة الأمل، فيشـعر بتحول فى حياته يدعوه إلى الأمـل بعفو اللّه ورحمته والأمـل بتغيير الوضع القائم؛ الأمر الـذى يعـدوه إلى الكفّ عن المعصـية والعودة إلى الـذات والطريق القويم. ومن هنا يعد الأمل من العناصر التربوية المهمة فى معالجة أوضاع الفرد الفاسد؛ كما لا يسع الفرد الصالح حفظ نفسه فى الوسط الفاسد دون الشـعور بهـذا الأمل. والنتيجـة هى أنّ انتظار ظهور المصـلح مدعاة لمضاعفة الأمل بظهوره مها اتسـعت رقعة الفساد، والذى يلعب دوراً مهمـاً فى بلورة العقيـدة والانـدفاع إلى العمـل، إلى جـانب تحصـين المنتظر من أمواج الفساد. وهنا يشـعرون بقرب بلوغ الهـدف فيزداد سـعيهم ويتواصـل عزمهم فى الوقوف بوجه الفساد والانحراف. ونسـتنتج من الأبحاث السابقـة أنّ الانتظار الممسوخ والمشوه هو الـذى ينطـوى على عنصـر التخـدير- حيث حرفه بعض المخـالفين، بينمـا مسـخه بعض المـوافقين- أمـا إن طبـق فى المجتمـع بصورته الحقيقيـة الناصـعة فهو عامل مهم على مستوى الأمل والحركـة والتربية والتزكية. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۹۳ ولعلّ من بين الأدلـة الواضـحة التى تؤيـد هـذا الموضوع ما روى عن المعصوم عليه السـلام بشأن الآية الشـريفة: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ ...» «۱» أنّه قال: «هو القائم وأصحابه». وجاء فى رواية اخرى: «نزلت فى المهدى» والحال قد وصف المهـدى وأصـحابه فى هـذه الآية بهذا الوصف «الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات». وعليه يتعذر تحقق هذه النهضة العالمية دون إيمان راسخ يطرد كلّ ضعف وعجز وهوان، ودون عمل صالح يمهد السبيل من أجل إصلاح العالم، وينبغى لمن ينتظر أن يسعى لأن يرفع من مسـتوى معرفته وإيمانه وينشط فى إصلاح نفسه وأعماله. وهؤلاء فقط من يسعهم التبشير بتلك الحياة فى ظلّ حكومته، لا الظلمة والفجرة، ولا أُولئك البعيدون عن الإيمان والعمل الصالح، ولا الأفراد الجبناء الذين جعلهم ضعف إيمانهم يخشون خيالهم. ولا الضـعفاء والكسالى والعاطلون الذين قبعوا هنا وهناك يتفرجون على الوسط الفاسد دون أن ينبسوا ببنت شفة، ولم يكلفوا أنفسهم عناء أية حركة ومقاومة. أجل هذا هو معنى الانتظار الحقيقى! الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۹۵

المصلح العالمى العظيم فى المصادر الإسلامية

صفات الزعيم العالمى

سلطنـا الضوء فى الأبحاث السابقـة على ظهور النهضـة العالميـة الكبرى التى تهـدف إلى اجتثاث جـذور الظلم والفساد من خلال رؤية شاملـة، وتوصـلنا إلى إمكانية التكهن بتحقق مثل هذه النهضة على ضوء منطق العقل وما ترشد إليه الفطرة. لكن ينبغى الالتفات إلى أنّ الأدلّة العقلية تقتصـر على عرض المشـروع الكلى بهذا الخصوص، ويتعذر عليها تعيين تفاصـيل هذا المشـروع ومن سـيكون زعيم هذه النهضـة. والـذى نعلمـه: إنّ زعامـة هـذه النهضـة- الـتى تعـد أعظم حـدث فى تاريـخ البشـرية وأشـمل نهضـة عالميـة- لشـخص يتمتع بالخصائص التالية:- ۱- العلم التام والرؤيـة العميقة الشاملة. ۲- النظرة الصائبة وسـعة الافق الفريدة التى تسع عالم البشـرية. ۳- امتلاك المشاريع الثوريـة الناجعة فى كافة المجالات. ۴- الشـجاعة والهمة الخارقة. ۵- الورع والتقوى التى تتناسب وسـعة الأهداف. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۹۸ ۶- الأخذ بنظر الاعتبار كافة أبعاد الحياة دون الاقتصار على البعد المادى. ۷- الروح السامية التى

تسمو على الفئوية وضيق النظر والمصالح الشخصية وتتجاوز حدود العادات والتقاليد والمدارس الفكرية السائدة. كما ينبغى أن يتحلى جيش هذه النهضة بتعاليم عظيمة تمكنه من تفعيل ذلك المشروع الضخم. وليس فى هذا الجيش من مكان للجهال وقصار النظر وضيقى الافق والجبناء وضعيفى الهمة والعصاة والعناصر غير الثورية. ونتجه الآن صوب المصادر الإسلامية بشأن هذا الظهور للمصلح العظيم. ذلك لأنّ ديناً كالدين الإسلامى لم يتضمن الخزين المطلوب بهذا الشأن، إلى جانب الخوض فى التفاصيل. جدير ذكره أنّ كلّ ما ورد فى المصادر الإسلامية بهذا الشأن ينسجم تماماً وما بلغناه عن طريق «العقل والفطرة»؛ ولهذا الانسجام والاتفاق تأثيران:- إنّه يرسخ إيماننا بأحكام العقل من جانب، ويضاعف من تفاؤلنا بأصالة التعاليم الإسلامية من جانب آخر. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۹۹

المصلح العالمى فى القرآن

القرآن- بصفته أهم مصدر اسلامى- يشتمل فى هذا المجال كسائر المجالات على بحث كلى واصولى، دون الخوض فى التفاصيل، وبعبارة اخرى فإنّ القرآن يتابع ما كنا عليه من أدلة عقلية وإلهامات فطرية، أى يخبر عن تحقق حكومة العدل العالمية فى ظلّ الإيمان. وإليك طائفة من الآيات التى تعرضت لهذا الموضوع: ۱- نقرأ فى الآيات ۱۰۵- ۱۰۶ من سورة الأنبياء: «وَلَقَدْ كَتَبْنا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِىَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِى هذا لَبَلاغاً لِقَوم عابِدِينَ». ونسلط الضوء هنا على معانى بعض الكلمات. «أرض»: تطلق على الكرة الأرضية وتشمل كافة أنحاء العالم، إلّاأن تقوم قرينة خاصة على غير ذلك. «ارث»: لغوياً ما يقع فى يد الشخص دون معاملة ومبادلة، ويطلق فى الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۰۰ القرآن الكريم على بعض الموارد على غلبة الصالحين للطالحين والسيطرة على إمكاناتهم. «زبور»: تعنى فى الأصل كلّ كتاب، لكنها اطلقت عادة على كتاب «داود» الذى عبر عنه فى العهد القديم ب «المزامير»، وهو مجموعة من المناجاة والأدعية والوصايا لنبى اللّه داود، كما يحتمل أن يكون المراد بالزبور جميع الكتب السماوية السابقة (قبل القرآن). «ذكر»: تعنى فى الأصل كلّ مصدر للتذكير، لكنها فسرت فى الآية بمعنى توراة موسى عليه السلام بدليل أنّها وردت قبل الزبور، وفسرت أيضاً بأنّها اشارة إلى القرآن الكريم، حيث وردت هذه المفردة فى آياته: «إِنْ هُوَ إِلّا ذِكرٌ لِلعالَمِينَ» «۱». وعليه فمعنى (من بعد) هو اضافة إلى. (ينبغى التمعن هنا). «صالح»: معروف وحين ترد بصورة مطلقة تعنى الصلاح فى جميع الامور من قبيل الكفاءة العلمية والأخلاقية، والصلاح من حيث الإيمان والتقوى والعلم والادارة. فعليه يكون معنى الآية على هذا الأساس: لقد كتبنا فى الزبور بالإضافة إلى القرآن الكريم (أو التوراة) أنّ الأرض ستؤول إلى الصالحين من عباد اللّه (أولئك الذين ينطلقون فى مسار العبودية). وذكر هذا الموضوع فى الزبور (إن كان بمعنى جميع الكتب السماوية الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۰۱ السابقة) دليل على أنّ هذا الموضوع أصل ثابت فى كلّ تلك الكتب. وإن كان المراد منه كتاب داود فلعلّ ذلك لسعة حكومة داود الرامية لتطبيق الحقّ والعدل وضمان مصالح الناس؛ وإن كانت حكومة اقليمية وليست عالمية، لكن بشر الزبور بحكومة عالمية شاملة قائمة على أساس الحرية والأمن والعدل تنتظر العالم بأسره. أى أنّ الناس إن بلغوا تلك المرحلة من الصلاح وأصبحوا مصداقاً حيّاً للعباد الصالحين فإنّهم سيرثون الأرض؛ سيرثون الحكومة المادية والحكومة المعنوية. وقد تضمنت بعض الروايات الواردة فى تفسير الآية المذكورة عبارات أوضح فى هذا المجال. ومن ذلك ما رواه صاحب تفسير «مجمع البيان» فى ذيل الآية أنّ الإمام الباقر عليه السلام قال: «هم أصحاب المهدى فى آخر الزمان». جدير بالذكر، وردت الإشارة إلى هذا الموضوع بعدّة عبارات فى «مزامير داود» ومنها المزمور ۳۷: «فسينقطع الأشرار ويرث الأرض المتوكلون على اللّه، وسوف لن يبقى شرير، ستتأمل مكانه وليس فيه وسيرث الحكماء الأرض». كما جاء فى المزمور ۳۷ عبارات اخرى: «... سيرث الأرض الذى يباركهم الرب وسينقطع الملعونون. سيرث الصديقون الأرض وإلى الأبد» «۱». وبالطبع فإنّ كلمة «الصالحون» الواردة فى القرآن هى كلمة جامعة تشمل «الحكماء» و «الصديقين» و «المتوكلين» و «المباركين». الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۰۲ وكما ذكرنا فإنّ المستفاد من الآية «إِنَّ فِى هذا لَبَلاغاً

لِقَوم عابِدِینَ» أنّ الهدف النهائی للصالحین لیس الحکومة، بل هی وسیلة لبلوغ ذلک الهدف، أی تکامل الإنسان فی کافة الجوانب، لأن البلاغ ما یبلغهم هدفهم.

الاستخلاف فی الأرض:

۲- نقرأ فی الآیة ۵۵ من سورة النور: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُم فِی الْأَرْضِ کَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَیُمَکِّنَنَّ لَهُمْ دِینَهُمُ الَّذِی ارْتَضَی لَهُمْ وَلَیُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً یَعْبُدُونَنِی لَایُشْرِکُونَ بِی شَیْئاً وَمَنْ کَفَرَ بَعْدَ ذَلِکَ فَأُوْلَئِکَ هُمُ الْفَاسِقُونَ». فقد تضمنت الآیة ثلاثة وعود صریحة للذین آمنوا وعملوا الصالحات. ونعلم أنّ لکلّ وعد ثلاثة أرکان: الذی یعد هنا هو اللَّه، والموعود «الذین آمنوا منکم وعملوا الصالحات» أی المؤمنین الصالحین. والمواد الواردة فی الوعود الثلاثة هی: ۱- الاستخلاف فی الأرض، أی حکومة الحقّ والعدل. ۲- تمکین الدین، أی نفوذ المعنویات وحکومة القوانین الشرعیة فی کافة جوانب الحیاة. ۳- تبدیل الخوف بالأمن؛ إزالة کافة عناصر الخوف وعدم الأمن واستبدالها بالأمن التام والاستقرار الکامل. والمراد من «تمکین الدین» کما یفهم من سائر استعمالات هذه المفردة رسوخ التعالیم الدینیة فی جمیع شؤون الحیاة، لا من قبیل ألفاظ السلام الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۰۳ والحریة وحقوق الإنسان التی یحمل لوائها الیوم المدافعون المزیفون ولا تتجاوز حناجرهم، بینما لا وجود لها فی الخارج؛ وکأنها ألفاظ خیالیة لا یمکن نیلها إلّافی الأحلام وعالم الخیال. آنذاک سوف لن تکون التعالیم الإسلامیه بصیغة بعض القوالب الصوریة الجافة والألفاظ الخاویة، بل ستکون نظریة الحیاة السائدة فی کلّ مکان. آنذاک ستکون المسؤولیة والیقظة عامة شاملة، وسیحول اتساعها دون استغلالها من قبل بعض الأفراد. وسوف لن تستطیع حینها المنافع الشخصیة أن تحول دون القضاء الصحیح، لا علی غرار ما یحصل الیوم من قبل بعض الساحقین لحقوق الإنسان، حین یرتقون منصة المؤتمرات العالمیة ویتحدثون بحماس عن هذه الحقوق والحریات وهم یرون عدم کفایة حتّی المواثیق الدولیة الواردة بهذا الشأن- والتی لا یلتزمون فی الواقع بأی من بنودها- فتتعالی الأیدی بالتصفیق من جانب زعماء ما یسمی بحقوق الإنسان، ولا غرو فهم معاً ولا یستطیعون ضمان مصالحهم دون أن یسلکوا هذا الاسلوب. الاستقرار والأمن آنذاک لا یمزج بالخوف، فهو لیس کالأمن الذی نراه فی بعض بقاع العالم والذی یفرزه الخوف من الأسلحة الفتاکة. وهل هذا أمن أم رعب؟ فهذا الأمن یفرزه الخوف العظیم من عواقب الحروب الوخیمة، إنّه لیس بأمن حقیقی. ونتیجة هذه الوعود الإلهیة الثلاثة تمهید السبیل لتزکیة الإنسان وتکامله الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۰۴ علی مستوی المفاهیم الإنسانیة والعبودیه للَّهوهدم الأصنام بکافة أشکالها «یعبدوننی لا یشرکون بی شیئاً». لا بأس هنا أن نتطرق إلی بعض أقوال المفسرین وما ذکروه من سبب لنزول هذه الآیة: یری بعض المفسرین أنّ الآیة نزلت حین هاجر المسلمون من مکة إلی المدینة. فقد برزت نهضة جدیدة هزت أرکان ذلک المجتمع الملی بالخرافات والأساطیر والجهل والظلم والتمییز العنصری، ممّا أثارت الطرف الآخر للمعارضة. ورغم قلة عدد الأصحاب إلّاأنّهم عرفوا بالصمود والتضحیة، إلّاأنّ حجم المعارضة کان عریضاً واسعاً، وقد تصاعدت حدّة الصراع بحیث کان المسلمون یعیشون علی الدوام حالة التأهب القصوی، فلا یفارقون أسلحتهم حتّی عند نومهم وینهضون صباحاً لیتقلدوا تلک الأسلحة الثقیلة. وبالطبع فإن استمرار هذا الوضع کان یزعجهم، کیف یسعهم النوم بهذه التجهیزات والأسلحة، وأی نوم هذا الذی یحلمون به والعدو متربص بهم. کانوا یتمنون أحیاناً أن یستریحوا لیلة من ذلک العناء دون أن یکون من العدو خطراً یهددهم، کما یأملون بإقامة الصلاة دون أن یباغتهم العدو، فیعبدون اللَّه بکلّ حریة ودون خوف ویقضون علی الأصنام ویعیشون بأمان فی کنف حکومة العدل الإلهی. ومن هنا کان یسأل بعضهم البعض هل سیأتی ذلک الیوم؟! وهنا نزلت الآیة وحملت البشارة بتحقق ذلک الوعد وقدوم ذلک الیوم، وقد رأینا کیف الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۰۵ حلّ ذلک الیوم حین سیطر المسلمون بزعامة النبی صلی الله علیه و آله علی الجزیرة العربیة. ویبدو سبب النزول هذا منسجماً مع الآیة، لکن لعلمنا بسائر أسباب نزول مختلف الآیات القرآنیة فانه لا یسعنا حصر مفاهیم الآیات فی أسباب

النزول، بل سبب النزول یعد أحد مصادیق الآیة. ولعلّ الاقتصار بالآیة على سبب النزول من قبیل الأسلحة التی تعدها للقتال، وما أن یتوقف ذلک القتال حتّى نطرحها جانباً، وإن کانت باهضة التکالیف وصالحة للاستعمال. طبعاً شهد أواخر عصر النبی صلی الله علیه و آله عملیة جانب من المفهوم الشامل لهذه الآیة، إلّاأن تطبیق ذلک المفهوم بأجمعه والاستخلاف فی الأرض لم یطبق لحدّ الآن وما زال العالم ینتظره. نعم، تبشر الآیة الشریفة جمیع المؤمنین الحقیقیین بالحکومة العالمیة التی تکون من نصیب الصالحین، وتطوی جمیع الصفحات السوداء التی خلفتها عصبة من الأنانیین والمستکبرین الذین تلاعبون فی مقدارات والإنسانیة. ومن هنا ورد فی بعض الروایات أنّ الآیة واردة فی قیام المهدی الموعود. فقد روى الطبرسی فی تفسیره «مجمع البیان» عن الإمام السجاد علیه السلام أنّه قال: «هم واللَّه شیعتنا أهل البیت یفعل اللَّه ذلک بهم على ید رجل منا هو مهدی هذه الامّة». ثمّ ذکر مثل هذا المضمون عن الإمامین الباقر والصادق علیهما السلام وأضافا أنّ الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۰۶ الآیة مطلقة وتشمل خلافة جمیع الأرض، وحیث لم یتحقق هذا الوعد الإلهی فلابدّ من انتظاره. کما وردت عدّة روایات فی تفسیر «البرهان» عن الإمامین الصادق والباقر علیهما السلام فی أنّ الآیة إشارة إلى قیام القائم. جدیر بالذکر أنّه بالنظر إلى کلمة «منکم» فإنّ هناک أقلیة مؤمنة صالحة تمارس النهضة العالمیة حین تتوفر ظروفها فتبلغ بها شاطئ الأمان وتتغلب على جمیع المصاعب والمطبات التی تعترض سبیل السفینة. ۳- نقرأ فی الآیة ۳۳ من سورة التوبة: «هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَى الدِّینِ کُلِّهِ وَلَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ». ولابدّ من الرجوع إلى الآیة السابقة للوقوف على معنى هذه الآیة: «یُرِیدُونَ أَنْ یُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَیَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ یُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ کَرِهَ الْکَافِرُونَ». ویتضح من هذه الآیة أنّ إرادة اللَّه تعلقت بتکامل نور الإسلام، وسیکون تکامله حین ینشر لوائه على کافة أنحاء العالم. ومن ثمّ وضح هذه الحقیقة فی الآیة المذکورة: «هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَى الدِّینِ کُلِّهِ وَلَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ». وقد تکرر هذا الوعد مع فارق طفیف فی الآیة ۲۸ من سورة الفتح: الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۰۷ «هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَى الدِّینِ کُلِّهِ وَکَفَى بِاللَّهِ شَهِیداً». وأخیراً جاء هذا الوعد للمرة الثالثة فی الآیة ۹ من سورة الصف بالعبارة التی وردت فی سورة التوبة: «هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَى الدِّینِ کُلِّهِ وَلَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ». ولعلّنا ندرک أهمیة هذا الوعد الإلهی من هذه الآیات القرآنیة. إلّاأنّ المهم هو اتضاح مفهوم العبارة «لیظهره»: أوّلًا: یرجع الضمیر «هاء» إلى النبی صلی الله علیه و آله أو «دین الحقّ»؟ على ضوء الاحتمال الأوّل المفهوم غلبة النبی لجمیع الأدیان، بینما مفهومها غلبة الدین الإسلامی على أساس الاحتمال الثانی. لکن یبدو على أساس قواعد اللغة أنّ الضمیر یعود إلى «دین الحقّ» کونه الأقرب (وإن لم یکن الفارق بینهما کبیراً). أضف إلى ذلک فإن انتصار دین على سائر الأدیان أنسب تعبیراً من انتصار شخص على سائر الأدیان (لابدّ من التمعن). ثانیاً: (وهذا هو المهم) ما المراد هنا بالظهور؟ لا شک أنّ الظهور هنا لا یعنی البروز والوضوح، بل یعنی الغلبة. جاء فی کتاب القاموس- أحد المصادر اللغویة المعروفة- ظهر به وعلیه: غلبه. کما جاء فی مفردات الراغب: ظهر علیه غلبه. وکما وردت بهذا المعنى فی عدّة آیات من سور القرآن کسورة المؤمن والکهف والتوبة: «کَیْفَ وَإِنْ یَظْهَرُوا عَلَیْکُمْ لَایَرْقُبُوا فِیکُمْ إِلّاً وَلَا ذِمَّةً یُرْضُونَکُمْ الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۰۸ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَکْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ» «۱». «یَا قَوْمِ لَکُمْ الْمُلْکُ الْیَوْمَ ظَاهِرِینَ فِی الْأَرْضِ ...» «۲». «إِنَّهُمْ إِنْ یَظْهَرُوا عَلَیْکُمْ یَرْجُمُوکُمْ أَوْ یُعِیدُوکُمْ فِی مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً» «۳». لکن ما المراد بغلبة دین لسائر الأدیان؟ ذکر المفسرون ثلاثة آراء: ۱- الغلبة المنطقیة؛ أی بمقارنة الإسلام بسائر الأدیان الممزوجة غالباً بالخرافات تظهر غلبة المنطق المستدل على سائر المناطق. یعتقد أصحاب هذا الرأی أنّه کلما قارنا التوحید الإسلامی الخالص مع سائر أنواع التوحید المشوبة بالشرک أو الشرک الخالص فانه یتضح منطق أفضلیة الإسلام على سائر الأدیان، وکذلک سائر المباحث التی اکتسبت عملیة هذا الوعد الإلهی؛ حتّى أنّ مقارنة شعار الأذان بفضله شعار محرک، بشعار الناقوس وعدم شعاریة أغلب الأدیان یکشف عن هذه الغلبة المنطقیة. ۲- الغلبة العملیة والغلبة الخارجیة على سائر الأدیان، غایة الأمر ضمن مقارنة اقلیمیة لا عالمیة وعامة. الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۰۹ فقد تحققت أیضاً؛ حیث تغلب الإسلام فی عهد النبی صلی الله علیه و آله على شبه الجزیرة العربیة ومن ثمّ

على منطقة عظيمة من العالم، حتّى خضع لنفوذ الإسلام اتباع الديانات الاخرى فى تلك المناطق الممتدة من جدار الصين- بل ما وراء جدار الصين- حتّى شواطئ المحيط الاطلسى، وقد ظلّ الإسلام متجذراً فى تلك المناطق حتّى بعد اضمحلال الدولة الإسلامية هناك. ۳- الغلبة الخارجية والعملية على مستوى العالم وجميع ما على الأرض والتى تشمل الغلبة الثقافية والاقتصادية والسياسية، وهو التفسير الذى قال به بعض مفسرى العامة فضلًا عن مفسرى الشيعة. قطعاً لم يصبح هذا الوعد عملياً لحدّ الآن ولا ينطبق سوى على الحكومة العالمية للمهدى الموعود عليه السلام، وهى الحكومة التى يعم الحقّ والعدل فيها كلّ مكان ويتغلب فيها هذا الدين على ضوء القياس العالمى على سائر الأديان. ولدينا بعض القرائن التى تفيد ترجيح التفسير الثالث على سائر التفاسير؛ لما يلى: أوّلًا: الغلبة المستفادة من كلمة «الظهور» ظاهرة فى الغلبة الحسية والعينية والخارجية، لا الغلبة الذهنية والفكرية، ولذلك لم يرد «الظهور» بمعنى الغلبة الذهنية فى أى من الموارد القرآنية المذكورة، بل لوعدنا إلى الآيات السابقة وأمعنا النظر فيها لرأيناها وردت بمعنى الغلبة العينية والخارجية. ثانياً: ذكر كلمة «كله» بعنوان تأكيد يشير إلى عدم وجود البعد الاقليمى للغلبة، بل هى عامة شاملة لجميع الأديان، وهذا لا يمكن سوى من خلال شمولية الإسلام للعالم. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۰ ثالثاً: الروايات التى وردت فى تفسير الآية وتقوى التفسير الثالث، مثل: ۱- روى العياشى باسناده عن عمران بن ميثم عن عباية أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام حين تلى الآية «هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ...» سأل أصحابه: أظهر ذلك؟ قالوا: بلى. قال: «كلا، فوالذى نفسى بيده حتّى لا يبقى قرية إلّاوينادى فيها بشهادة أن لا إله إلّااللَّه بكرة وعشيا» «۱». ۲- وقال الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ ذلك عند خروج المهدى من آل محمّد فلا يبقى أحد إلّاأقر بمحمّد» «۲». ۳- قال المقداد بن الأسود سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: «لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلّاادخله اللَّه كلمة الإسلام» «۳». كما وردت عدة روايات تفسر الآية بهذا المضمون. كانت هذه طائفة من الآيات القرآنية التى تؤكد العدل والسلام العالمى والإيمان بالتوحيد والإسلام فى كافة أرجاء العالم. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۱

المصلح العالمى فى مصادر العامة

لابدّ من الالتفات إلى أمرين قبل كلّ شىء. ۱- يتساءل البعض ما الحاجة إلى الروايات ولدينا القرآن؟ وطالما بين القرآن كلّ شىء «فيه تبيان لكلّ شىء» فما المانع من أن نلتحق بمن قال: «حسبنا كتاب اللَّه»؟ خاصة إننا نسمع أنّ هناك بعض الروايات والأحاديث الموضوعة بين سائر الأحاديث الصحيحة وهذا ما يؤدى إلى عدم اعتبارها جميعاً. لكن بالنظر إلى أننا مسلمون، والمسلم المتمسك بالقرآن لا يمكنه تجاوز الأحاديث الإسلامية الواردة من طرقها الصحيحة، وذلك لأنه: أوّلًا: إنّ من أنكر السنّة فقد أنكر القرآن، حيث صرّح القرآن بشأن النبى صلى الله عليه و آله فى أنّ كلامه حجّة وأنّه مفترض الطاعة فقال: «وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ...» «۱». الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۲ وقال: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً ...» «۱» وقال: «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً» «۲». وهكذا سائر الآيات التى‌ترى وجوب طاعة أوامر النبى صلى الله عليه و آله بصفتها أوامر اللَّه. ثانياً: إنّ القرآن يحتوى على القوانين الكلية للإسلام وإن غضضنا الطرف عن السنّة فانه سيفقد صبغته العملية، وستبقى الكليات الذهنية التى لا- يمكن تنفيذها؛ ذلك لأنّ السنّة بيّنت جميع الجزئيات والمقررات العملية والتنفيذية لتلك القوانين الكلية. ورغم منع البعض من تدوين أحاديث النبى صلى الله عليه و آله بعد وفاته بغية عدم اختلاطها بالقرآن! لكن سرعان ما وقفوا على ضعف هذا النمط من التفكير، بحيث ربّما تندرس السنّة مع مرور الزمان حتّى ينتهى الأمر إلى فقدان الإسلام لجانبه العملى والتنفيذى، ومن هنا تركوا تلك النظرية الفاشلة وعمدوا إلى تدوين الحديث والرواية. ثالثاً: صحيح أنّ يد الوضاعين امتدت إلى الأحاديث الإسلامية وقد شوهتها لمختلف الدوافع والأسباب، غير أنّ ذلك لا يعنى عدم وجود بعض الضوابط فى تمييز الأحاديث الصحيحة من الموضوعة، ومن ذلك علم الرجال والحديث والدراية. ۲- رجل ثورى لا سياسى مادى: إنّ الأدلّة التى ذكرت- كالآيات الواردة فى هذا الخصوص- عن طريق الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۳ العقل أو الفطرة والتى

تشیر إلی تحقق نهضهٔ اصلاحیهٔ شاملهٔ فی العالم، لم تتطرق إلی شخص معین، بل اقتصرت علی مباحث کلیهٔ؛ ولکن ممّا لاشک فیه أنّ هـذه النهضـهٔ تتطلب زعیماً کسائر النهضات، زعیماً مقتـدراً وعالماً ذا آفق بعیـد ونظرهٔ ثاقبـهٔ وعالمیـهٔ، فهل یمکن أن ینبثق هـذا الزعیم کسائر زعماء العالم المعاصر من المجتمعات المادیهٔ؟ أی کالزعماء الذین یکون هدفهم بالدرجهٔ الاولی حفظ مناصـبهم، ومن ثمّ کلّ ما من شأنه حفظ مکانتهم؛ وتعظیمهم إزاء المدارس السیاسیهٔ والاقتصادیهٔ المختلفهٔ بمستوی التأثیر فی حفظ مکانتهم؛ وقد تکون ذروهٔ أهـدافهم فی المرحلـهٔ اللاحقـهٔ الانطلاق نحو تحقیق مصالـح شـعوبهم، وإن کان ذلک علی حساب ذبح الشـعوب الاخری. وقد اثبتت حرب فیتنام التی اسـتغرقت عشـرین سـنهٔ وقد خلفت ملایین القتلی والجرحی وهدم ملایین الأحیاء السـکنیهٔ وملایین الأفراد المشوهین وملیارات الأموال والثروات، أنّ الرأسـمالیهٔ المعاصـرهٔ مستعدهٔ للقتال من أجل حفظ منافعها، بل أحیاناً لا لشیء- بل أبعد من ذلک من أجـل سلسـلهٔ من الأوهـام الفارغـهٔ- وقـد تغیر خلال هـذه الفترهٔ عـدد من هؤلاء الزعمـاء العظام (؟) غیر أنّهم ساروا جمیعاً علی نهج أسـلافهم لیثبتوا أنّ ذلک العمل لم یکن نزعـهٔ فردیـهٔ أو جماعیـهٔ معینـهٔ، بل هو مبـدأ ثابت من مبادئ وخصائص هـذه الأنظمـهٔ. إنّهم ینشدون الحریهٔ کهدف سامٍ، لکنهم یقتصـرون بها علی أنفسهم، وقد یتبنون شعارها أحیاناً من أجل الآخرین، ولکن ما أن تتعارض مع مصالحهم حتّی یتنصـلوا عنها. الحکومـهٔ العالمیـهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۱۴ إنّهم یتفقون بغیـهٔ ضـمان منافعهم، وهـذا هو مبدأهم المقدس المتفق علیه، وکأنّهم تعاقدوا معاً علی الدوام علی ذلک الأمر. کما اسـتغلوا حریهٔ «حقوق الإنسان» و «حریهٔ الشعوب فی تقریر مصـیرها» لضـرب منافسـیهم، ولـذلک قـد تنتکس تلـک الحریـهٔ إن کـان الکلام عن حلفـائهم، فیتخلـون عن تلـک الشـعارات حفظاً لمصالحهم ورعایهٔ لتلک العلاقات. فهل یسع مثل هذه الأنظمهٔ أن ترفع رایهٔ الحریهٔ والعدالهٔ فی العالم، وهل هناک من فرق بین الدول الکبری؟ فالظلم والاستعباد والقهر الذی تتمیز به الأنظمهٔ الرأسمالیهٔ واضح لا یتطلب مزیداً من العناء. أمّا الأنظمهٔ الیساریهٔ؛ فقد واجهت جمیع الأنظمـهٔ وحصـرت سـلطتها فی بضـعهٔ أفراد- أی الفئـهٔ الحزبیـهٔ الحاکمـهٔ- علی أسـاس بسـط العـدل وترفیـه الطبقـات المعـدمهٔ والمسـحوقهٔ وبناء المجتمع الخالی من الطبقیـهٔ، ومن هنا فقـد صـهرت آلاف الاقطاعین الکبار والصـغار فی بوتقـهٔ ثورهٔ «البرولتاریا» ثمّ اطلقت عـدداً من کبـارهم لیمسـکوا بخیوط اللعبـهٔ لکافـهٔ حرکات بیئتهم السیاسـیهٔ والاقتصادیـهٔ. وقـد حکموا مجتمعاتهم بقوهٔ غاشـمهٔ سلبتهم حتّی التفکیر فی معارضـهٔ زعمـائهم. وکأنّهم جعلوا بعض المبادئ المرنـهٔ التی یفرزها العقل البشـری فی اطار مسیرته التکاملیهٔ بمثابـهٔ مبـادئ خالـدهٔ لإیقـاف عجلـهٔ التاریـخ عن التطور والحرکـهٔ والإبقـاء علیهـا ساکنـهٔ فی موضع معین. ویطالنـا هنـا بعض الزعمـاء المسـتبدین الـذین یتمکنون بالتدریـج من الحکومـهٔ العالمیـهٔ للإمام المهـدی(عج)، ص: ۱۱۵ الاطاحـهٔ بمعارضـیهم لیذکروننا باساطیر الـدکتاتوریات المُبـادهٔ کسـلاطین المغول، علی سبیـل المثـال فإنّ الزعیم الفـذ اسـتالین لا یری من ضـیر فی قتل أکثر من ملیون ومئتی شخص من أجل البقاء فی منصـبه وحفظ مصالحه. ولکن ما أن مات حتّی سـلوا جسـده من قبره وعمـدوا إلی إزالـهٔ اسـمه، فتحول إلی عـدم کـأنّه لم یکن له من وجود، والحـال، کان حتّی الأمس المـدافع الوحیـد عن حقوق الطبقـهٔ العاملـهٔ وضـمان راحتها ورفاهیتها قد تتطلب المصالح أحیاناً الوقوف بشدّهٔ بوجه حلفائهم وأعوانهم، وابرام اتفاقیات التعاون والصلح والسلام مع أعدائهم والتنازل عن جمیع المبادئ والاصول التی یتشدقون بها. فهل یسع مثل هؤلاء الزعماء حمل لواء العدل العالمی ونشـره خفاقاً علی الشـعوب؟ وهل تسـتطیع الأنظمهٔ المادیهٔ الرأسمالیهٔ أو الاشتراکیهٔ أو الشیوعیهٔ المارکسیهٔ أن ترفد المجتمع بذلک الزعیم المنتظر؟ قطعاً لا. حقّاً لیس ذلک سوی للمدرسـهٔ الإنسانیهٔ التی تفوق النزعهٔ المادیهٔ والتی تسـتطیع تطبیق وتنفیذ ذلک المشـروع الإنسانی فی کافهٔ أرجاء العالم. المدرسهٔ التی لایفکر زعیمها قط فی حفظ مکانته ومصـلحته. ولا یقتصـر بنظره علی شـعبه. کما لا ینظر إلی ما حوله بعین مادیـهٔ محدودهٔ. وأن یتمتع بالأفکار السـماویهٔ الرفیعـهٔ والعمیقـهٔ والترفع عن الضـحالهٔ. فـذلک الشـخص الـذی تخالف مبادؤه نظیرتها لـدی المدارس المادیهٔ التی تنهض الیوم بادارهٔ شؤون المجتمعات، هو من یسـتطیع انقاذ البشریهٔ من الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۱۶ هاویهٔ الهلکهٔ وایصالها إلی شاطئ الأمن والنجاهٔ. فمن هو ذاک؟ یعتقد المسلمون أنّ ذلک الرجل هو المهدی علیه السلام.

من هو المهدی؟

مرّ علينا فى بحث آثار الانتظار أنّ جميع الفرق الإسلامية دون استثناء تعيش انتظار المصلح العالمى من نسل النبى وهو «المهدى». (الزعيم الذى هدى إلى هدفه ومشروعه الثورى العالمى والقادر على هذا الأساس على هداية الآخرين وزعامتهم). وقد بلغ هذا الاتفاق درجة بحيث لم تشذ عنه حتّى أعظم الفرق الإسلامية افراطاً- أى الوهابية- ولم تكتف بقبوله، بل هبت للدفاع عنه لأنّها تراه من العقائد الإسلامية المسلمة. وسنورد بيان «رابطة العالم الإسلامى» التى تعد من أكبر مراكز الوهابية فى مكة قبل أن نذكر ما ورد عن علماء العامة بهذا الخصوص. وترى أنّ ما تضمنته هذه الرسالة من وثائق ضرورية لم تدع مجالًا لأحد للانكار، ولعلّها هى السبب فى اذعان الوهابية المتطرفة. والذى نعتقده أنّ هذه الرسالة واضحة صريحة لا تحتاج إلى أدنى توضيح، ولعلّها تلقم من يزعم بأنّ عقيدة ظهور المهدى فكرة مستوردة، حجراً وتخرسه عن الرد. حيث تقدم قبل سنتين «۱» شخص يدعى «أبو محمّد» من كينيا بسؤال إلى «رابطة العالم الإسلامى» التى تعتبر من المراكز الدينية الحجازية والمكية الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۷ المهمة بشأن ظهور المهدى المنتظر. فبعث له «محمّد صالح القزاز» الأمين العام، برسالة ضمّنها جوابه وأشار فيها إلى قبول ابن تيمية للأحاديث المتعلقة بالمهدى، جدير بالذكر أنّ الفارق الكبير بين هذه الرسالة مع عقائد أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام هى أنّهم ذكروا اسم والد الإمام المهدى «عبداللَّه»، بينما المسلم لدى الشيعة أنّ والده هو الإمام الحسن العسكرى، ولعلّ سر هذا الاختلاف ما ورد فى بعض روايات العامة «اسم أبيه اسم أبى» بينما تفيد القرائن أنّ أصل هذه العبارة «اسم أبيه اسم ابنى» والخطأ فى التنقيط هو سبب اختلاف العبارة (أيد هذا الاحتمال الكنجى الشافعى فى كتابه البيان فى أخبار صاحب الزمان). وعلى كلّ حال فإنّه لا يمكن الاعتماد على تلك العبارة للأسباب التالية:- ۱- لم ترد هذه العبارة فى أكثر روايات العامة. ۲- ورد فى رواية ابن أبى ليلى «اسمه اسمى واسم أبيه اسم ابنى». ۳- تفيد الروايات المتواترة عن طرق أهل البيت عليهم السلام أنّ اسم أبيه «الحسن». ۴- صرحت بعض روايات العامة أنّه ابن الإمام الحسن العسكرى. (للوقوف على المزيد بهذا الشأن راجع كتاب: منتخب الأثر صفحات ۲۳۱ إلى ۲۳۶، الباب ۱۱، وكتاب نور الأبصار).

نص الرسالة:

الكريم أبو محمّد «المحترم (كينيا) الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۸ السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته- اشارة إلى خطابكم (المؤرخ فى ۲۱ مايو ۱۹۷۶ م) المتضمن عن موعد ظهور المهدى وفى أى مكان يقيم؟ نفيدكم بأننا نوفّر لكم مع خطابنا إليكم ما جاء من الفتوى فى مسألة المهدى المنتظر وقد قام بكتابته فضيلة الشيخ محمّد المنتصر الكنانى وأقرّته اللجنة المكونة من أصحاب الفضيلة الشيخ صالح بن عثيين وفضيلة الشيخ أحمد محمّد جمال وفضيلة الشيخ أحمد على وفضيلة الشيخ عبداللَّه خياط. مدير ادارة المجمع الفقهى الإسلامى: محمّد منتصر الكنانى وقد دعم الفتوى بما ورد من أحاديث المهدى عن الرسول صلى الله عليه و آله وما ذكره ابن تيمية فى المنهاج بصحّة الاعتقاد وابن القيم فى المنار وإن شاء اللَّه تعالى ستجدون فى الكتاب مطلبكم وما يغنيكم عن مسألة المهدى انتم ومن كان على نهجكم آملين لكم التوفيق والسداد. الأمين العام محمّد صالح القزاز بعد التحية جواباً عمّا يسأل عنه المسلم الكينى فى شأن المهدى المنتظر عن موعد ظهوره وعن المكان الذى يظهر منه وعن ما يطمئنه عن المهدى عليه السلام. هو محمّد بن عبداللَّه الحسنى العلوى الفاطمى المهدى الموعود المنتظر موعد خروجه فى آخر الزمان وهو من علامات الساعة الكبرى يخرج من الغرب ويبايع له فى الحجاز فى مكّة المكرمة بين الركن الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۹ والمقام- بين باب الكعبة المشرفة والحجر الأسود عند الملتزم، ويظهر عند فساد الزمان وانتشار الكفر وظلم الناس، يملأ الأرض عدلًا وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، يحكم العالم كله وتخضع له الرقاب بالاقناع تارة وبالحرب اخرى، وسيملك الأرض سبع سنين وينزل عيسى عليه السلام من بعده فيقتل الدجّال أو ينزل معه فيساعده على قتله بباب «اللد» بأرض فلسطين. هو آخر الخلفاء الراشدين، الاثنى عشر الذين أخبر

عنهم النبی صلوات اللَّه وسلامه علیه فی الصحاح، وأحادیث المهدی واردهٔ عن الکثیر من الصحابهٔ یرفعونها إلی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله ومنهم عثمان بن عفان؛ وعلی بن أبی طالب، وطلحهٔ بن عبیداللَّه، وعبدالرحمن بن عوف، وعبداللَّه بن عباس، وعمّار بن یاسر، وعبداللَّه بن مسعود، وأبو سعید الخدری، وثوبان، وقرهٔ بن ایاس المزنی، وعبداللَّه بن الحارث بن جز، وأبو هریرهٔ، وحذیفهٔ بن الیمانی، وجابر بن عبداللَّه، وأبو امامهٔ، وجابر بن ماجد الصدفی، وعبداللَّه بن عمر، وأنس بن مالک، وعمران بن حصینی، وامّ سلمهٔ. هؤلاء عشرون منهم، ممّن وقفت علیهم، وغیرهم کثیر، وهناک آثار عن الصحابهٔ مصرّحهٔ بالمهدی، من أقوالهم، کثیرهٔ جداً، لها حکم الرفع، إذ لا ـ مجال للاجتهاد فیها. أحادیث هؤلاء الصحابهٔ التی رفعوها إلی النبی صلی الله علیه و آله والتی قالوها من أقوالهم اعتماداً علی ما قاله رسول اللَّه صلوات اللَّه وسلامه علیه ورآها الکثیر من دواوین الإسلام، وامّهات الحدیث النبوی، من السنن الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۲۰ والمعاجم والمسانید منها: سنن أبی داود، والترمذی، وابن ماجهٔ، وابن عمرو الدانی، ومسانید أحمد، وابن یعلی، والبزاز، وصحیح الحاکم؛ ومعاجم الطبرانی الکبیر والآلوسی والرویانی والدارقطنی فی الأفراد، وأبو نعیم فی أخبار المهدی والخطیب فی تاریخ بغداد، وابن عساکر فی تاریخ دمشق وغیرها. وقد خصّ المهدی بالتألیف أبو نعیم فی «اخبار المهدی» وابن حجر الهیثمی فی القول المختصر فی علامات المهدی المنتظر والشوکانی فی التوضیح فی تواتر ما جاء فی المنتظر والدجّال والمسیح، وادریس العرقی المغربی فی تألیفه «المهدی» وأبو العبّاس بن عبدالمؤمن المغربی فی کتابه «الوهم المکنون فی الرد علی ابن خلدون». وآخر من قرأت له عن المهدی، بحثاً مستفیضاً، مدیر الجامعهٔ الإسلامیهٔ فی المدینهٔ المنورهٔ فی مجلهٔ الجامعهٔ، أکثر من عدد. وقد نصّ علی أنّ أحادیث المهدی أنها متواترهٔ، جمع من الأعلام قدیماً وحدیثاً منهم السخاوی فی «فتح المغیث». ومحمّد بن أحمد السفاوینی فی شرح العقیدهٔ وأبو الحسین الابری فی «مناقب الشافعی» وابن تیمیهٔ فی فتاواه والسیوطی فی الحاوی وادریس العراقی المغربی فی تألیف له عن المهدی والشوکانی فی «توضیح فی تواتر ما جاء فی المنتظر؛ والدجّال، والمسیح» ومحمّد بن جعفر الکنانی فی «نظم المتناثر فی الحدیث المتواتر» وأبو العبّاس بن عبدالمؤمن المغربی فی «الوهم المکنون من کلام ابن خلدون» وحاول ابن خلدون فی مقدمته الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۲۱ أن یطعن فی أحادیث المهدی، محتجاً بحدیث موضوع لا أصل له عند ابن ماجهٔ لا مهدی إلّاعیسی. ولکن ردّ علیه الأئمّهٔ والعلماء؛ وخصّه بالرد شیخنا ابن عبدالمؤمن، بکتاب مطبوع متناول فی المشرق والمغرب منذ أکثر من ثلاثین سنهٔ. ونصّ الحفاظ والمحدّثون علی أنّ أحادیث المهدی فیها الصحیح والحسن ومجموعها متواتر ومقطوع بتواتره وصحته. وأنّ الاعتقاد بخروج المهدی واجب وأنّه من عقائد أهل السنّهٔ والجماعهٔ ولا ینکر إلّاجاهل بالسنّهٔ ومبتدع فی العقیدهٔ. واللَّه یهدی إلی الحقّ ویهدی إلی السبیل مدیر إدارهٔ المجمع الفقهی الإسلامی محمّد المنتصر الکنانی ونری من الضروری هنا أن نورد بعض أقوال سائر علماء العامّهٔ بهذا الشأن: ۱- قال الشیخ منصور علی ناصف مؤلف کتاب التاج «۱»: «اشتهر بین العلماء- سلفاً وخلفاً- أنّه فی آخر الزمان لا بدّ من ظهور رجل من أهل البیت یسمی «المهدی» یستولی علی الممالک الإسلامیهٔ ویتبعه المسلمون ویعدل بینهم ویؤید الدین». ثمّ قال: الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۲۲ «وقد روی أحادیث المهدی جماعهٔ من خیار الصحابهٔ وأخرجها أکابر المحدّثین کأبی داود والترمذی وابن ماجهٔ والطبرانی وأبی یعلی والبزاز والإمام أحمد والحاکم، رضی اللَّه عنهم أجمعین ولقد أخطأ من ضعَّفَ أحادیث المهدی کلّها کابن خلدون وغیره» «۱». ۲- ولم یستطع حتّی ابن خلدون المعروف بمخالفته لأحادیث المهدی أن ینکر شهرهٔ أحادیث المهدی بین جمیع علماء الإسلام حتّی قال: المشهور بین جمیع المسلمین طیلهٔ العصور أنّه یظهر آخر الزمان رجل من أهل البیت یؤید الدین ویبسط العدل ویتبعه المسلمون «۲». ۳- قال العالم المصری المعروف محمّد الشبلنجی فی کتابه «نور الأبصار»: «تواترت الأخبار عن النبی صلی الله علیه و آله علی أنّ المهدی من أهل بیته وأنّه یملأ الأرض عدلًا» «۳». ۴- وذکر الشیخ محمّد الصبان «۴» فی کتابه «اسعاف الراغبین»: «إنّ الأخبار المتواترهٔ عن النبی صلی الله علیه و آله أنّ المهدی سیظهر آخر الزمان وأنّه من أهل بیت النبی وسیملأ الأرض قسطاً وعدلًا». ۵- وروی ابن حجر فی صواعقه المحرقهٔ عن أبی الحسن الأمری: الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۲۳ «إنّه وردت أخبار متواترهٔ وکثیرهٔ عن النبی صلی الله

علیه و آله سیظهر المهدی وهو من أهل بیت النبی صلی الله علیه و آله ... ویملأ الأرض قسطاً وعدلًا» «۱». ۶- قال صاحب کتاب «التاج» بعد أن أشار إلی کتاب «الشوکانی» أحد مشاهیر علماء العامة وقد ألفه بشأن الأحادیث المتواترة فی المهدی وخروج الدجّال وعودة المسیح وضمنه شرحاً فی تواتر تلک الأحادیث: «هذا یکفی لمن کان عنده ذرة من الإیمان وقلیل من انصاف» «۲». وللوقوف علی المزید من شرح الأحادیث التی روتها العامة فی قیام هذه النهضة العالمیة الکبری، راجع کتاب «المهدی» وکتاب «منتخب الأثر فی أحوال الإمام الثانی عشر».

منطق مخالفی أحادیث المهدی:

علمنا من البحث السابق أنّ نفراً قلیلًا من العامة عارض أحادیث المهدی ومنهم: المؤرخ المعروف ابن خلدون والکاتب المصری المعاصر أحمد أمین وإن تصدی لهم أغلب علماء العامة. مع ذلک لابدّ من التعرف علی آرائهم بهذا الخصوص. ویمکن ایجاز الاعتراضات فی خمسة مواضیع هی: ۱- اسناد اخبار المهدی لیست معتبرة! ۲- لا تنسجم الأخبار المذکورة مع العقل! الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۲۴ ۳- استغلال هذه الأخبار من بعض أدعیاء المهدویة! ۴- إنّ هذه الأخبار تؤدی إلی ضعف المجتمع الإسلامی! ۵- تصب هذه الأخبار فی صالح الشیعة وعقائدهم!

ضعف منطق المخالفین:

یستفاد من هذه الاشکالات أنّ لمخالفة أحادیث المهدی صبغة ظاهریة وهی ضعف سند الروایات الواردة بهذا الشأن، أو ضعف دلالاتها؛ وصبغة واقعیة تکمن خلف سابقتها ودافعها التعصب المذهبی، وبعض المصالح غیر المبررة، وعلی کلّ حال فإن منطق المخالفین أجوف تماماً وفی کلّ جانب وذلک لأنه: أوّلًا: أنّ أحادیث المهدی- کما ذکرنا سابقاً- وردت فی أغلب مصادر العامة المعتبرة فضلًا عن مصادر الشیعة، وقد رواها کبار محدثی العامة وقد صرح أغلبهم بتواترها. وعلیه فلا مجال لمناقشة اسنادها؛ ذلک لأن شهرتها وتواترها تغنینا عن ملاحظة السند، أی أنّ هذه الأحادیث علی ضوء معاییر تمییز الأحادیث، قطعیة. وبغض النظر عن ذلک فإن هنالک الأحادیث الصحیحة والمعتبرة بین تلک الأحادیث والتی اعترف بصحتها محدثو العامة. والعجیب اعتراف «ابن خلدون» بهذه الحقیقة، فقد ذکر ذلک بعد عدة صفحات من کتابه التی افردها لأحادیث المهدی وحاول اثارة الشکوک بخصوص اسنادها فقال: الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۲۵ «فهذه جملة من الأحادیث التی أخرجها الأئمّة فی شأن المهدی وخروجه آخر الزمان وهی کما رأیت لم یخلص منها من النقد إلّا القلیل والأقل منه». وهکذا فهو یعترف علی الأقل بأن القلیل من هذه الأحادیث صحیحة وتأبی النقد. أضف إلی ذلک فإن هذه الأحادیث لا تقتصر علی تلک التی ذکرها ابن خلدون فی کتابه، ومن هنا فقد ألف بعض علماء العامة کتباً ردوا فیها علی ابن خلدون وصرّحوا بتواتر أحادیث المهدی وعدم اقتصارها علی ما أورده، وأشرنا إلی ذلک سابقاً. ویتضح من ذلک أنّ انکار الأحادیث عن هذا الطریق، أی طریق تضعیف السند، هو انکار لا أساس له من الصحّة. ثانیاً: لم یرد فی الأحادیث المذکورة ما یناقض العقل لیکون مدعاة لانکارها. وحتّی إن بدا مضمون بعضها خلاف العادة فهو لا یفوق معاجز سالف الأنبیاء، والاستبعاد لا یمکنه الحیلولة دون قبولها. بالاضافة إلی أنّ أحادیث المهدی لیست وحدة متصله بحیث نقبلها جمیعاً أو نرفضها جمیعاً، بعبارة اخری فإن القدر المسلم من الأحادیث المذکورة، أی قیام شخص من أهل بیت النبی صلی الله علیه و آله ومن ولد فاطمة علیهم السلام وممارسته للنهضة الاصلاحیة العالمیة ومل الأرض قسطاً وعدلًا، لیس بالمطلب الذی یشکل علیه عقلیاً، بل اثبتنا سابقاً أنّ هذا الموضوع ینسجم مع سلسلة من الأدلة العقلیة، واما بعض الأحادیث المتعلقة بعلامات الظهور الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۲۶ وأمثال ذلک، فإن کانت مستبعدة ولیست واضحة من حیث السند ولا یمکن الوثوق بها، فلنا أن نردها، لکن لا علاقة لردّها بسائر الأحادیث. وخلاصة القول فإننا لا ندری لِمَ أغمض البعض عن تفکیک الأحادیث عن بعضها البعض الآخر ونقد

بعضـها دون الآخر، فوقع فی هـذا الخطأ الفاحش! فهـذه الأحادیث تقول إنّ المدنیة المادیة لا تصـلح البشـریة، وتبدو حرب فیتنام التی استغرقت ۲۵ سـنة انبوبـة اختبـار عجیبـة، یختبر بها جمیع المفکرین آرائهم، إلّاأننی کعالم دین أقول إنّ هـذا دلیل علی عجز المـدارس المادیة، وأنّ کافة الوسائل المادیة عناصـر تصـعِّد حدّة الأزمة إن افتقرت للإیمان، وهذا ما نلمسه فی سائر مناطق العالم. ثالثاً: إن کانت هـذه الأحـادیث لصالـح الشیـعة فهـل ذنب الشیـعة أم الأحـادیث؟! وما الـذی یمنع من قبول الحقّ کیفما اتضـح؟ إلی جانب ذلک فإن الأحادیث المذکورة وإن أیدت رأی الشیعة، لکن لیست هنالک من ملازمة بین قبول هذه الأحادیث وقبول التشیع، فما أکثر من یؤمن بنهضة المهدی لکنهم لیسوا شیعة. علی کلّ حال لا ینبغی لبعض التعصبات المقیتة أن تحول دون ادراک الحقیقة، فهذا الأمر أشبه بما یقوله المریض المـدین لطبیب ویکتب له وصـفة طبیـة تتضـمن شـفاؤه فلا یلتزم بها، لأنّه إن التزم بها وتماثل للشـفاء سـیقول الناس أنّ ذلک الطبیب ماهر. رابعاً: صـحیح هناک استغلال لهذه الأحادیث ولکن هل هنالک من حقیقة لم تستغل؟ فهل قلة هم أولئک الذین ادعوا النبوة والألوهیـة وسائر المقامات المعنویـة؟ الحکومـة العالمیـة للإمام المهـدی(عج)، ص: ۱۲۷ وهـل الأدیان المبتدعـة فی العالم قلیلـة؟! فهل ینبغی طرح کلّ هذه الحقائق خشـیة الاسـتغلال؟! أم هل ینبغی التنکر للألوهیة والنبوّة؟! وهل قلیل اسـتغلال مختلف القوی المادیة فی العالم؟ هل نتجاوزها جمیعاً؟ ما هذا المنطق؟! لقد شـهد القرن الثانی عشر ظهور اثنی عشر شخصاً کلهم ادّعی أنّه المسیح- وقد اسـتقطبوا عدداً من الأفراد- وهذا ما أثار بعض النزاعات والمعارک التی اودت بحیاة الکثیر من الناس «۱»، فهل یدعونا ذلک إلی انکار المسیح بذریعـة اسـتغلال البعض لهذه القضـیة! خامساً: کما ذکرنا فی بحث الانتظار فإن الاعتقاد بقیام المهدی بالنسـبة لأولئک الـذین یعیشون الانتظـار الحقیقی لاـ یوجب الخمول والرکود فحسب، بـل هو أسـاس الأمل والوقوف بوجه مشاکل الحیاة وصـعوباتها، علی غرار الإیمان باللّه وقـدرته المطلقـة الذی یمنح الإنسان قوة واقتداراً، ویبعده عن الشـعور بالیأس والاحباط. فانتظار المهدی عنصـر قوة وحرکة واصلاح. والحال لم یدرک البعض معنی هذا القیام کما ینبغی فنزع نحو الکسل والخمول والتهرب من المسؤولیة، وهؤلاء هم المقصـرون الحقیقیون کأولئک الـذین لم یدرکوا الإیمان باللّه وقدرته المطلقة. وزبدة الکلام إنّه لا یمکن التنکر لواقع قائم لبعض الذرائع الواهیة الجوفاء. الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۲۹

المهدی فی مصادر الشیعة الروائیة

تبدو قضـیة الإیمان بالمصـلح العالمی «المهدی» أکثر عمقاً ورصانة لدی الشیعة الإمامیة، ذلک لأنّ العامة إن آمنت بها کمسألة فرعیة، فإنّ الشیـعة تراها من الاصول الأصـلیة، فسلسـلة الأئمّة الاثنی عشـر تختتم به وهو خاتم الأوصـیاء. وقد ذهب بعض الباحثین فی الشؤون الإسـلامیة إلی أنّ الروایـات الواردة عن طرق العامـة بهـذا الشأن بلغت ۲۰۰ روایـة، بینما تجاوزت الالف روایـة من طرق الشـیعة. وإن عـدّت العامـة تلک الروایات فی المصـلح العالمی من الروایات المتواترة، فهی من «ضـروریات المذهب» لدی الشـیعة. ومن هنا کانت مؤلفـات علماء الشـیعة تفوق نظیرتها من علماء العامـة. ورغم أنّ جلّ اهتمام المؤلفات ترکز علی جمع الروایات دون التحلیل سوی فی بعض المـوارد، إلّاأنّ جهـوداً عظیمـة بـذلت لجمع تلـک الروایـات. ولعله یمکن الاشـارة فی هـذا الخصوص إلی ثلاثـة کتب- اُلفت بالاسـلوب المـذکور- تعتبر أکـثر شـمولیة مـن غیرهـا والـتی اُلفـت مـن بعض العلمـاء المعاصــرین وهی: الحکومـة العالمیـة للإمـام المهدی(عج)، ص: ۱۳۰ ۱- کتاب «المهـدی» للفقیه الجلیل سیّد صدر الدین الصدر. ۲- کتـاب «البرهان علی وجود صاحب الزمان» للعالم المجاهد المرحوم السیّد محسن الأمین. ۳- کتاب «منتخب الأثر فی أحوال الإمام الثانی عشر» للعالم الفاضل «لطف اللّه الصافی» بتوجیه وتشجیع المرحوم آیة اللّه البروجردی. والذی لخص باللغة الفارسیة تحت عنوان «البشارة بالأمن والأمان». ومصادر هذه الکتب، العدیـد من مؤلفات قدماء علماء الفریقین والتی اُلفت بصورة مستقلة أو علی سبیل الاشارة لهذا الموضوع. وحیث لا یسع الکتاب نقل جمیع الروایـات الواردة بهـذا الشـأن، فاننـا نکتفی بمقتطفـات من الکتـاب الأخیر علی أن نشیر فی الفصول القادمـة إلی بعض الأخبار والروایـات بما یتعلق بالبحث: ۱- تضـمن الفصـل الأوّل اشارة إلی بعض الأحادیث التی وردت بشأن الخلفاء وأوصـیاء النبی صـلی الله

عليه و آله الاثنى عشـر، وقـد أحصت ۲۷۱ حـديثاً من المصـادر المعروفـة للفريقين والتى عبرت عنه بمختلف العبـارات مثل «الإمام» و «الخليفة» و «الأمير» وما شابه ذلك. وقد جاءت هذه الأحاديث فى أهم مصادر العامّة ومصادر أهل البيت عليهم السلام. ولاترى الشيعة أية صـعوبة فى توجيه هذه الأحاديث. إلّاأنّ العامّة عانوا الأمرين فى توجيهها، فلا يسـعهم من جانبٍ انكارها لأنّها وردت فى مصادرهم المعتبرة، ومن جانبٍ آخر لم ينسـجموا مع عقيدة الشيعة بشأن «الأئمّة الاثنى عشر»؛ فقد ذهبوا أحياناً إلى أنّ الأصل هم الخلفاء الأربعة، ثمّ أضافوا لهم ثمانيـة خلفاء. الحكومـة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۳۱ والحال لو أرادوا حساب الخلفاء الـذين وصـفهم النبى صلى الله عليه و آله بالامـراء والأئمّـة الحقّ وإن اغمضوا، فـإنّه يتعـذر عليهم ذكر بعض الأفراد ضـمن الأئمّـة، كيزيـد بن معاويـة وسائر الحكّام من بنى أميـة، ولو أردنا حشـر بعض الأفراد الأكثر اعتدالًا، وبالنظر إلى وحدة أهداف وخطط بنى أمية وبنى العباس فإنّه ليسـت هناك من ضابطة، ناهيك عن المشـكلة التى يفرزها التقطيع لهذه السلسـلة الاثنى عشـرية من حيث الزمان. فزعموا أنّ الاثنى عشـر هم الخلفاء الراشدون وثمانية ممّن سـيأتون لاحقاً وآخرهم المهدى! وعلى هذا الضوء فإن فاصـلة كبيرة تتخلل سلسلة خلفاء النبى صلى الله عليه و آله وهذا ما لا ينسجم قط مع الروايات المذكورة. ۲- وردت فى الفصل الثانى الروايات التى تشير إلى أنّ عدد الأئمّة بعد النبى صلى الله عليه و آله كعـدد نقباء بنى إسـرائيل الـذين احصاهم القرآن ۱۲ نقيباً، وقد تضـمن ۴۰ روايـة من كتب الفريقين والتى تكمل البحث السـابق. ۳- الفصـل الثـالث الـذى اشـتمل على الروايـات التى تصـرّح بأنهم ۱۲ إمامـاً أولهم على عليه السـلام وقـد بلغت هـذه الروايات ۱۳۳ رواية. ۴- تضمن الفصل الرابع روايات عن مصادر الفريقين صرّحت بأن أوّل الخلفاء على عليه السلام وآخرهـم المهدى عليه السـلام. وبلغت روايات هذا الفصل ۹۱ رواية. ۵- وردت فى الفصل السابق الاشارة إلى الأحاديث التى صـرّحت بأن عـدد الأئمّة ۱۲ وتسـعة منهم من ولد الحسين بن على عليهما السلام. وقد تضمن الفصل ۱۳۹ رواية. ۶- بالاضافة إلى ما ورد فى الفصل السابق من أنّ عدد الأئمّة ۱۲ وتسعة الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۳۲ منهم من ولد الحسـين بن على عليهما السلام فقد ورد قيد آخر هو «تاسـعهم قائمهم» وتضـمن هذا الفصل ۱۰۷ رواية. ۷- تضـمن هذا الفصل الأحاديث التى اشارت إلى أسـمائهم، وبعض هذه الأحاديث من طرق العامّـة، إلّاأنّ أكثريتها من مصادر الشـيعة، وقد اشـتمل هذا الفصل على ۵۰ رواية. إلى جانب الروايات المستفيضـة فى الخصائص الجسمية والروحية للمهدى وعلامات الظهور وكيفية نهضته وحكومته العالمية وسائر القضايا المتعلقة بهذا القيام العظيم. ويتضـح من هذه الأحاديث أنّ المصـلح العالمى العظيم، المهدى الموعود يمتاز بالخصائص التالية: أ) إنّه من أهل بيت النبى صـلى الله عليه و آله وولـده. ب) إنّه من ولـد الإمام الحسـين عليه السـلام. ج) الإمام الثانى عشـر من الأئمّـة بعد النبى. د) هو ابن الحسن بن على العسـكرى. ه) صاحب الحكومة العالمية. و) يتحرر المستضعفون فى عصره من قيود واغلال الاسر، وتنتهى الحروب ويحل محلها الأمن والسـلام والبناء. وكما ذكرنا فإن عدد هذه الروايات من الكثرة بحيث تتطلب بمفردها كتاباً مستقلًا، وحيث أُلفت عدة كتب بهذا الشأن أشـرنا سابقـاً إلى بعضـها، فاننـا نتحفـظ عن الخـوض فى هـذه الروايـات، ونقتصـر على بعض الاشـارات فى الحكومـة العالميـة للإمـام المهدى(عج)، ص: ۱۳۳ الأبحاث القادمة لإكمال الأبحاث السابقة. والمشـكلة فى هذه المباحث أنها غالباً ما تقتصر على نقل الروايات دون أدنى تحليل أو مناقشـة، وهـدفنا فى هذا الكتاب هو الغوص بصورة أعمق فى الأدلة العقلية، والوقوف عند الأدلّة النقلية والروايات وتسليط الضوء عليها. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۳۵

ملامح انطلاقة النهضة

علامات الظهور

اشارة

هل هنالك من علامات على قرب هـذه النهضـة العالمية؟ هل يمكن التكهن بأنّ هذه النهضة سـتقع الآن أم لا؟ هل يمكن التسـريع فى

انطلاقـة هذه النهضة؟ إن كان هذا الأمر ممكناً، فما هى الوسائل التى من شأنها التسريع فى الزمان؟ لابدّ من القول إنّ الاجابة عن أكثر هـذه الأسـئلة بالايجاب. لأنّ أيّـة عاصـفة عظيمـة لا تنطلق دون مقدّمـة، ولا تحدث نهضة فى مجتمع بشرى دون علامات مسبقة. فقد وردت أشارات فى الأحاديث الإسـلامية إلى سلسلة من العلامات التى تشير إلى قرب وقوع تلك النهضة الشاملة والتى يمكن تقسيمها إلى قسـمين: الطائفـة الاولى: العلامات التى يمكن التكهن بها حسب خصائص كلّ نهضة. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۳۸ الطائفـة الثانيـة: الجزئيـات والتفاصـيل الـتى يمكن ادراكهـا من خلالـ المعلومـات الاعتياديـة، وتنطوى فى الغـالب على تكهنـات اعجازية. ونشير هنا إلى «ثلاث علامات مهمّة» من الطائفتين:

۱- شمولية الظلم والفساد

العلامـة الاولى التى يمكن من خلالهـا تصور قرب وقوع كـلّ نهضـة- حتّى هـذه النهضـة الكبرى- اتساع رقعـة الظلم والجور والفساد والتطاول على حقوق الآخرين وأنواع المفاسـد الاجتماعيـة والانحرافات الأخلاقيـة التى تعـد من عوامل سـعة الفساد فى المجتمع. فمن الطبيعى أن يختزن الضـغط الـذى يتجاوز حـدّه الانفجار، ذلك لأنّ الانفجارات الاجتماعيـة على غرار الانفجارات الميكانيكيـة تسـتتبع الضـغوط الشديدة الزائدة عن الحدّ. وبالطبع فإنّ سـعة الظلم والفساد بوسـيلة أمثال «الضـحاك» فى كلّ زمان إنّما تسـقى شـجرة الثورة وترعرع أمثـال «كـاوه الحـداد» عنـد كورة النار، حتّى إذا اشـتدت الأزمـة، اقتربت انطلاقـة الثورة. ولعلّ الأمر كـذلك بالنسـبة لاقتراب النهضة العالمية وظهور المصـلح العالمى المهدى. غاية الأمر وكما أشرنا سابقاً فإنّه ليست هنالك من ضرورة لأن نكون كبعض الأفراد السـلبيين فنفكر فى المزيد من الظلم والفساد، بل لابدّ أن نسـعى إلى تهذيب أنفسنا والآخرين وإعداد الثُّلُة المقتدرة والشجاعة والعالمة التى يمكنها حمل لواء النهضـة ومواجهـة الظلم والفساد. على أيّـة حال فقد ورد هذا الموضوع فى أغلب الروايات الإسـلامية الحكومة العالميـة للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۳۹ تحت عنوان «كمـا ملئت ظلمـاً وجوراً». ذكرت عين هـذه العبـارات فى أغلب الأحـاديث التى روتها مصادر الفريقين. ويسـتفاد من مجموعها أنّ أوضح علامات النهضة هى هذا الموضوع. وهنا يرد هذا السؤال: هل يختلف «الظلم» عن «الجور» حيث تكرر هـذان العنوانـان كثيراً؟ يسـتفاد من جـذور هـاتين المفردتين أنّ التجاوز على حقوق الآخرين على نوعين ورد كلّ منهما مسـتقلًا فى الآداب العربيـة. الأوّل: إنّ يهضم الإنسان لنفسه حقّاً آخر ويغتصب عناء الآخرين وهذا ما يسـمى بالظلم. والآخر: أن يسـلب الأفـراد حقوقهم ويعطيهـا لآخرين، ويسـلط أنصاره على أموال الآخرين أو أنفسـهم أو اعراضـهم ويميز بينهم لترسـيخ دعائم حكومته، وهـذا مـا يصـطلح عليه بـالجور. والـذى يقابـل «الظلم» هو «القسـط» ويقابل «الجور» «العـدل» «۱». على كـلّ حـال فحين يعمّ «التجاوز» بحقوق الآخرين المجتمع البشرى من جانب و «التمييز العنصرى» من جانب آخر، فإنّه يظهر ويطيح بكلّ ذلك. ما ذكر سابقاً، كليات بشأن سعة الفساد كعامل فى كلّ نهضـة. والجدير ذكره أنّ الروايات الإسـلامية قد أشارت إلى هذه العلامات الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۰ والمفاسـد وكأنّ هذه التكهنات ليست مرتبطة بالقرون الأربعة عشـر الماضـية، بل كأنّها وردت فى هذا القرن أو قبـل بضع سـنوات وقـد نلمس اليوم أغلبهـا وهـذا من المعاجز. ومن ذلك روايـة الإمام الصادق عليه السـلام التى أشارت إلى عشـرات الأنواع من هذه المفاسد ولبعضـها جوانب اجتماعيـة وسياسـية واخرى أخلاقية، تدعو مطالعتها إلى تأمل الإنسان واسـتغراقه فى التفكير. وإليـك جانب من متن هـذه الروايـة: قال الصادق عليه السـلام لبعض أصـحابه: «۱- إذا رأيت الجور قـد شـمل البلاد. ۲- إذا رأيت القرآن قـد خلق واحـدث مـا ليس فيه ووجه على الأـهواء. ۳- إذا رأيت الـدين قـد انكفـأ كما ينكفى الإناء. ۴- إذا رأيـت أهل الباطل قد استعلوا على الحقّ. ۵- إذا رأيت الرجال قد اكتفوا بالرجال والنساء بالنساء! ۶- إذا رأيت المؤمن صامتاً. ۷- إذا رأيت الصغير يستحقر الكبير. ۸- إذا رأيت الاحارم قـد تقطعت. ۹- إذا رأيت الثناء قـد كثر. ۱۰- إذا رأيت الخمور تشـرب علانية. ۱۱- إذا رأيت سبيل الخير منقطعاً وسبيل الشر مسلوكاً. ۱۲- إذا رأيت الحلال يحرَّم والحرام يحلَّل. الحكومـة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۱ ۱۳- إذا رأيت الدين بالرأى. ۱۴- إذا رأيت المؤمن لا يستطيع أن ينكر إلّابقلبه. ۱۵- ورأيت العظيم من المال ينفق فى سخط اللَّه. ۱۶-

ورأيت الولاة يرتشون فى الحكم! ۱۷- ورأيت الولاية قبالة لمن زاد! ۱۸- ورأيت الرجل يأكل من كسب امرأته من الفجور! ۱۹- ورأيت القمار قد ظهر. ۲۰- ورأيت الملاهى قد ظهرت يمر بها لا يمنع أحد أحداً، ولا يجترء أحد على منعها. ۲۱- ورأيت القرآن قد ثقل على الناس استماعه وخف على الناس استماع الباطل. ۲۲- ورأيت الجار يكرم الجار خوفاً من لسانه! ۲۳- ورأيت المساجد قد زخرفت! ۲۴- ورأيت طلب الحجّ لغير اللّه. ۲۵- ورأيت قلوب الناس قد قست! ۲۶- ورأيت الناس مع من غلب! ۲۷- ورأيت طالب الحلال يذم وطالب الحرام يمدح! ۲۸- ورأيت المعازف ظاهرة فى الحرمين. ۲۹- ورأيت الرجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فيقوم إليه من ينصحه فيقول هذا عنك موضوع! ۳۰- ورأيت المساجد محتشية ممن لا- يخاف اللّه! الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۲ ۳۱- ورأيت الناس همهم فى بطونهم وفروجهم! ۳۲- ورأيت الدنيا مقبلة إليهم. ۳۳- ورأيت النساء يبذلن أنفسهن لأهل الكفر. ۳۴- ورأيت اعلام الحقّ قد درست. ۳۵- ورأيت الحرب قد أديل من العمران! ۳۶- ورأيت الرجل معيشته من بخس المكيال والميزان. ۳۷- ورأيت الرجل عنده المال الكثير لم يزكِّهِ منذ ملكه. ۳۸- ورأيت الرجل يمسى نشواناً ويصبح سكراناً. ۳۹- ورأيت الناس ينظر بعضهم إلى بعض ويقتدون بأهل الشرور! ۴۰- ورأيت كلّ عام يحدث فيه من الشر والبدعة أكثر ممّا كان! ۴۱- ورأيت الخلق والمجالس لا يتابعون إلّاالأغنياء. ۴۲- ورأيتهم يتسافدون كما تتسافد البهائم! ۴۳- ورأيت الرجل ينفق الكثير فى غير طاعة اللّه، ويمنع اليسير فى طاعة اللّه. ۴۴- ورأيت الرجل إذا مرّ به يوم لم يكسب فيه الذنب العظيم ... حزيناً! ۴۵- ورأيت النساء قد غلبن على الملك وغلبن على كل أمر. ۴۶- ورأيت رياح المنافقين دائمة، ورياح أهل الحقّ لا تتحرّك. ۴۷- ورأيت القضاة يقضون بخلاف ما أمر اللّه. ۴۸- ورأيت المنابر يؤمر عليها بالتقوى، ولا يعمل القائل بما الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۳ يأمر! ۴۹- ورأيت الصلاة قد استخف بأوقاتها. ۵۰- ورأيت الصدقة بالشفاعة لا يراد بها وجه اللّه .... فكن على حذر واطلب إلى اللّه النجاة» «۱». كما ذكرنا فما أوردناه خلاصة من حديث كإشارة لبعض المفاسد التى تسبق النهضة العالمية الكبرى. ويمكن تقسيم هذه المفاسد إلى ثلاثة أقسام: ۱- المفاسد المتعلقة بقضايا الحقوق والحكومات مثل اتساع الظلم وغلبة حماة الباطل وانعدام حرية البيان والعمل حتّى لا يستطيع المؤمنون انكار الظلم والظلمة سوى بقلوبهم، إلى جانب صرف الأموال العظيمة فى المصارف العبثية أو الضارة والهدامة واتساع الرشوة والمزايدة على المناصب ونزوع الناس الضعفاء والذين يفتقرون إلى الثقافة الصحيحة نحو أصحاب القدرة والغلبة (مهما كان ذلك الشخص) وكذلك انفاق الأموال فى الحروب وسباق التسلح والاهتمام بها أكثر من العمران والبناء (حتّى تكون ميزانية الحرب أكثر من ميزانية البناء). كما يبتدع كلّ عام سبيل جديد للفساد والظلم والاستعمار، وقل من يشعر بالمسؤولية تجاه المشاكل الاجتماعية حتّى ليوصى بعضهم البعض بالصمت إزاء الأحداث. ۲- المفاسد المرتبطة بالقضايا الأخلاقية من قبيل: اتساع التملق والمجاملة وانهماك الرجال بالأفعال الوضيعة (كالارتزاق عن طريق الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۴ المتاجرة بالزوجة!) إلى جانب اتساع الشراب والقمار وأنواع الملاهى المحظورة والقول دون العمل والاستغراق فى الظاهر واحترام الأفراد على أساس الغنى والثراء. ۳- المفاسد ذات الصلة بالامور الدينية من قبيل تحميل الأهواء على القرآن وتفسيره بالرأى والتعصب الشخصى فى القضايا الدينية وتجمهر العصاة فى المساجد، والاهتمام بظاهر المساجد دون باطنها ومحتواها وبالتالى الاستخفاف بالصلاة وما شابه ذلك. ولو تأملنا قليلًا لرأينا أنّ أغلب هذه المفاسد تسود المجتمعات الراهنة ويتوقع حدوث ما تبقّى منها، وعليه فما الذى ينبغى علينا اعداده لقيام تلك النهضة العظيمة؟ الجواب ما ذكرناه سابقاً وهو أننا نفتقر إلى الوعى المطلوب، بعبارة اخرى رد الفعل البناء والثورى إزاء هذه المفاسد. على كلّ حال فإنّ ظهور هذه العلامات لوحدها ليست شرطاً فى تحقق تلك النهضة الشاملة؛ بل هى مقدمة لليقظة الفكرية وأسواط لايقاظ الأرواح الغافلة وأرضية لخلق الاستعداد الاجتماعى والنفسى. والعالم مطالب شاء أم أبى بتحليل جذور هذه الاختلالات بالاضافة إلى نتائجها وعواقبها، وهذا ما يؤدى إلى وعى ذاتى عام يوقنُ الناس من خلاله باستحالة مواصلة الوضع السائد ولابدّ من النهضة؛ النهضة على جميع الأصعدة لإرساء قواعد النظام الإلهى العادل الحقّ. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۵ جدير بالذكر أنّه ليس من الضرورى ظهور هذه المفاسد فى كافة أنحاء العالم؛ ويتعذر حصول

هـذا الشـرط لو کـان هنـاک بقعـة طاهرة، بل المعیار القضـیة النوعیـة للناس سواء کانت فی الشـرق أو الغرب. وبعبارة اخرى فإن هـذا الحکم کسائر أکثر الأحکام على أساس الاسلوب الغالب.

۲- الدجّال

عادة ما یتبادر إلى الذهن حین الحدیث عن الدجّال وعلى ضوء السابقة الذهنیة العامة شخص معین ذو عین واحدة وجسد ضخم ودابة خیالیـة وسـیظهر قبل نهضـة المهـدی العالمیـة ولدیه بعض الخطط والمشاریع. ولکن کما یسـتفاد من الأصل اللغوی لکلمة الدجّال من جانب «۱» ومصـادر الحـدیث من جـانب آخر أنّ الـدجّال لاـ یقتصـر على فرد معین، بـل هو عنوان کلی للأفـراد المزورین والماکرین والمخادعین الـذین یعتمدون مختلف الطرق والوسائل لاسـتقطاب الآخرین ویظهرون کحجر عثرة أمام النهضة البناءة. جاء فی الحدیث الصـحیح الـذی أورده الترمذی أنّ رسول اللَّه صـلى الله علیه و آله قال: «إنّه لم یکن نبی بعد نوح إلّاانذر قومه الدجّال وأنا أُنذرکموه» «۲». قطعاً کان الأنبیاء السابقون یحـذرون قومهم من فتنة الدجّال الذی یظهر الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۴۶ فی آخر الزمان ویبتعد عنهم مدّة آلاف السـنین. خاصة أنّه ورد آخر الحدیث «فوصفه لنا رسول اللَّه فقال لعلّه سیدرکه بعض من رآنی أو سمع کلامی». الاحتمال الراجـح أنّ ذیل الحـدیث إشارة إلى الطواغیت الماکرین کبنی أمیـة وبعض الأفراد مثل معاویـة الذی اسـتغل بعض الامـور من قبیـل «خـال المؤمنین» و «کـاتب الوحی» إلى جانب سائر المکر والخـداع واخراج الناس من الصـراط المسـتقیم إلى السـنن والعادات الجاهلیة واشاعة الطبقیة والحکومة الاسـتبدادیة وتسـلیط الطالحین والمتملقین على الناس واقصاء الفضـلاء والصالحین. وکما ورد عنه صلى الله علیه و آله فی الدجّال أنّه قال: «ما من نبی إلّاوقد انذر قومه ولکن سأقول فیه قولًا لم یقله نبی لقومه تعلمون أنّه أعور ...». وترکیز الأحـادیث على زمان نوح علیه السـلام یمکن أن یکون إشارة إلى أبعـد زمان، أو عـدم وجود نموذج الـدجّال فی الأزمنة التی سـبقت نوح، وذلک لأنّ الشریعة الاولى إنّما أتى بها نوح، أو لعدم نفوذ الحیلة والخداع فی المجتمعات البشریة السابقة. على کلّ حال هناک تفسیر لصفة العین الواحدة للدجّال والتی سنتناولها لاحقاً. الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۴۷ جدیر ذکره أنّ بعض الأحـادیث «۱» صـرحت بظهور الـدجّال قبل المهـدی بثلاثین سـنة! کما أشارت الأناجیل إلى ظهور الدجّال. فقد جاء فی الرسالة الثانیـة لیوحنا: «سـمعتم بظهور الدجّال فقد ظهر الآن الکثیر من الدجّالین». «۲» فالعبارة تؤکـد تعـدد الدجّالین. وجاء فی الحدیث: «قال رسول اللَّه صلى الله علیه و آله لا تقوم الساعة حتّى یخرج نحو من ستین کذّاباً کلّهم یقول أنا نبی» «۳». ورغم أنّ عنوان الدجّال لم یرد فی هـذه الروایـة، ولکـن یفهم منهـا اجمالًا أنّ المـدعین الکـاذبین والمخـادعین فی آخر الزمـان لاـ یقتصـرون على شـخص أو بضـعة أشـخاص. على کلّ حال ما لا یمکن الترديد فیه أنّ انطلاقة أیة نهضة وفی أی مجتمع تشهد وجود بعض الأفراد الذین یمارسون الحیلة والمکر والخـداع على ضوء الابقـاء على الأنظمـة الفاسـدة ودیمومـة الأوضـاع القائمـة واسـتغلال أوضـاع النـاس الفکریـة والاجتماعیة وتوظیفها لصالحهم، وأبعـد الحکومـة العالمیـة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۴۸ من ذلک أنّهم ربّما یطلقون الشـعارات الثوریـة، وهـذه إحـدى العقبات التی تشـکل أعظم موانع الاصـلاح والنهضـة الأصـیلة. فهؤلاء بعض الدجّالین الذین حذر الرسل منهم أممهم ونبهوهم إلى خطورة خططهم الجهنمیة. غایة الأمر أنّه قبیل ظهور المهدی وتلک النهضة العظیمة والشاملة الحقّة، فإنّ الأرضـیة الفکریة والنفسیة والاجتماعیة کلما کانت أکثر اعداداً على النطاق العالمی، تتضاعف انشطة هؤلاء الدجّالین فیأخذون بالظهور الواحد تلو الآخر؛ لیعرقلوا تطور المجالات الثوریة ویعتمدوا آلاف الحیل بغیة حرف الأفکار العامّة. طبعاً لا ضـیر أن یکون هنالک دجّال کبیر على رأس الجمیع. أمّا العلامـات الـتی ذکرتهـا بشـأنه بعض الروایـات فلاـ تعـدو الکتابـة والرمز؛ مثلًا، یسـتفاد مـن الروایـة الـواردة فی بحـار الأنـوار عن أمیرالمؤمنین علی علیه السـلام أنّ الدجّال یتصف ببعض الصـفات مثل: ۱- إنّ له عیناً واحـدة وسط جبهته تضـیء کالنجم! إلّاأنها عین دمویة کأنها قطعة من الدم! ۲- له دابة سـریعة بیضاء خطوتها میل وتطوی الأرض بسرعة! ۳- إنّه یدعی الألوهیة ویسمع صوته کلّ من فی العالم! ۴- إنّه یغوص فی البحار وتنطلق معه الشمس، بین یدیه جبل من الدخان وخلفه جبل أبیض یراه الناس طعاماً. ۵- یظهر حین

يعيش النـاس القحط و ... «۱». لا شك أننا لسـنا مخولين أن نضـفى الرمزيـة على كلّ مفهوم من المفاهيم الدينية الواردة فى القرآن أو مصادر الحـديث، ذلك أنّ هذا الأمر من قبيل الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۹ التفسير بالرأى الذى نهى الإسلام عنه، والـذى يرفضه أيضاً العقل والمنطق، مع ذلك ليس من الصواب الجمود على المفهوم الابتدائى للألفاظ مع وجود بعض القرائن العقلية أو النقليـة الواردة بهـذا الخصوص والذى يوجب الابتعاد عن المفهوم الأصـلى للكلام. ويبدو أنّ مثل هذه المفاهيم بشأن حوادث آخر الزمان ليست بدعاً من المفاهيم الكنائية، ومن ذلك ما ورد من خبر أنّ «الشمس تطلع من المغرب» «۱». وهذا من أعقد الامور المرتبطة بهـذه القضـية والـذى لا ينسجم ظاهراً مع العلم الحـديث؛ ذلك لأن طلوع الشـمس من المغرب يعنى تغيير مسـيرة حركة الأرض، فلو حصل هذا الأمر فجأة، لقذف بمياه البحار وكلّ ما على سـطح الكرة الأرضـية خارجاً ولاضـطرب كلّ شىء، ولا يبقى شىء من الحياة، وإن حصل بالتدريج فإنّ طول الليل والنهار يزيد حتّى يتجاوز الشـهر والشـهرين ويؤدى أيضاً إلى اضـطراب الكائنات على سطح الكرة الأرضـية! لكن هنالك تفسـيراً رائعاً فى ذيل الحـديث الوارد بشأن الـدجّال يفيد كنائية هذه العبارة. فراوى الحديث هو «نزال بن سبرة» سـأل «صعصـعة بن صوحـان» أنّ أميرالمؤمنين علياً عليه السـلام قال فى آخر كلامه عن الـدجّال «لا تسألوا عن الحوادث التى تقع بعد ذلك ...» فما كان مراده؟ قال صعصـعة: «إنّ الذى يصلى خلفه عيسى بن مريم هو الثانى عشر من العترة التاسع الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۵۰ من ولد الحسـين بن على، وهو الشمس الطالعة من مغربها» «۱». وعليه فليس هنالك ما يدعو إلى الدهشة فى أنّ للدجّال الذى ورد بالصـفات المذكورة بعداً كنائياً. والسؤال هو كيف تفسـير ذلك؟ والجواب: لا يبعد أن يكون الدجّال بالصـفات المذكورة اشارة إلى قادة المدارس المادية فى العالم، للأسباب التالية: ۱- لهؤلاء عين واحدة هى العين الاقتصادية والحياة المادية؛ فهم لا يرون سوى بعـداً واحداً هو المنافع المادية؛ ويعتمدون مختلف الحيل والألاعيب والسـياسات الاسـتعمارية بغية تحقيق أهدافهم، فهم دجّالون ومخادعون فقدوا أعينهم المعنوية والإنسانية. إلّا أنّ هذه العين المادية حادة جدّاً تحقق تطورات باهرة فى المجالات الصـناعية حـتّى تفوقوا على كـلّ من سواهم. ۲- لـديهم الوسائل النقلية الغاية فى السـرعة والتى تطوى الأرض فى مدّة قياسـية بسـرعة ربّما تفوق سرعـة الصوت! ۳- إنّهـم يـدعون الألوهيـة عملياً ويسـيطرون على كافـة المقـدرات ورغـم ضـعفهم وعجزهم إلّاأنّهم يغزون الفضـاء ويصـعدون إلى القمر، مع العلم أنّ هزة أرضية بسيطة أو اصابة إحدى خلايا أجسامهم بالسرطان كافية للقضاء عليهم، ورغم كلّ ذلك وعلى غرار فرعون يـدعون الألوهيـة والربوبية. ۴- يغوصون فى ميـاه البحـار بغواصاتهم المتطورة وينطلقون بوسائلهم السـريعة بمسـيرة الشـمس (وأحياناً يتقـدمون على مسارها). بين يـديهم الحكومـة العالميـة للإمام المهـدى(عـج)، ص: ۱۵۱ معامـل ضـخمة يخرج منها الـدخان وخلفهم جبال من المنتجات الصـناعية والمعادن الغذائية (تراها الناس مواد غذائية وأطعمة سالمة، والحال ليس لها قيمة غذائية وغالباً ما تكون أطعمـة غير سالمة). ۵- يصاب الناس بقحط وشـحة فى المواد الغذائية- لبعض الأسـباب من قبيل الاستغلال والاستعمار والتمييز العنصـرى وهدر الثروات الضـخمة على الأسلحة ونشوب الحروب وما تؤدى إليه من دمار شامل واضرار مادية جسيمة تنعكس سلباً على حياة الناس- حتّى يموت البعض جوعاً، والدجّال بصـفته العنصـر الأصـلى فى هذه الاضـطرابات يستغل هذه الأوضاع فيسارع إلى اغاثة المحرومين والضـعفاء بغية ترسـيخ دعائمه الاسـتعمارية. كما ورد فى بعض الروايات أنّ كلّ قطعة من وسيلة الدجّال تتضمن نغمـة خاصـة وجديـدة، وهو الأمر الـذى ينطبق على كلّ هـذه الوسائل المعتمـدة فى اللهو واللعب والتى نشاهدها فى البيوت والحدائق العامـة وشواطئ البحار. والمهم فى الأمر هو عـدم انخـداع العناصـر الثورية، أى جنود المصـلح العظيم المهدى الموعود بتلك المظاهر المزيفة وعدم الغفلة عن استغلال أية فرصة بغية الاندفاع بكلّ حزم وممارسة النهضة الاصلاحية فى اشاعة العدل والحقّ. طبعاً ما ذكرناه تفسـير احتمالى للـدجّال على أساس بعض القرائن المؤيدة، إلّاأنّ قبوله أو عدم قبوله لا يضـر بأصل الموضوع، فى أنّ لصـفات الدجّال بُعداً كنائياً، وهو ليس بإنسان يمتاز بهذه الصفات.

۳- ظهور السفيانى

ورد ظهور «السفيانى» كظهور «الدجّال» فى أغلب مصادر الفريقين الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۵۲ بصفته إحدى علامات ظهور المصلح العالمى العظيم، أو إحدى حوادث آخر الزمان «۱». وإن أشارت بعض الروايات إلى أنّ السفيانى شخص معين من آل أبى سفيانى وأحد ولده؛ إلّاأنّه يستفاد من بعضها الآخر أنّ السفيان ليس فرداً معيناً، بل اشارة إلى صفات وملامح تتجلى فى بعض الأفراد على طول التاريخ. فقد ورد عن الإمام على بن الحسين عليهما السلام أنّه قال: «أمر السفيانى حتم من اللّه ولا يكون قائم إلّابسفيانى» «۲». ويتضح من هذا الحديث أنّ للسفيانى جانباً توصيفياً لا شخصياً وصفاته هى خططه وخصائصه، كما يستفاد أنّ هنالك سفيانياً (أو أكثر) تجاه كلّ رجل ثورى ومصلح حقّ. وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «أنا وآل أبى سفيان أهل بيتين تعادينا فى اللّه. قلنا صدق اللّه وقالوا كذب اللّه: قاتل أبو سفيان رسول اللّه صلى الله عليه و آله وقاتل معاوية على بن أبى طالب عليه السلام وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن على عليه السلام والسفيانى يقاتل القائم» «۳». وقد تعرفنا فى المبحث السابق على دور الدجّالين فى مضادة الثورة الاصلاحية. ونحاول هنا التعرف على خطط السفيانى الشيطانية؛ وذلك لضرورة التعرف على كافة العناصر المناوئة والمناصرة للمشروع العالمى بغية تحقق الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۵۳ المفهوم الصحيح للانتظار. يمتاز أبو سفيان زعيم السلسلة السفيانية ببعض الصفات مثل: ۱- الثراء الفاحش الذى ناله من خلال غصب حقوق الآخرين والمعاملات الربوية المحرمة. ۲- القدرة والقوة التى حصل عليها بواسطة الطرق الشيطانية فتزعم الأحزاب الجاهلية فى مكّة ونواحيها، وكانت خلاصة شخصيته فى هذين الأمرين. وكانت له حكومة فى مكّة قبل انبثاق الدعوة، إلّاأنّ هذه الحكومة تهددت بالزوال بعد ظهور الإسلام، ذلك لأن الإسلام إنما يعادى هؤلاء الأفراد الذين يتمتعون بالقدرات الشيطانية، ومن هنا فقد كان أبو سفيان عدواً لدوداً للإسلام. ۳- كان أبو سفيان مظهر النظام الطبقى الظالم فى المجتمع المكّى، ولذلك بذل كلّ دعمه واسناده للوثنية وعبادة الأصنام؛ فالأصنام أفضل وسيلة لإثارة النفاق وتخدير الآخرين، وبالنتيجة التسلط عليهم وفرض السيطرة. وسر معارضته للإسلام- كما قلنا- أنّ الإسلام زعزع أركان سلطته وكشف النقاب عن شخصيته المريضة، ومن هنا فلم يألو جهداً من أجل القضاء على الدعوة الإسلامية. لكن انتهى الأمر إلى تحطيم كافة معاقل قوته ليعيش التقوقع والانزواء وإلى الأبد، رغم بعض تحركاته السرية المشبوهة. وقد نقل كلّ هذه الصفات- من خلال التربية والوراثة- إلى ولده معاوية ومن ثمّ حفيده يزيد، فتابعا خطط أبى سفيان- بصورة اخرى- وإن فشلا فى تحقيق أهدافهما. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۵۴ كان أبو سفيان رجلًا رجعياً بمعنى الكلمة شعر بالهلع من الدعوة الإسلامية، ذلك لأن الإسلام تضمن المشاريع الاصلاحية الشاملة التى غيّرت كافة الأوضاع الفاسدة فى ذلك المجتمع المتخلف، وهو التغيير الذى يطيح بهذه الرموز الفاسدة كأبى سفيان وأمثاله. ومن هنا ندرك سبب سعى ولده واسلافه للقضاء على الإسلام واعادة الامّة إلى العصر الجاهلى، وإن لم يكتب لهم النجاح؛ مع ذلك فقد سددوا ضربات موجعة حالت دون تطور المسلمين وانتشار الإسلام. ولا نريد الابتعاد عن أصل الموضوع فقد طالعتنا الأحاديث السابقة أنّ ظهور أبى سفيان بهذه الصفات لم يكن من خصائص النهضة الإسلامية، فازاء كلّ قائم ومصلح هناك أبو سفيان بتلك الخصائص من قبيل الثراء والقدرة والظلم والرجعية واشاعة الخرافات، والذى يسعى إلى القضاء على جهود المصلح وخططه الاصلاحية، أو على الأقل الحيلولة دون انتشار الاصلاح. وسيكون هنالك سفيانى أو أكثر يقف بوجه المصلح العالمى العظيم «المهدى» والذى يسعى بكلّ ما اوتى من قوة لعرقلة المسيرة الاصلاحية للمهدى والحيلولة دون فناء الأنظمة الطبقية الظالمة التى تسعى لاستغلال الامّة ونهب ثرواتها وخيراتها. ولعلّ الفارق الرئيسى بين السفيانى والدجّال أنّ الدجّال يعتمد الزيف والخداع والحيلة فى ممارساته الشيطانية، بينما يعتمد السفيانى على قدراته الجهنمية الهدامة فى أفعاله، حيث ورد فى بعض الأخبار أنّه يستولى على الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۵۵ المناطق العامرة فى الأرض «۱». والذى ندرك نظيره فى حكومة أبى سفيان ومعاوية ويزيد كما يفيد التاريخ. نعم، ليس هنالك ما يمنع أن يكون السفيانى الذى يقف آخر الزمان بوجه المصلح العالمى الكبير «المهدى» من ولد أبى سفيان واحفاده الذين ينتمون إليه كما ورد فى بعض الأخبار. لكن الأهم من مسألة النسب أنّ مشاريعه وصفاته وخصائصه وجهوده ومساعيه كنظيرتها لدى أبى سفيان. وستكون عاقبة هذا السفيانى كسائر من سبقه،

الركوع أمام حركة المهدى العالمية والاستسلام لها وتذهب كلّ جهوده ومساعيه أدراج الرياح. والأهم من كلّ ذلك أن يتعرف الناس على نماذج «الدجّال» و «السفياني». وينطوى هؤلاء السفيانيون- بغض النظر عن العلامات المذكورة- على صفة اخرى واضح نموذجها فى التاريخ الإسلامى وهى: أنّهم يقصون الصلحاء من مسرح الحياة ويستعيضون ببعض الأفراد الطالحين والمنحرفين، يتقاسمون بيت المال- كما ورد فى حكومة اسلاف أبى سفيان- مع بطاناتهم وذويهم، ويعتمدون التمييز بين الناس وهضم حقوقهم، وهكذا يمكن من خلال هذه الصفات التعرف عليهم. فالدجّالون يشكلون الصفوف المشبوهة فى الجبهة المناهضة للنهضة، الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۵۶ اما السفيانيون فيمثلون الصفوف المضادة للنهضة علانية، ولكليهما فى الواقع موقف واحد، وبالطبع ليس هنالك من ضمانة لتقدم هذه النهضة وديمومتها دون القضاء على هذه الجبهة. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۵۷

العقيدة الشيعية فى المهدى عليه السلام

اشارة

والأسئلة التى تفرزها تلك العقيدة

المهدى ثانى عشر خلفاء النبى صلى الله عليه و آله

ما أوردناه لحدّ الآن فى هذا الكتاب بشأن «المصلح العالمى المطلق» و «مشاريع المهدى الثورية» كانَ جانباً كلياً عقلياً، وآخر إسلامياً كلياً. إلّاأنّ هنالك بعض الخصائص التى تتميز بها العقيدة الشيعية المستندة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام. وسنسلط الضوء هنا على بعض هذه الخصائص ومنها: ۱- عقيدة الشيعة هى أنّ المهدى هو ثانى عشر خلفاء النبى صلى الله عليه و آله وابن الإمام الحسن العسكرى عليه السلام، اسمه محمّد وكنيته أبو القاسم ولقبه المهدى وصاحب الزمان والقائم. ۲- المهدى حى الآن وقد مضى عليه أكثر من ألف سنة حيث ولد سنة ۲۵۵ ه. ۳- إنّ المهدى رغم حياته الآن، إلّاأنّه غائب عن الأنظار، أى رغم أنّه يتمتع بحياة طبيعية، إلّاأنّه يعيش بصورة مجهولة فى هذا العالم. أمّا سائر الفرق الإسلامية- سوى القلة- فتعتقد أنّه سيولد آخر الزمان وإن كان من نسل النبى صلى الله عليه و آله. وعليه فهى لا تقول بهذا العمر المديد له والغيبة الطويلة، وبالطبع فإن القليل من العامّة ترى أنّه من ولد الإمام الحسن الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۶۰ العسكرى عليه السلام. على كلّ حال فإن عقيدة الشيعة تثير ثلاثة أسئلة:

السؤال الأوّل:

وهو السؤال الوارد بشأن طول العمر والمطروح منذ قديم الزمان وهو: كيف يمكن أن يعمر الإنسان هذه المدة، والحال لم نر من تجاوز عمره المئة إلى المئة وعشرين سنة! فكيف يمكن توجيه ذلك العمر الطويل على ضوء الأعمار المتعارفة والتى نشاهدها لدى الناس من حولنا؟

السؤال الثانى:

بشأن فلسفة هذه الغيبة الطويلة وهو: ما سرّ غيبة زعيم المجتمع الإسلامى كلّ هذه المدّة المديدة؟

السؤال الثالث:

الـذی یرتبط بالسؤال الثانی- وإن کان مسـتقلّا- حول فائـده وجود الإمام فی عصـر الغیبـهٔ، فما الـدور الـذی یلعبه هـذا الزعیم الـذی لا ارتباط له باتباعه ولا یستطیع الناس رؤیته والاسـتفادهٔ من زعامته؟ بعبارهٔ اخری فإن حیاته فی هـذه المدهٔ حیاهٔ خصوصـیهٔ وشخصـیهٔ لا اجتماعیهٔ وفی اطار الزعامهٔ. ینبغی أن نخوض بادئ الأمر فی أدلهٔ الشیعهٔ بشأن الاعتقادات الثلاثهٔ. ثمّ نری کیف تتم الاجابهٔ عن الأسئلهٔ الثلاثـهٔ: الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۶۱ لابـدّ هنا من ذکر هـذه النقطـهٔ، إنّ الأدلـهٔ العقلیهٔ لا یمکنها أبداً الترکیز علی شخص معین، وغالباً ما تکون نتائـج هـذه الأدلّـهٔ کلیهٔ. وروایات العامّهٔ فی المهدی علیه السـلام غالباً ما تکون کلیهٔ، ولا تتحدث سوی عن شـخص من أهل بیت النبی صـلی الله علیه و آله لقبه المهـدی واسـمه محمّـد (علی غرار اسم النبی)؛ باسـتثناء بعض الروایات التی صرحت بخصائص أبیه أو أجداده والتی تنطبق علی عقائد الشیعهٔ، کهاتین الروایتین: ۱- روی الشیخ سلیمان القندوزی من علماء العامّهٔ فی کتـابه المعروف (ینـابیع المودهٔ) عن کتـاب (فرائـد السـمطین) عن ابن عباس: إنّ رجلًا یهودیاً دخل علی النبی صـلی الله علیه و آله وجعل یسأله عدّهٔ أسـئلهٔ وما أن سمع الأجوبهٔ حتّی أشرق نور الإسلام فی قلبه، وکان ممّا سأل: «مَن وصیُّک»؟ فلکلّ نبی وصیّ ووصیّ موسـی یوشع بن نون. فقال النبی الأکرم صلی الله علیه و آله: «إنّ وصییّ علی بن أبی طالب وبعده سبطای الحسن والحسین تتلوه تسعهٔ أئمّهٔ من صـلب الحسـین». فسأله الیهودی عن أسـمائهم فقال صـلی الله علیه و آله: «إذا مضـی الحسـین فابنه علی؛ فإذا مضـی علی فابنه محمّد؛ فإذا مضی محمّد فابنه جعفر؛ فإذا مضی جعفر فابنه موسی؛ فإذا مضی موسی فابنه علی؛ فإذا مضی علی فابنه محمّد؛ فإذا مضی محمّـد فابنه علی؛ فإذا مضـی علی فابنه الحسن؛ فإذا مضـی الحسن فابنه الحجّهٔ محمّد المهدی فهؤلاء اثنا عشـر ...». ثمّ سأله عن کیفیهٔ وفـاتهم فأجـابه صـلی الله علیه و آله ثمّ قـال: «وأنّ الثانی عشـر من ولـدی یغیب حتّی لا یری، ویأتی علی امّتی بزمن الحکومـهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۶۲ لا یبقی من الإسلام إلّااسمه، ولا یبقی من القرآن إلّارسمه فحینئذٍ یأذن اللَّه تبارک وتعالی له بالخروج فیظهر اللَّه الإسـلام به ویجـدده ...». فلما اعتنق الیهودی الإسـلام أنشد شـعراً أشار فیه إلی أوصـیاء النبی صـلی الله علیه و آله حتّی قال: «آخرهـم یسـقی الظماء وهو الإمام المنتظر» «۱». ۲- کما ورد فی هذا الکتاب عن «عامر بن وائلهٔ» آخر من مات من صـحب النبی صلی الله علیه و آله نقلًا عن علی علیه السـلام أنّ النبی الأکرم صلی الله علیه و آله قال: «یا علی أنت وصیی، حربک حربی، وسلمک سلمی، وأنت الإمام وأبو الأئمّهٔ أحد عشـر الذین هم المطهرون المعصومون ومنهم المهدی الذی یملأ الأرض قسطاً وعدلًا» «۲». أمّا عن طرق أهل البیت فقد وردت عدهٔ روایات فی المهدی علیه السـلام وأنّه الحادی عشر من ولد علی علیه السلام والتاسع من ولد الإمام الحسین وابن الإمام الحسن العسـکری، لا یسـعنا ذکرها جمیعاً فی هـذا الکتاب الـذی راعینا فیه الاختصار، وعلیه نشـیر إلیها باختصار ومن أراد المزیـد فلیراجع کتاب «منتخب الأثر فی أحوال الإمام الثانی عشـر». فقـد تضـمن هذا الکتاب روایات بشأن والد وأجداد المهدی، ورد أغلبها عن طریق أهل البیت ومنها: ۹۱ روایهٔ فی أنّ الأئمّهٔ ۱۲ أولهم علی علیه السلام وآخرهم المهدی علیه السلام. ۹۴ روایهٔ أنّ آخر الأئمّهٔ المهدی علیه السلام. الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۶۳ ۱۰۷ روایهٔ أنّ الأئمّهٔ ۱۲ تسعهٔ منهم من ولد الحسین علیه السلام وتاسعهم قائمهم. ۵۰ روایـهٔ فی أسـماء الأئمّهٔ الاثنی عشـر وأنّ آخرهم المهدی. وهکذا یمتاز أتباع هذه المدرسهٔ وعلی أساس المـدارک المـذکورهٔ بتشخیصـهم للمهدی علیه السـلام بجمیع خصائصه. جدیر بالذکر هنالک العدید من الأحادیث فی مصادر العامهٔ الروائیـهٔ المعتبرهٔ والمشهورهٔ فی أنّ الأئمّـهٔ اثنا عشـر (بشـکل کلی وعام) وکما أشـرنا سابقاً فإنّه یتعذر التفسـیر المنطقی لهذه الروایات سوی من خلال الاقرار بنظریـهٔ الشـیعهٔ. وقـد عبرت بعض الأحادیث کحـدیث «صـحیح البخاری» و «صـحیح الترمذی» عن الأئمّهٔ باثنی عشر أمیراً «۱»، واثنی عشر خلیفهٔ «۲» وفی «صحیح مسلم» وفی صحیح أبی داود کذلک اثنی عشر خلیفهٔ «۳»، ووردت فی مسند أحمد بعشـرات الطرق اثنی عشـر خلیفهٔ. فهل یمکن انکار کلّ هذه الأحادیث فی المصادر المعتبرهٔ؟! فهل یکتمل هذا العدد من خلال اضافهٔ خلفـاء بنی امیـهٔ کمعاویـهٔ ویزیـد وعبـدالملک، أم بنی العبـاس کهـارون والمـأمون والمتوکـل إلی الخلفـاء الحکومـهٔ العالمیـهٔ للإمـام المهـدی(عج)، ص: ۱۶۴ الأربعـهٔ؟! والسؤال هو من هم هؤلاـء الخلفـاء الاثنـا عشـر الـذین سـماهم النبی الأـکرم صـلی الله علیه و آله ومـدحهم؟ لابـدّ من جواب منطقی- من قبل غیر أتباع مدرسهٔ أهل البیت الذین یؤمنون بالأئمّهٔ الاثنی عشـر- حیث یتعذر اعتبار خلفاء

بنى أميـة والعبـاس الـذين حرفوا الحكومـة الإسـلامية عن مسارهـا الصـحيح وارتكبوا مختلف الجرائم والجنايات للقضاء على الإسـلام وتشويه مفاهيمه الحقّة، هم أوصياء النبى صلى الله عليه و آله. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۶۵

الأسئلة الثلاثة المهمة

١- سر طول العمر

اشارة

طرح الاشـكال: قلنا اشـكل على عقيدة الشـيعة فى المهدى، ومضـمون الاشكال: لو كان ابن الإمام العسكرى وولد من أُمّه نرجس سنة ۲۵۵ ه وما زال حيّا إلى الآن، فهذا يعنى مضـى أكثر من ألف سنة على عمره، والحال ليست مشاهداتنا اليومية تدلنا على مثل هذا العمر لبعض الأفراد، ولا يقر ذلك، العلم المعاصر، كما لم يتضمن التاريخ نموذجاً لذلك.

مناقشة وتحقيق:

نوافق القول السابق فى أنّ الأعمار الطبيعيـة والعاديـة التى نراها غالباً لـدى الأفراد لا تتجاوز المئة عام ويندر أن تبلغ مئة وعشـرين، ومن بلغ فى عصـرنا المئة والخمسين أو الستين من عمره فذلك يعتبر من نوادر العالم «۱». الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۶۶ ولكن لا يمكن التسـليم بهذه القضية على مستوى البحث العلمى والتحقيق بشأن طول العمر، ولابدّ من تسليط الضوء على الامور التالية: هل للعمر الطبيعى مقدار معين؟ ماذا يقول علم الفسـلجة بهذا الخصوص؟ هل هناك طريق لاطالة عمر الإنسان؟ هل يشاهد اليوم بعض الأفراد الاستثنائيين على صعيد البنية البدنية والروحية والعضوية واختلاف الحواس وسائر الصفات العامة البشرية بالنسبة للآخرين أم لا؟ هل ورد فى التاريـخ بعض الأفراد الـذين عمروا مدة طويله أكثر ممّا هى عليه اليوم؟ والأهم من كل ذلك لابدّ من الوقوف عند الأفراد الذين طرحوا هذا الاشكال وآرائهم الدينية المختلفة؟

هل للعمر الطبيعى حدّ ثابت؟

للبطارية الصـغيرة عمر معين؛ مثلًا تعمل ۲۴ ساعـة ثـمّ تنتهى قوتها. كما يعمل المصـباح الكهربائى مثلًا ألف ساعة ثمّ يحترق. كما تعمر السيارة مثلًا ۲۰ سنة. وهكذا سائر الصناعات البشرية التى تمتاز بعمرها المعين ولها حدّ متوسط. طبعاً لهذه الأجهزة عمر أطول إن كانت هناك عنايـة بها والعكس صـحيح. ومن هنا لـدينا عـدة أعمار فى عالم الطبيعـة، فهناك بعض الذرات التى لا الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۶۷ تعمر أكثر من واحد على الألف من الثانية، وربّما مئة على المليون من الثانية، بينما هناك بالمقابل عمر الكرة الأرضيـة الـذى قـد يبلغ خمسـة آلاـف مليون سـنة. وعليه لابـدّ أن نرى هـل عمر الكائنـات الحيـة فى الطبيعـة على غرار عمر الأـجهزة الصناعية؟ مثلًا متوسط عمر الإنسان ۸۰ سنة، الطير ۵ سنوات، الحشرة عدة أشهر والشجرة ۱۵۰ سنة وبراعم الورد ۶ أشهر؟ كانت طائفة من العلمـاء فى السـابق تعتقـد بوجـود عمر طـبيعى فى الموجـودات الحيـة مثلًـا: بـافلوف: يعتقـد أنّ العمر الطـبيعى للإنسـان ۱۰۰ سنة. مجينكوف: يعتقد أنّ العمر الطبيعى للإنسان ۱۵۰- ۱۶۰ سنة. كوفلاند: الطبيب الالمانى الذى يعتقد أنّ متوسط عمر الإنسان ۲۰۰ سنة. فلوغر: الفيزيائى المشهور الذى يعتقد أنّ متوسط عمر الإنسان ۶۰۰ سنة. وأخيراً الفيلسوف والعالم الانجليزى بيكن الذى يعتقد أنّ عمر الإنسان ۱۰۰۰ سـنة. إلّـا أنّ هـذه الفكرة مرفوضـة اليوم من قبل علماء الفسـلجة حيث ابطلوا الحـد الثابت للعمر الطبيعى. قال البروفسور اسـميث اسـتاذ جامعـة كولمبيـا «كمـا كسـر حـاجز الصوت وظهرت الوسائط النقليـة التى تفوق سـرعة الصوت فاننا سنشـهد فى خاتمة

المطاف كسر حاجز سن الإنسان». الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۶۸ والدليل الحى الذى يمكن اقامته لاثبات هذه الفكرة، التجارب التى أجراها العلماء على مختلف الحيوانات والنباتات حتّى تمكنوا فى ظلّ بعض الظروف الاختبارية مضاعفة عمر بعض الكائنات الحية إلى اثنى عشر ضعفاً. فمثلًا التجارب التى أجريت على بعض النباتات التى لا ـ تعمر أكثر من اسبوعين اثبتت إمكانية مضاعفته إلى ستة أشهر. ولو افترضت مثل هذه الزيادة بالنسبة لعمر الإنسان فإنّه يمكن أن يعمر بعض الأفراد لأكثر من ألف سنة. والتجربة الاخرى التى أجروها على بعض حشرات الفاكهة والتى لها عمر قصير جدّاً أدّت إلى زيادتها بنسبة تسعمائة ضعف. ولو أصبح هذا الازدياد العجيب ممكناً بالنسبة للإنسان لأمكنه أن يعمر إلى أكثر من سبعين ألف سنة. طبعاً لا نرغب بمثل هذا العمر المتعب ولا ـ نقبل به وإن منحناه مجاناً، فنحن كما قيل شعرنا بالاعياء من تعميرنا ليومين، فما عساك تفعل يا خضر وأنت بهذا العمر الخالد الأبدى. ولو فرض قبولنا بهذا العمر فإن الكرة الأرضية ليست مستعدة لقبول كلّ هذه الأعداد! نعم هدفنا الدراسة العلمية لقضية طول العمر. ونعلم أنّ أغلب علماء البايلوجى اليوم يعكفون على دراسة مسألة طول عمر الإنسان، فلو لم يكن هذا الأمر ممكناً، لبدت هذه الدراسات عبثية. ويعتقد علماء الأغذية أنّ لطول العمر علاقة وطيدة باسلوب التغذية والظروف الاقليمية؛ فقد أجروا بعض التجارب والدراسات لطول عمر ملكة الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۶۹ النحل التى تعدل عدة أضعاف الملكات العادية فتوصلوا إلى أنّ هذا الموضوع معلول لطعام معين تعده العاملات لتغذية الملكة والذى يختلف عن العسل المتعارف، فاعتقد البعض أنّ اعداد مقدار أكبر من هذا الطعام الجلا ـ تينى يمكنه أن يضاعف عمر الإنسان. ويقول علماء النفس أنّ طول عمر الإنسان يعتمد إلى حدّ كبير على طريقة تفكيره وعقائده، والعقائد الروحية البناءة والمستقرة تسهم فى إطالة عمر الإنسان. ويرى فريق من الأطباء أنّ الشيخوخة نوع من التوعك الذى يصيب الإنسان إثر تصلب الشرايين أو بعض الاختلالات العضوية لبدنه، ولو استطعنا التغلب على هذه العوامل عن طريق التغذية الصحيحة والأدوية المؤثرة لقضينا على الشيخوخة وتمتعنا بعمر طويل. وكلّ هذه الامور تثبت بوضوح أنّ قضية العمر الطبيعى المحدود ليست أكثر من خرافة، ولا يمكن التكهن بعمر للكائنات الحية. والحقّ أنّ قضية إطالة عمر الإنسان أصبحت أكثر جدية إثر الرحلات الفضائية والصعود إلى القمر، ذلك لأنّه أصبح من المسلم أنّ عمارنا القصيرة لا تتناسب وطى المسافات النجومية العظيمة، فالتقدم خطوة واحدة فى هذا العالم الفسيح بالسفن الفضائية الحديثة يتطلب أحياناً آلاف السنين من العمر، وأكثر من ذلك بعشرات آلاف السنين للوصول إلى الطرق الأبعد، ومن هنا فكّر العلماء فى طريقة اخرى لإطالة عمر الإنسان تتمثل فى التجميد. ولعلّ هذا الموضوع كشف لأوّل مرة من خلال مشاهدة بعض الكائنات الحية التى احتفظت بحياتها خلال عملية التجميد الطبيعى؛ مثلًا عثروا قبل الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۷۰ مدة على حوت منجمدة فى وسط الثلوج القطبية حيث يفيد وضع طبقات الثلج أنّها تعود لقبل خمسة آلاف سنة. وظنوا فى البداية أنّها ميتة، وحين وضعوها فى ماء مناسب أخذت بالحركة مثيرة الدهشة، فاتضح أنّها كانت حيّة منذ خمسة آلاف سنة غير أنّها كانت تعيش تلك الفترة بصيصاً من الحياة! ومن هنا فكّروا فى أن يجرّبوا هذه الطريقة على الإنسان، فمثلًا، لو بعثنا بجالس فى سفينة فضائية إلى نقطة بعيدة وعرّضناه لحالة تجميد ويصل مقصده بعد مئات أو آلاف السنين فإن بدنه سيعود إلى حالته العادية تدريجياً وستحل مشكلة طول العمر فى الرجلات الفضائية. وقد فكر بعض الأطباء الآن بهذه الطريقة بالنسبة للمرضى الذين لم يتوصل الطب إلى سبيل علاجهم كأن يكون المريض مصاباً بالسرطان، فيرون ضرورة تجميد هؤلاء المرضى فى نوم عميق- أو بما يفوق النوم- ومثلًا حين سيكشف علاجه بعد قرنين يعادون إلى حالتهم الأصلية ويخضعون للعلاج. وتفيد كلّ هذه الأبحاث والدراسات أنّه ليس هنالك من حد ثابت للعمر بالنسبة للإنسان وسائر الكائنات الحية من وجهة النظر العلمية.

الاستثناء من الأفراد:

لو أغمضنا عن البحث السابق ونفرض أنّ للإنسان بطبعه الابتدائى حدّاً ثابتاً من العمر؛ مع ذلك فإنّه لا يمكن تعميم هذا الموضوع على

کافة الأفراد، وذلک لوجود الاستثناءات دائماً بین الکائنات الحیة والتی لا تنطبق علی الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۷۱ الضوابط السائدة فی العلوم الطبیعیة والتجریبیة، حتّی أنّ العلم لیعجز أحیاناً عن تفسیرها. فقد لوحظ بعض الأفراد الذین یتمتعون بحواس وإدراکات وطاقات استثنائیة خارقة للعادة، فقد نلاحظ بعض الأفراد لنوع خاص من الأشجار أو الحیوانات التی لها نمو معین وعمر کذلک، التی تتجاوز جمیع ضوابطها وتبدو بصیغة استثنائیة مثلًا: ۱- شاهد بعض السیاح الذین زاروا اسکتلندا شجرة عجیبة ومذهلة یصل قطرها إلی ۹۰ قدماً ویقدر عمرها بخمسة آلاف سنة. ۲- یبلغ طول شجرة فی کالیفورنیا مئة متر، وقطرها فی الجانب الأسفل عشرة أمتار ویقدر عمرها بستة آلاف سنة. ۳- هناک شجرة من بین الأشجار التی تنبت فی جزر الکناری من نوع (الصندم) لفتت انتباه العلماء؛ الشجرة التی یقال أنّه منذ اکتشاف هذه الجزیرة (أی قبل خمسمئة سنة) لم تسجل لحد الآن أیّة حالة نمو وتغییر! مع ذلک یبدو أنّها تتمتع بعمر طویل بحیث لا یبدو علیها آثار مضی الزمان، ومن هنا یعتقد بعض المتخصصین أنّها کانت موجودة قبل خلق آدم! ۴- توجد بعض الأشجار فی المناطق الاستوائیة المعمرة کثیراً ولا ینتهی عمرها أبداً فهی فی حالة غضة دائماً. ۵- شوهدت بعض الحلزونات المعمرة آلاف السنین، کما اکتشف العلماء حیتان یقدر عمرها بثلاثة ملایین سنة. ۶- تری بعض الأفراد بین الناس یقومون ببعض الأعمال المذهلة التی یصعب الوثوق بها حتّی لمن یراها. فمن منا لم یقرأ فی الصحف بعض الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۷۲ الأخبار بشأن الأفراد الذین یقومون ببعض الأعمال التی تفوق البصر کأن یطوی بعض الأجسام الفلزیة کالملعقة والشوکة دون أن یشیر لها بیده! وقد قاموا بتلک الأفعال أمام أنظار المراسلین حتّی صورهم التلفاز الانجلیزی حتّی أذعن الانجلیز بعدم وجود خدعة فی مثل هذه الأفعال، والواقع هو أنّ هذه الامور استثنائیة حقّاً. ولعلّ الجمیع سمع عن ذلک الفتی الایرانی الذی یتناول المصباح والزجاج وکأنّها أطعمة، والحال لو تناول ذلک بعض الأفراد العادیین لانبغی خضوعهم لعملیة جراحیة! قرأت فی بعض الصحف عن شخص یتمتع بقوّة خارقة تمکن من ترویض الحیوانات الوحشیة والمفترسة وهو یقترب منها دون خوف. وقیل فی سیرة ابن سینا ذلک الطبیب والفیلسوف المعروف أنّه کان یحفظ فی المکتب کلّ ما کان یقرأه التلامیذ للُاستاذ؛ وقد ألم فی بخاری فی العاشرة من عمره ببعض العلوم التی أثارت دهشة الآخرین؛ وتصدی فی الثانیة عشرة من عمره للفتیا، فکان یفتی فی بخاری. ألف فی السادسة عشرة کتابه (القانون فی علم الطب) وهوالکتاب الذی درس لقرون فی الجامعات الأوروبیة الطبیة، أما الأخبار التی نقلت فی حدّة نظره وشدّة سمعه فمما تثیر الدهشة، ولا یسعنا التطرق إلیها «۱». کلّ هؤلاء أفراد استثنائیون یتمتعون ببعض الخصائص التی یعجز عن تفسیرها العلماء کونها لا تنسجم مع الضوابط والمقررات السائدة لدی الجنس البشری، إلّاأنّ عدم الانسجام هذا لا یمنع من أن نذعن لها ونقر الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۷۳ بوجودها. کما نقر من خلالها بقانون کلی فی أنّ ما نشاهده فی «النباتات» و «الأحیاء البحریة والصحراویة» و «الناس» لیس بقانون عام ودائمی؛ بل من الممکن أن یکون فیها بعض الأفراد الاستثنائیین بصفات خاصة خارقة للعادة سواء من حیث العمر أو القدرة الروحیة والبدنیة، ووضعها الاستثنائی لا یدلّ أبداً علی عدم علمیة قبولها؛ بل لابدّ أن نذعن بأنّ دائرة جمیع المقررات والضوابط التی یتبناها العلم تقتصر علی الأفراد العادیین، والاستثناء من الأفراد خارجون عن دائرة هذه المقررات.

أصحاب الإشکال:

إن کان إشکال طول عمر المهدی علیه السلام یطرح من قبل المادیین الذین یرون کلّ شیء بمنظار القوانین الطبیعیة، فالجواب ما ذکرناه سابقاً، أما إن طرح من قبل أتباع الأدیان کأتباع موسی علیه السلام وعیسی علیه السلام والاخوة من أبناء العامة، فإضافة لما ذکرنا، فإننا نورد بعض الامور ومنها: ۱- إنّهم یعتقدون بقدرة اللَّه المطلقة وخوارق أنبیائه ورسله ومعجزاتهم، بعبارة اخری یؤمنون بأنّ قوانین الطبیعةخاضعة لقدرة اللَّه لا محکومة لها، فهل شفاء المرضی الذین یصعب شفاؤهم عن طریق الطب، أو إحیاء الموتی من قبل المسیح، أو سائر المعجزات من موسی علیه السلام بواسطة العصا (التی تعتبر قطعة خشبیة غیر ذات قیمة) والید البیضاء وعبور النیل

بتلك الطريقـة الخارقـة للعادة من الامور التى تنسجم مع الضوابط الطبيعيـة المتداولة؟ لا شك أنّ تفسير كافّة أتباع الأديان لمثل هذه الظواهر هو فاعليـة اللَّه فى الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۷۴ تأثير جميع القوانين والأسباب الطبيعية، وإن أراد شيئاً آخر تحقق، وإرادته تفوق العلل الطبيعيـة. ولو كان الوضع منـذ البدايـة كـذلك فى أنّ الإنسان يحيى مرة اخرى بعـد الموت أو الـذى يولد أعمى يبصـر بعد مضى مدة من الزمان أو يكون متوسط عمر الإنسان ألف سنة، فهل هنالك من يتعجب من هذه الامور ويراها مخالفة للعقـل؟ ... قطعاً لا! وعليه فـإنّ نقض مثـل هـذه القوانين ليس بنقض لحكم عقلى ومنطقى، بـل نقض لحالـة عاديـة ألِفناها على ضوء مشاهدة الأفراد العاديين. ۲- يعتقد النصارى أنّ أعداء المسيح عليه السـلام صلبوه ودفنوه، ثمّ نهض من بين الموتى وعرج إلى السماء وهو حى الآن. والمسـلمون أيضاً يرونه حياً، رغم عدم قبولهم بصلب عيسى وقتله على ضوء القرآن، وهذا ما يقره كافّة علماء الإسلام- سوى القلّة القليلة- ولو كان هذا الاسـتثناء ليس خلافاً للعقل، ويمكن أن يحيى الإنسان مجدداً بعد موته ودفنه ويعمر ألف سنة، فكيف يعتبر الكلام عن عمر طويل فقط لأكثر من ألف سـنة محالًا وغير منطقى! ۳- لا يوجد مسـلم ينكر طول عمر نوح، ذلك لأنّه ممّا صرّح به القرآن فى أنّه اسـتغرق تسـعمئة وخمسـين سـنة فقط فى الدعوة إلى عبادة اللَّه والتوحيد «فَلَبِثَ فِيهِم أَلَف سَنَةٍ إلَّاخَمْسِينَ عاما» «۱» . كما سـمعنا الكثير عن الخضـر وعمره الطويل. العجيب أنّ طائفة أقرت بكلّ هذه المطالب، غير أنّها ما أن تصـطدم بعقيدة الشيعة بشأن طول عمر المهـدى حتّى تصاب بالـذهول والدهشـة والتنكر الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۷۵ لذلك، وأحياناً يكتفون بابتسامـة عريضـة تفيد تعارض هذه العقيدة مع العقل والمنطق!! ... وهذا نموذج واضح للازدواج! ولكن كما قلنا فإنّ مسألة طول العمر وبغض النظر عن العقائد الدينية بشأن قدرة اللَّه وقضية الاعجاز، فإنّها تنسجم تماماً ومنطق العلوم الطبيعية الحديثة، أمّا المشكلة الوحيدة فهى ضـرورة تحرير أفكارنا وأنفسـنا من بعض الأحكام المسـبقة والتعصـبات المقيتـة والعادات التى ألِفناها، والتسـليم للـدليل والمنطق والبحث العلمى. إننـا حين نسـمع برجل نمساوى عمَّر أكثر من ۱۴۰ سـنة ولم يمرض ولو لمرّة واحـدة! أو رجل كولومبى بلغ ۱۶۷ سنة من عمره ومازال فتى! أو رجل صـينى أبيضَّ شـعره بعـد ۲۵۳ سـنة من عمره! نشـعر بالدهشـة؛ وذلك لأنّه يختلف عن العادة، ولكن لو كان هناك تركيز إعلامى على هـذا الخبر وورد بصورة قطعيـة فإننا سـنقر به كحقيقـة واقعـة. ولكن ما أنّ نقرأ فى الحديث: «القائم هو الذى إذا خرج كان فى سن الشـيوخ ومنظر الشـبان؛ قوى فى بدنه». حتّى يعترى البعض الحيرة والذهول. وهنا تتساءل الشـيعة: لِمَ يعتقد البعض بطول عمر نوح والمسـيح ويذكرون تلك الخصائص العجيبة لابن سـينا، ولا يتسمون لمشاهدة انحناء الأجسام الفلزية بنظرة من شاب ورؤية الأشـجار والأحياء المعمرة، ولكن ما أن يرد الحديث عن طول عمر المهدى عليه السلام حتّى يقطب البعض ويخطف لونه ويتساءل على نحو الانكار الحكومـة العالميـة للإمام المهـدى(عـج)، ص: ۱۷۶ عن إمكانيـة ذلـك. زبـدة الكلام إنّ مسألـة طول العمر ليست من المسائل التى يمكن الاشكال عليها والتنكر لها على ضوء الأحكام المنطقية والعقلية.

۲- فلسفة الغيبة

اشارة

قلنا: السؤال الآخر الـذى يطرح بشأن عقيـدة الشـيعة فى المهـدى عليه السـلام وموضوع غيبته الطويلـة والـذى يرد بعـد قبول أمان طول عمره. والسؤال: لماذا لا يظهر المهـدى عليه السـلام وقـد عمّ الظلم والفساد؟ لماذا لا يقوم ليملأها عدلًا وقسـطاً؟ إلى متى هذا الجلوس ومشاهـدة الظلم وسـفك الـدماء وطغيان حفنـة من الغاشـمين؟ لماذا هـذه الغيبـة الطويلـة؟ ترى ماذا ينتظر؟ وبالتالى ما سرّ هـذه الغيبة الطويلة؟ ولكن ينبغى الالتفات إلى أنّ هذا السؤال وإن طرح عادة على الشـيعة بشأن مسألة الغيبة، إلّاأنّ أدنى تمعن سيفيد أنّ للآخرين نصـيباً من ذلك، أى يتوجه إلى سائر المؤمنين بظهور مصلح عالمى عظيم ينهض يوماً ويملأ العالم بالعدل والقسط، وإن رفضوا عقيدة الشـيعة فى طول العمر والغيبـة. فالسؤال الـذى يساورهم لِمَ لم يولد ذلك المصـلح العظيم لحدّ الآن، وإنّ ولد لم لا ينهض ويملأ الدنيا

بالعـدل؟ وعليه فمن الخطأ أن يتوجه هـذا الإشـكال إلى خصوص الشـيعة. الحكومـة العالميـة للإمام المهـدى(عـج)، ص: ۱۷۷ وبعبارة اخرى، ممّا لا شك فيه أنّ مسألـة طول العمر (البحث السابق) ومسألـة وجود الإمام فى الغيبـة (البحث القادم) لمن الأسـئلة التى تقتصـر على الشـيعة، أمّـا مسألـة تـأخير ظهوره فمن المطـالب التى ينبغى أن يفكر بهـا كافـة المعتقـدين بظهور ذلك المصـلح العالمى، فى أنّ الظروف العالميـة مؤاتيـة فلمـاذا لا ـ يحصـل ذلـك الظهور؟ (ينبغى التمعن). على كـلّ حـال لهـذا السؤال جواب بسـيط وآخر مسـهب. الجواب القصير: إنّ وجود الزعيم الكفوء لوحده لا يكفى فى قيام نهضة شاملة على مستوى عالمى، بل لابدّ من استعداد عام، وللأسف مازال العالم لحدّ الآن غير مسـتعد لتلك النهضة والحكومة، وما أن يبرز هذا الاستعداد حتّى يكون قيامه قطعياً! أما توضيح هذا الكلام: أوّلًا: لابـدّ من الالتفات- كما أشـرنا سابقاً- إلى أنّ قيام المهـدى عليه السـلام كسائر نهضات جميع الأنبياء يتم عبر الوسائل والأسـباب الطبيعيـة، وليس هنالـك من مجـال للاعجاز، فللمعجزات بعـد اسـتثنائى وليس لها من تـدخل فى المشاريع الاصـلاحية للقادة الربانيين سوى فى بعض المواقع الاسـتثنائية. ومن هنا كان الأنبياء يسـتفيدون من الأسـلحة السائـدة وإعـداد الأفراد الاكفاء والاسـتشارة المطلوبة وطرح الخطط المؤثرة والتكتيكات العسكرية اللازمة، وبالتالى توفير كافة الامكانات المادية والمعنوية للنهوض بأهدافهم، ولا يفكرون فى حـدوث المعجزة فى مجابهـة العدو، أو اعداد الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۷۸ الأنصار وتكاملهم. وعليه فلابدّ أن يتحقق تنفيـذ مشـروع حكومـة الحقّ والعـدل على المسـتوى العالمى من خلال الاسـتعانة بالوسائل المادية والمعنوية اللازمة، سوى فى بعض الحالات. بعبارة اخرى، إنّ المهدى عليه السـلام لا يأتى بمدرسة جديدة، بل ينفذ المشاريع الثورية السـماوية التى لم تدخل حيز التنفيذ. فرسالته لا تكمن فى الانذار والتربيه والتعليم والتذكير، بل رسالته اجراء كافة الاصول والمبادئ فى ظلّ حكومة العلم والإيمان، وهو الأمر الذى لا يتيسّر دون الاستعدادات المسبقة. ثانياً: يتضح من خلال ما تقدّم ما نقوله من عدم وجود مثل هذا الاستعداد، وذلك لأنه ينبغى توفر عدة أنواع من الاستعدادات وهى:

أ) استعداد القبول (الاستعداد النفسى)

لابدّ أن يقف العالم كما ينبغى على مرارة هذا الوضع القائم والظلم السائد. ولابدّ أن يلمسوا ضعف القوانين البشرية وعجزها عن تطبيق العدالـة الاجتماعيـة. وينبغى أن يـدركوا هـذه الحقيقـة وهى أنّ المشـكلة لا ـ تحـل من خلاـل المعادلاـت الماديـة والضـمانة الإـجرائية والمقررات التى وضعها الإنسان، بل إنّ هذه المشكلة تسلك منحنياً تصاعدياً فى التعقيد بما يرهق كاهل البشرية. ولابدّ أن يفهم العالم أنّ الأزمات المعاصـرة وليـدة الأنظمـة الراهنـة، وهى الحكومـة العالميـة للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۷۹ الأنظمـة التى تعجز فى خـاتمة المطاف عن حلّ هـذه الأزمات. ولابدّ أن يعى العالم ضـرورة وجود أنظمة ومبادئ جديدة بغية تحقيق هذه الأهداف الكبرى، المبادئ التى تسـتند إلى الإيمان والقيم الإنسانيـة والعواطف البشـرية والمثل الأخلاقيـة، لا المبادئ الماديـة الجافـة الخالية من الروح والإنسانية. ولابـدّ أن يبلغ العالم هذه المرحلة من الوعى الاجتماعى بحيث يدرك أنّ التطور التقنى لا يعنى الزاماً تطور البشـرية وضـمان سـعادتها ورفاهيتها، بل الازدهار والتطور التقنى الـذى يجلب السـعادة والخير للبشـرية هو ذلك الذى يتمّ من خلال سلسـلة من المبادئ المعنوية والإنسانية، وإلّا كان هذا التطور- كما لمسنـاه مراراً- وبالًا على البشرية وسبب دمارها وانهيارها. ولابدّ أن يفهم العالم أنّ الصناعات أنّ ارتدت ثوب الصـنمية سـتضاعف من حجم المشاكل الراهنة. ولابدّ أن تصبح وسيله تحت سيطرة البشرية. وبالتالى لابدّ أن يشعر العالم بالعطش وما لم يشعر به فلا يتجه صوب الماء. وبعبارة اخرى، ما لم يعِش العالم قضية الطلب فليس هنالك من تأثير لعرض أيّة مشاريع اصـلاحية، فقـانون العرض والطلب سـارى المفعول فى القضايـا الاجتاعيـة على غرار المسائل الاقتصاديـة. وهنا يرد هـذا السؤال: ما هو العامل الـذى يفرز حالة العطش والطلب؟ نقول فى الجواب: جانب من ذلك، مرور الزمان ولا يمكن بدونه، أما الجانب الآخر فيتوقف الحكومـة العالميـة للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۸۰ على التربيـة والتعليم، فينبغى أن يصـبح عملياً من خلال النهضـة الفكريـة من جانب العلمـاء الملتزمين والمسؤولين عن شؤون المجتمع. ينبغى لهؤلاء وبمشاريعهم التى تهـدف تهـذيب الإنسان أن يبلغوا بالعالم على الأقل

هذه الحالة من الوعی فی الانسجام مع هذه المبادئ والقوانين، وهذا الأمر يتطلب بطبيعة الحال قدراً من الزمان.

ب) التكامل الثقافی والصناعی

من جانب آخر فإن حشد العالم تحت راية واحدة ووضع حدّ لغطرسة الجبابرة والطواغيت واشاعة أجواء التربية والتعليم فی أرقی صورها وإفهام الآخرين بأنّ اختلاف اللسان والعرق والمنطقة الجغرافية وما شابه ذلك لا تدلّ علی أنّ أفراد العالم لا يستطيعون العيش كأخوة ضمن اسرة واحدة فی ظلّ الإسلام والعدل والتآخی. وتوفير اقتصاد سالم وكافٍ لجميع الناس يتطلب وعياً ثقافياً ورفع المستوی العلمی للبشرية من جانب، وتكامل الوسائل الصناعية من جانب آخر؛ الوسائل التی يسعها إرساء ارتباطات سريعة وقريبة ودائمية بين كافة بقاع العالم، وهذا ما لا يتحقق أيضاً دون تقادم الزمان. وكيف لحكومة أن تتعامل مع الوضع العالمی إن كانت هذه الارتباطات بطيئة؟ أم كيف يمكن إدارة شؤون العالم بالوسائل التی يستغرق إرسال رسالة فيها إلی مناطق العالم النائية عدّة سنوات من الزمان؟ يستفاد من بعض الروايات التی رسمت صورة عن حياة الناس فی عصر الحكومة العالمية للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۸۱ ظهور المهدی عليه السلام- والتی سيمر البحث عنها فی المباحث القادمة- أنّ التطور التكنولوجی والصناعی خاصة صنائع الحمل والنقل والارتباط فی ذلك العصر سيكون علی درجة من الرقی والازدهار بحيث تصبح قارات العالم بصورة مناطق متقاربة، ويكون الشرق والغرب بمثابة بيت واحد، فلا يبقی هنالك من مشكلة علی صعيد الزمان والمكان. طبعاً يمكن أن يحصل بعض هذه الامور أثر حركة وثورة صناعية فی ذلك العصر، ولكن لابدّ من استعداد علمی كأرضية لذلك العصر.

ج) اعداد القوی الثورية

بالتالی لابدّ من إعداد ثلّة مهما كانت قليلة تكون نواة الجيش الثوری لذلك المصلح العظيم. فلابدّ من تبرعم زهور فی هذه النار المحرقة لتكون مقدمة لذلك البستان؛ وينبغی أن يتحلی أفراد تلك الثلّة بالوعی التام والشجاعة والأخلاص والفداء والتضحية وهذا بدوره يتطلب مقداراً من الزمان وإن تعاقبت الأجيال الثورية. وإن قيل: مَن الشخص الذی ينبغی أن ينهض بمسؤولية إعداد أولئك الأفراد؟ فالجواب: ذلك الزعيم الذی يمارس هذا المشروع بصورة مباشرة أو غير مباشرة (سيرد شرح ذلك فی المبحث القادم إن شاء اللّه). إنّ إحدی علل الغيبة كما ورد فی بعض الروايات الإسلامية يكمن فی اختبار الناس واختيار الأصلح والذی يمكن أن يكون إشارة إلی هذا الحكومة العالمية للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۸۲ الموضوع. توضيح ذلك: أنّ الاختبار الإلهی ليس من قبيل الاختبارات بغية التعرف علی وضع الذی يؤدی الاختبار، بل يعنی تربية الاستعدادات واظهار الكفاءات وتمييز الصفوف. وبعبارة اخری الهدف هو التربية والتكامل أو خلق الاستعداد، ذلك لأن احاطة اللّه العلمية بكلّ شیء تسلب أی هدف فی ابتغاء طلب الوقوف والعلم من الاختبارات. وهكذا يتضح ممّا تقدّم سبب غيبة المهدی هذه المدة.

۳- فلسفة وجود الإمام حين الغيبة

اشارة

السؤال الآخر الذی يرد بشأن عقيدة الشيعة حول وجود المهدی هو: الإمام علی كلّ حال زعيم وقائد ووجود القائد مهم ومفيد حين يكون علی صلة بأتباعه، فكيف ينهض الزعيم بمسؤوليته إن كان غائباً عن الأنظار؟ بعبارة اخری فإنّ حياة الإمام إبان الغيبة حياة خاصة ليست اجتماعية، وهنا يحقّ لنا أن نسأل ما الأثر الذی يلعبه هذا الزعيم بالنسبة للناس، وكيف ينتفع به الآخرون؟ فهو كعين الماء الصافية

ولا یسع الآخرون وصولها! أضف إلی ذلک هل غیبة الإمام علیه السلام بمعنی استبدال وجوده بروح لا مرئیة أو أمواج واثیر وما شابه ذلک؟ وهل ینسجم هذا مع العلم؟ الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۸۳ هذا السؤال- بلا شک- مهم، ولکن من الخطأ أن نظن بصعوبة الاجابة عنه، لکن دعونا نردّ بادیء الأمر علی الشق الأخیر الذی أدّی إلی الکثیر من سوء الفهم، ومن ثمّ نخوض فی الردّ علی سائر الأسئلة. لابدّ من القول صراحة إنّ الغیبة- کما أشرنا- لا تعنی أنّ وجود الإمام فی الغیبة هو وجود غیر مرئی وخیالی وأشبه بوجود وهمی، بل له من حیث المعیشة حیاة طبیعیة وعینیة خارجیة، غایة الأمر بعمر مدید، یتردد دائماً بین الأوساط الاجتماعیة، ویقطن مختلف المناطق، وإن کان هنالک من استثناء فی حیاته فهو عمره الطویل فقط. إنّه یعیش بصورة غیر معروفة فی المجتمع، ولم یقل أحد بأکثر من ذلک فی غیبته، وهنالک بون شاسع بین «غیر معروف» و «غیر مرئی»! وبعد أن فرغنا من هذا الأمر، نخوض فی هذا الموضوع: حسناً، إلّاأن هذه الحیاة یمکن توجیهها بالنسبة لفرد عادی، ولکن هل یمکن قبوله بالنسبة لزعیم بالذات ذلک الزعیم الربانی؟! کیف یسع التلمیذ الذی لا یعرف استاذه والمریض الذی لا یعلم بعیادة الطبیب والعطشان الذی لا یعلم بعین الماء- مهما کان قریباً من هذه الامور- أن ینتفع بهم؟ جدیر بالذکر: إنّ هذا السؤال لم یطرح الآن، بل ورد فی الروایات الإسلامیة أنّه طرح حتی قبل ولادة المهدی علیه السلام وإبان عصر الأئمّة حین کانوا یتحدثون عن المهدی وغیبته یطرح علیهم هذا السؤال فیردون علیه، وإلیک جانب من ذلک.

فائدة الإمام فی الغیبة: «۱»

اشارة

هنالک عباره رائعة فی عدّة روایات بشأن فلسفة ووجود الإمام علیه السلام فی عصر الغیبة، یمکن أن تساعدنا فی حلّ هذه المشکلة، حیث قال النبی صلی الله علیه و آله بشأن فائدة الإمام فی الغیبة: «أی والذی بعثنی بالنبوة أنّهم ینتفعون به، ویستضیئون بنور ولایته فی غیبته کانتفاع الناس بالشمس وإن جللها السحاب» «۲». ولابدّ أن نتعرف هنا علی دور الشمس بصورة کلیة وحین تکون خلف السحاب: فللشمس نوعان من الضوء. ضوء واضح وآخر مخفی. أو بعبارة اخری ضوء مباشر وآخر غیر مباشر. وتشاهد الأشعة بوضوح فی الضوء المباشر وإن احیط بطبقات الجو الضخمة وکأنّها زجاجة ضخمة؛ الزجاجة التی تحد من اشراقة الشمس وتسهل تحمله، کما تصفی ذلک الضیاء وتحیط آثار أشعتها الممیتة، ولکن لا تمنع علی کلّ حال شعاعها المباشر. أمّا فی الأشعة غیر المباشرة، فالغیوم کالزجاجة المعتمة تمتص ضیاء الشمس المباشر وتنشره. الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۸۵ ولضوء الشمس دور مهم فی حیاة کافة الکائنات. فالضوء والحرارة التی تنطلق من الشمس هنا وهناک، والطاقة العظیمة للنبات والحیوان والإنسان؛ وتکامل الکائنات الحیة ونموها؛ وتغذیتها وانجابها؛ والحس والحرکة؛ وسقی الأراضی المیتة. وأصوات أمواج البحار. وحرکة الریاح. وزمزمة أصوات الشلالات. وتغرید الطیور. والجمال الساحر للازهار. ودوران الدم فی عروق الإنسان. ونبض القلب. وانتقال الأفکار عبر حواجز الدماغ، کلّها تعتمد بصورة مباشرة أو غیر مباشرة علی ضیاء الشمس، ودون ذلک تخمد وتؤول إلی الخمود والانطفاء، وهذا ما یمکن ادراکه بسهولة. والآن یرد هذا السؤال: هل تقتصر هذه البرکات والآثار الحیویة علی الضیاء المباشر للشمس؟ الجواب عن هذا السؤال واضح: کلا، فهذه الآثار موجودة حتّی حین تغیب الشمس خلف السحب. الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۸۶ مثلًا هنالک بعض البلدان والمدن التی تختفی فیها الشمس لأشهر أو سنوات خلف الغیوم، ولکن هنالک الحرارة ونمو النباتات والطاقة اللازمة لإدامة عجلة الحیاة ونضج الفاکهة والثمار وتفتح البراعم. وعلیه فإنّ لشروق الشمس من خلف السحب جانباً من الآثار والبرکات، ولا تنطوی علی جانب من تلک الآثار التی تتطلب أشعة مباشرة، فمثلًا نعلم أنّ لشعاع الشمس أثره الحیوی علی جلد

الإنسان وسائر أعضائه ومن هنا فإنّ الناس فى أغلب البلدان المحرومة من هذا الشعاع يلجأون فى الأيّام المشمسة إلى الحمامات الشمسية ويتعرون تماماً أمام شعاع الشمس لتقوم مساماتهم بامتصاص تلك الأشعة. كما أنّ أشعة الشمس المباشرة وعلاوة على مضاعفتها للحرارة والضوء فإنّ لها أثراً عظيماً- بسبب الأشعة فوق البنفسجية- فى قتل أنواع المكروبات والابقاء على سلامة البيئة. ونستنتج من هذا البحث أنّ حجب السحب وإن امتصت بعض آثار الشمس، إلّاأنّ الجانب الأكبر من تلك الآثار باق. كان هذا الكلام فى المشبه به، يعنى الشمس، ونعود الآن إلى وضع المشبه يعنى وجود الزعيم الربانى فى الغيبة، فللأشعة المعنوية غير المرئية لوجود الإمام عليه السلام حين تكون خلف سحب الغيبة عدّة آثار تكشف عن فلسفته الوجودية، رغم تعطيل مسألة التعليم والتربية والزعامة المباشرة ومنها:

۱- بث الأمل

إن جلّ اهتمام الجنود الأوفياء فى ميدان القتال يتمثل فى حفظ الراية خفاقة تجاه هجمات الأعداء، بينما يسعى العدو جهد الأمكان إلى الاطاحة بهذه الراية، ذلك لأنّ انتصاب الراية يبث روح الأمل والمقاومة والصمود وديمومة القتال. كما أنّ وجود القائد- مهما كان صامتاً- يبعث على رفع المعنويات وتجديد القوى وتعبئة الطاقات والاندفاع نحو القتال حيث يشعرون بقوّة حين يرون القائد واهتزاز الراية. أمّا أن أشيع قتل القائد بين المقاتلين فإنّه يؤدى إلى بعثرة صفوف الجيش مهما كان عظيماً، وكانّ ماءاً بارداً سكب عليهم ليبرد إرادتهم، بل كأن روحهم سلت من أبدانهم. كما أنّ المجتمع يواصل حركته ونظامه وإن سافر رئيسه إلى خارج البلد مادام على قيد الحياة، إلّاأنّ خبر موته يبعث فى قلوبهم الشعور باليأس والاحباط. والشيعة تعتقد بوجود إمامها حيّاً وإن لم تره بينها، بالتالى فهى لا ترى نفسها وحيدة فى الساحة (لابدّ من التأمل). فهى تنتظر قدومه وتحتمله فى كلّ لحظة وهذا ما يؤثر على مسيرتها ايجابياً. ومن هنا يمكن إدراك الأثر النفسى لهذا الاسلوب من التفكير فى بثّ الأمل والرجاء فى قلوب الأفراد وسوقهم نحو التهذيب والاستعداد لتلك الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۸۸ النهضة الكبرى التى مضى شرحها فى بحث الانتظار. أمّا إن لم يكن لهذا الزعيم من وجود خارجى وينتظر اتباعه ولادته فى المستقبل فالوضع يختلف تماماً. ولو أضفنا نقطة اخرى إلى هذا الموضوع لأصبحت القضية أكثر جدية وهى: على ضوء الاعتقاد العام للشيعة فقد وردت فى أغلب الروايات فى المصادر الشيعية أنّ الإمام يتفقد طيلة غيبته وبصوره مستمرة أوضاع شيعته، ويقف على تفاصيل أعمالهم عن طريق الالهام وما شابه، وحسب الروايات فإنّ أعمالهم تعرض عليه كلّ اسبوع ويحيط علماً بتصرفاتهم وأفعالهم «۱». وهذا الاعتقاد يجعل هؤلاء الاتباع يخضعون لمراقبة دائمية يستحضرونها عند كلّ قول وفعل، الأمر الذى يمكن انكار دوره النفسى والتربوى.

۲- حماية الدين

قال على عليه السلام ذلك الرجل الفذ فى بعض الكلمات القصار فى إشارته إلى ضرورة وجود الزعماء الربّانيين فى كلّ عصر وزمان: «اللّهم بلى لا- تخلو الأرض من قائم للّه‌بحجّة إمّا ظاهراً مشهوراً وإمّا خائفاً مغموراً لئلّا تبطل حجج اللّه وبيناته» «۲». الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۸۹ وإليك توضيح ذلك: إنّ مرور الزمان واختلاط الأذواق والأفكار الشخصية بالامور الدينية والنزعات المختلفة نحو المدارس الانحرافية المزيفة وتسلل الأيادى الأثيمة إلى المفاهيم السماوية يؤدى إلى أن تفقد بعض هذه الاصول والمبادىء أصالتها وتتعرض إلى جانب من التحريف. وبالطبع فإن هذا الماء العذب الفرات الذى ينزل من سماء الوحى ويعبر من فكر هذا وذاك يجعله يفقد بعض صفائه بالتدريج، على غرار الضياء الذى يصطدم بالزجاج المعتم فيفقد بريقه. والخلاصة، تبدو هناك

بعض المشاکل والصعوبات فی التعرف علی القضایا الأصلیهٔ بفعل ممارسات بعض الأفراد ذوی الافق الضیق، حتّی انبری أحد الشعراء باسلوبه المعهود فی المبالغهٔ مخاطباً النبی الأکرم صلی الله علیه و آله بأنّ ما حدث فی الدین واضیف إلیه، بلغ درجهٔ بحیث لو عدت الیوم لما رأیته کما کان. وعلی هـذا الأساس، أولیس من الضروری أن ینبری من بین المسلمین من یصون التعالیم الإسلامیهٔ ویعیدها إلی مسارها الأصلی ویحفظها کما هی للأجیال القادمهٔ؟ أو ینزل الوحی السماوی ثانیهٔ علی إنسان؟ قطعاً لا. فقد اغلق باب الوحی بمسألهٔ الخاتمیهٔ. فکیف ینبغی حفظ أصالهٔ الدین، والحیلولهٔ دون التحریفات الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۹۰ والخرافات؟ هل یتمّ ذلک سوی من جانب الإمام المعصوم سواء کان مشهوراً ومعلوماً أو مغموراً ومجهولًا «لئلّا تبطل حجج اللَّه وبیناته». تعلم أنّ فی کلّ مؤسسهٔ مهمّهٔ «صندوق محکم» تحفظ فیه الوثائق المهمهٔ لتلک المؤسسهٔ لتبقی بعیدهٔ عن أیدی اللصوص؛ إضافهٔ إلی ذلک إن حدث حریق فی هذا المکان مثلًا کان ذلک الصندوق بعیداً عنه. فصدر الإمام وروحه العظیمهٔ هی صندوق حفظ معالم الدین وخصائص المفاهیم السماویهٔ الرفیعهٔ «لئلّا تبطل حجج اللَّه وبیناته».

۳- إعداد ثلّهٔ ثوریهٔ واعیهٔ

خلافاً لما یعتقده البعض من قطع الارتباط المطلق بین الإمام والامّهٔ فی عصر الغیبهٔ، بل کما یستفاد من الروایات الإسلامیهٔ فإنّ هنالک ثلّهٔ من الأفراد الذین یعیشون عشق اللَّه ویتمتعون بقلب یفیض بالإیمان والأخلاص والتفکیر فی إصلاح العالم، مرتبطهٔ بالإمام وتعد بالتدریج من خلال هذه الرابطهٔ وتتکهرب بروح الثورهٔ التی تستأصل جذور الظلم والجور من کافهٔ أنحاء العالم. ربّما یتوفی هؤلاء قبل انطلاقهٔ النهضهٔ، ولا یقدح ذلک فی الهدف فهم ینقلون تلک التعالیم التعبویهٔ إلی أجیالهم القادمهٔ لیجدوا ویجتهدوا فی إعداد الثلّهٔ الصالحهٔ. قلنا سابقاً أنّ غیبهٔ الإمام علیه السلام لا تعنی کونه یتحول إلی روح غیر مرئیهٔ أو أشعهٔ غیر ظاهرهٔ، بل یتمتع بحیاهٔ طبیعیهٔ هادئهٔ ویعیش بشکل مجهول بین الناس ویستقطب القلوب المستعدهٔ ویستحوذ علیها فیجعلها أکثر تأهباً واستعداداً. ویتفاوت الأفراد حسب استعداداتهم فی نیل سعادهٔ اللقاء، الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۹۱ فبعضهم یلتقیه لحظات وآخر ساعات وثالث عدهٔ أیّام وشهور وربّما سنوات! بعبارهٔ أوضح إنّ البعض بلغ منزلهٔ رفیعهٔ من العلم والورع والتقوی بحیث أصبح کالراکب فی الطائرهٔ التی تحلق فی عنان السماء وهی تخترق السحب والغیوم، بینما ما زال البعض الآخر یعیش تحت السحب فی الظلمات. وهذا هو الحساب الصائب، فلا ینبغی أن أجلس وانتظر لاسحب الشمس تحت السحب وأراه، فهذا الانتظار خطأ محض ووهم زائف؛ أنا الذی ینبغی أن أحلق فوق السحب والغیوم لاستضییء بضیاء الشمس وانتهل من نورها. علی کلّ حال فإنّ تربیهٔ هذه الثلهٔ، تعد من الآثار المترتبهٔ علی فلسفهٔ وجوده فی هذا العصر.

۴- النفوذ الروحی والتلقائی

نعلم أنّ للشمس أشعهٔ مرئیهٔ تظهر من ترکبها الألوان السبعهٔ، کما لها أشعهٔ غیر مرئیهٔ هی «الاشعهٔ فوق البنفسجیهٔ» و «الأشعهٔ تحت الحمراء». کذلک للزعیم الربّانی سواء النبی أو الإمام وإضافهٔ إلی التربیهٔ التشریعیهٔ عن طریق القول والفعل والسلوک والتعلیم والتربیهٔ العادیهٔ، فإنّ هناک تربیهٔ روحیهٔ من خلال النفوذ المعنوی فی القلوب والأفکار والتی یمکن الاصطلاح علیها بالتربیهٔ التکوینیهٔ، لیس هنا من فاعلیهٔ للألفاظ والکلمات والأقوال والأفعال، بل الکلمهٔ الفصل للجذب الباطنی. ونری فی سیرهٔ أغلب أولیاء اللَّه العظام فی أنّ بعض الأفراد المنحرفین الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۹۲ والملوثین وأثر اتصال خاطف یغیرون مسیرتهم بصورهٔ تامهٔ فتتغیر عاقبتهم جذریاً، فیتحولون إلی أفراد مؤمنین مخلصین لا- یألون جهداً فی التضحیهٔ بالغالی والنفیس من أجل الدین. فهذه

التغييرات السريعة والشاملة، وهذا الانقلاب العظيم الجامع والذى يحصل من نظرة أو ارتباط بسيط (طبعاً رغم التلوث فإنّ هنالك استعداداً عالياً لديهم) فإنّه لا يمكن أن يعزى إلى التعليم والتربية العادية، بل معلول لاثر نفسى غير مرئى وجذبة تلقائية يعبر عنها أحياناً بنفوذ الشخصية. ولعلّ أغلب الأفراد جرّبوا ذلك فى حياتهم أنّهم حين يتلقون بعض الأفراد من ذوى الروح الرفيعة والعالية فإنّه يتأثر تلقائياً ودون أن يتمالك نفسه حتّى يصعب عليه التحدث بحضرتهم؛ فيرون أنفسهم وسط هالة عظيمة يصعب عليهم تصويرها. طبعاً يمكن توجيه بعض هذه الامور بالتلقين أحياناً؛ لكن من المسلم به أنّ هذا التفسير ليس صحيحاً فى جميع الموارد، بل ليس أمامنا من سبيل سوى بأن نذعن بأنّ هذه الآثار تفرز من قبل ومضات سرية تنبعث من باطن الذات الإنسانية العظيمة. وإننا نرى القصص الكثيرة فى تاريخ الأئمّة العظام والتى لا يمكن تفسيرها سوى من خلال هذا السبيل، كقصة قدوم شاب عاص على النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وتحوّله المعنوى والروحى أو لقاء أسعد بن زرارة الوثنى بالنبى الأكرم صلى الله عليه و آله عند الكعبة وتغيّر فكره وعقائده. أو ما يسميه أعداء النبى الأكرم صلى الله عليه و آله سحراً والذى كان يؤثر به على من يقترب منه، كلّ ذلك يعكس نفوذ شخصية النبى صلى الله عليه و آله إلى أعماق أولئك الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ١٩٣ الأفراد. وهكذا ما ورد بشأن تأثير كلام الإمام الحسين عليه السلام على «زهير» فى مساره إلى كربلاء، حتّى أنّه لم يستطع وضع ما كان فى يده من طعام فى فمه، فطرحه أرضاً وانطلق. أو الجذبة العظيمة التى شعر بها الحرّ بن يزيد الرياحى فأخذ يرتعش كالسعفة رغم شجاعته؛ فقاده ذلك إلى الالتحاق بركب الإمام حسين عليه السلام ونيل الشهادة. أو قصة الفتى الذى كان يسكن جوار «أبو بصير» والذى كان ثرياً ويعيش فى دعة ورفاهية إثر خدمته لبنى أمية، حتّى تغيّر تماماً إثر رسالة الإمام الصادق عليه السلام فهجر كلّ أفعاله وأعاد كافة الأموال التى حصل عليها من الطرق غير المشروعة إلى أصحابها، وانفق الباقى فى سبيل اللّه. أو تلك الخادمة الحسناء لدى هارون والتى بعث بها إلى الإمام الكاظم عليه السلام ظناً منه بأنّه يؤثر على الإمام عليه السلام فعاشت ذلك الانقلاب الروحى خلال تلك المدّة القصيرة حتّى سلبت لب هارون بمنطقها و ... كلّ ذلك نماذج من هذا التأثير التلقائى والعفوى الذى يمكن اعتباره شعبة من الولاية التكوينية للنبى صلى الله عليه و آله أو الإمام عليه السلام، ذلك لأن عامل التربية والتكامل هنا ليس الألفاظ والجمل والطرق المتعارفة والعادية، بل هو الجذبة المعنوية والنفوذ الروحى. ولا يقتصر هذا الأمر- كما قلنا- على الأنبياء والأئمّة، بل لبعض أولياء اللّه ودعاة الحقّ هالة من هذا النفوذ والتأثير العفوى، غاية الأمر ليست هنالك من نسبة للمقارنة بين دائرة تأثير الفريق الأوّل والثانى من حيث السعة الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ١٩۴ والشمولية. ولوجود الإمام عليه السلام خلف غيوم الغيبه مثل هذا الأثر عن طريق الأشعة الخارقة والشاملة لنفوذ شخصيته فى استقطاب القلوب القاصية والدانية وإعدادها باتجاه السمو والتكامل. إننا لا نرى بأعيننا قطبى المغناطيس الأرضى، غير أننا نلمس أثرهما على عقارب البوصلات والسفن فى البحار والطائرات فى السماء وسائر الوسائل والأدوات. ولعلّ ملايين المسافرين يهتدون ببركات هذه الأمواج المغناطيسية فى كافة الأماكن، وكذلك وسائط النقل الصغيرة والكبيرة التى تتخلص بأوامر هذه العقارب الصغيرة من الحيرة والضلال. فهل من العجيب أن يهدى الإمام عليه السلام فى غيبته بأمواج جاذبيته المعنوية أفكار العديد من الأفراد هنا وهناك وينجيهم من الحيرة والضلال؟ لكن لا ينبغى ولا يمكن أن ننسى بأنّ الأمواج المغناطيسية كما لا تؤثر على كلّ قطعة حديدية تافهة، بل يقتصر تأثيرها على العقارب الظريفة والحساسة ولها سنخية مع القطب المرسل للأمواج المغناطيسية، كذلك إنّما تتأثر بالإمام القلوب التى لها سنخية وشبه روحى به. وهكذا يتضح ممّا مرّ معنا الأثر الآخر من آثار فلسفة وجود الإمام عليه السلام فى الغيبة.

۵- هدف الخليقة

ليس هنالك من عاقل يتقدم دون هدف، وكلّ حركة تتم فى ظلّ العقل والعلم تتجه نحو هدف معين. مع هذا الفارق فى أنّ الهدف

من أعمال الإنسان رفع حاجاته وتلبیة متطلباته، أمّا الهدف من أفعال اللَّه هو الآخرین الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۹۵ واشباع حاجاتهم، ذلک لأنّ ذاته غنیة من جمیع الجهات ومنزهة من کلّ نقص، وعلیه فلا معنی لمصلحته فی أفعاله. والآن التفتوا إلی هذا المثال: نقیم بستاناً ملیئاً بالفاکهة والثمار فی أرض خصبة، وهنالک العلف الذی ینبت بین الأشجار والورد، وکلما سقینا تلک الأشجار فإنّ العلف یروی من تلک المیاه. وهنا یکون لدینا هدفان: الهدف الأصلی سقی الأشجار والورود. والهدف التبعی سقی العلف. لا شک أنّ الهدف التبعی لیس هو الدافع للعمل، أو موجه لحکمته؛ والمهم الهدف الأصلی الذی ینطوی علی الجانب المنطقی! ولو افترضنا الآن جفاف أکثر اشجار البستان وعدم بقاء أکثر من شجرة واحدة، لکنها الشجرة التی تعطینا الفاکهة والثمار التی لا تتوقعها من آلاف الأشجار، فممّا لا شک فیه أننا نواصل سقی تلک الشجرة، وکأن مزیداً من العلف أیضاً یستفید من تلک المیاه، ولو جفت تلک الشجرة یوماً فإننا سنتخلی عن السقی وإن مات کلّ ذلک العلف. عالم الخلق کذلک البستان الزاهر والناس أشجاره. ومن سار نحو المال فهو بمثابة الشجرة المثمرة، ومن نزع نحو الانحراف والتسافل کعلف ذلک البستان. الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۹۶ لا شک فی أنّ هذه الشمس المشرقة وذرات الهواء وکلّ برکات الأرض والسماء لم تخلق من أجل حفنة من المفسدین الذین یتنازعون فیما بینهم ویأکل قویهم ضعیفهم ولا یذوق المجتمع سوی ظلمهم وجورهم وفسادهم. کلا، حقّاً هذا لیس الهدف من الخلق! فقد خلق هذا العالم وجمیع النعم- من وجهة نظر فرد عابد وعارف ببعض المفاهیم کعلم اللَّه وحکمته- للصالحین والطاهرین، وهکذا ستخرج آخر الأمر من أیدی غاصبیها وتقع بید أصحابها «وَلَقَدْ کَتَبْنا فِی الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّکْرِ أَنَّ الْأَرْضَ یَرِثُها عِبادِیَ الصَّالِحُونَ» «۱». وبستان الخلیقة (عالم الوجود الواسع) یواصل عطاءه من أجل هذه الفئة؛ وإن انتفع به العلف کهدف تبعی، إلّاأنّ الهدف الأصلی تلک الفئة. ولو فرض الیوم الذی ینقرض فیه آخر نسل من فئة الصالحین من علی الأرض قطعاً ستتوقف مواصله النعم. آنذاک یربک استقرار الأرض وتمنع السماء برکاتها، وتقتر الأرض علی الإنسان منافعها. یعتبر النبی أو الإمام رمز الثلّة الصالحة ونموذج الإنسان الکامل، أی الفئة التی تمثل الهدف الأصلی للخلیقة، ومن هنا فإنّ وجوده بمفرده یوجه هدف الخلیقة ومصدر نزول کلّ خیر وبرکة وهطول أمطار الفیض ورحمة اللَّه، سواء کان ظاهراً وسط الناس أو مخفیاً غیر معروف. صحیح أنّ سائر الأفراد الصالحین کلّ منهم هدف للخلیقة، أو بعبارة الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۹۷ اخری جزء من الهدف العظیم، إلّاأنّ النموذج التام لهذا الهدف هو هؤلاء الأفراد القدوة والزعماء الربّانیون، وإن کان دور الآخرین محفوظاً. ویتضح من هنا ما ورد فی بعض العبارات مثل: «بیمنه رزق الوری وبجوده تثبت الأرض والسماء». فهذه لیست من قبیل «المبالغة» و «مجانبة المنطق» أو «الشرک». وکذلک العبارة الواردة فی الحدیث القدسی الذی خاطب النبی «لولاک لما خلقت الأفلاک» التی تبیّن حقیقة ولیست مبالغة، غایة الأمر أنّه ذروة هدف الخلیقة، وسائر الصالحین جزء من هذا الهدف. ونستنتج من مجموع ما أوردناه فی هذا الفصل تحت العناوین الخمسة أنّ أولئک الذین قبعوا فی زاویة وظنوا أنّ وجود الإمام فی عصر الغیبة هو وجود شخصی دون ثمرة اجتماعیة وحملوا- کما ذهبت الشیعة- علی فلسفة هذا الوجود وما عسی أن یکون انتفاع الخلق بزعامته، قد اخطأوا فی حساباتهم وأنّ الأمر لیس کما ظنّوا فآثاره حتّی فی هذه الحالة أعظم من أن تحصی. الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۹۹

سبیل انتصار ذلک المصلح العظیم

هل ینهض الإمام بالسیف

إنّ التفوق فی القوة یعد شرطاً مهماً فی الانتصار علی العدو، ولا تقتصر هذه القوة علی الجانب العسکری، بل التفوق من حیث القدرات الروحیة والإیمان بالهدف ورصانة الدعائم الاقتصادیة والاجتماعیة، کلّ هذه من الامور التی تلعب دوراً أساسیاً فی تحقیق الغلبة. ولیس هنالک من سبب یکمن فی فشل المجتمعات واحباطها واستسلامها للذلة والخنوع سوی عدم سعیها باتجاه توفیر تلک

العناصر الضرورية لتحقيق النصر. وعلى هذا الأساس ترد بعض الأسئلة بشأن قيام المصلح العالمى الكبير ومنها: ١- هل يعتمد زعيم هذه النهضة العالمية الشاملة من الأسلحة التقليدية للعصور السابقة (الأسلحة الحديدية البسيطة) بغية تحقيق العدل العالمى وتحقيق النصر وهزيمة الجبابرة والطواغيت من قبل جند الحقّ. إن كان الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ٢٠٢ كذلك فكيف يسعه اقناع الآخرين بهذا الاسلوب القتالى، وأنّى لهذا السلام بالصمود مقابل أسلحة العصر المتطورة والفتاكة وبالتالى هزم العدو وتحقيق النصر؟ أم أنّه سيستعين بسلاح أكثر تطوراً من الأسلحة المتوفرة الآن لدى البلدان المتقدمة؟ ما ماهية هذا السلاح وكيف سيحصل هو وأتباعه عليه؟ ٢- بغض النظر عمّا سبق فقد جاء فى الروايات: إنّه عليه السلام «يقوم بالسيف»؛ الأمر الذى يفيد اعتماده على الأسلحة البسيطة. وهنا يرد الإشكال السابق: كيف يمكن تعطيل الأسلحة المتطورة والعودة إلى عصر الأسلحة المتواضعة؟ هل ستشهد الدنيا المعاصرة حرباً ذرية- كما يعتقد بعض العلماء- مدمرة بحيث لا يكون هناك من مجال سوى العودة إلى الماضى وآنذاك يظهر ويمارس النهضة؟ هل يمكن قبول هذا الاحتمال؟ ٣- أيضاً يرد هذا السؤال: هل تزول كلّ هذه الوسائل الحديثة والمتطورة المعدة لرفاه البشرية وسعادتها بحيث يرجع الإنسان إلى العصور القديمة؟ أيمكن قبول هذا النمط من التخلف والرجعية؟ أم بالعكس لا تبقى فقط، بل تتكامل بسرعة بالنحو الذى يجنبها آثار حياة المكننة السلبية؟ بعبارة اخرى حصول التطور الذى يختزن التكامل والنقاء. للاجابة عن هذه الأسئلة يمكن الاستعانة ببعض المصادر الروائية إلى الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ٢٠٣ جانب الأدلة العقلية، لارتباطها بهذين المصدرين. يصرح العقل بأنّ العودة إلى الوراء ليست ممكنة ولا منطقية، وهذا خلاف سنّة الخلق وأصل تكامل الحياة؛ وعليه ليس هناك من دليل على جمود المجتمع وايقاف عجلة تطوره بغية تحقيق الحقّ والعدالة، وأنّ قيام المصلح العالمى الكبير بهدف بسط العدل والحرية فى كافّة أنحاء العالم لا يؤدى بأى شكل من الاشكال إلى ركود أو إزالة الحركة الصناعية وما عليها من تطور. فالتطور الصناعى الراهن لم يتمكن من حلّ أغلب المعضلات التى تواجه الإنسان فى حياته فحسب، بل كما ذكرنا فى الأبحاث السابقة فإنّه يشكل أحد دعائم استقرار الحكومة العالمية الواحدة وتقريب المناطق العالمية على صعيد الارتباط والعلاقات الاجتماعية، وهى الامور التى يتعذر تحقيقها دون التكامل الصناعى. ولكن لا شك فى أنّ هذه الحركة والنهضة الصناعية والتكامل التقنى ينبغى أن يخضع إلى غربلة لينقى من العوالق السلبية والمضرة ويصب فى صالح الإنسان وتحقيق أهدافه فى العدل والحرية، وهذا ما ستمارسه قطعاً حكومة العدل. هذا بشأن التطور الصناعى والتقنى. وامّا بشأن السلاح فنقول: لابدّ من الاطاحة بالحكومات الجائرة والمستبدة من أجل استقرار حكومة العدل، وينبغى على الأقل توفير الاسلحة الأفضل للقضاء على تلك الحكومات، السلاح الذى ربّما يصعب علينا اليوم حتّى تصوره. فهل سيكون هذا السلاح من قبيل الأشعة المجهولة التى تفوق الأسلحة الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ٢٠٤ المتطورة السائدة الآن وباستطاعتها القضاء عليها جميعاً؟ أم من خلال التأثير النفسى وشل قدراتهم الفكرية بحيث لا يستطيعون المبادرة إلى استخدام الأسلحة الفتاكة؟ أم حصول شىء من قبيل الشعور بالخوف والهلع والرعب الذى يحول دون الاقدام؟ أم هنالك شىء آخر ... لا ندرى. ولا يسعنا الإشارة إلى هذا السلاح من الناحية المادية أو النفسية أو سائر النواحى، وكلّ ما يسعنا قوله أنّه سيكون السلاح الأقوى، كما نعلم أنّه ليس ذلك السلاح الذى يأتى على الأخضر واليابس فيقضى على هذا وذاك ليقيم صرح العدالة على أساس الظلم. هذا من حيث التحليل العقلى.

وأمّا من حيث المصادر الروائية:

فقد وردت بعض العبارات فى مصادر الروايات تتضمن اجابات واضحة عن الأسئلة المذكورة ومنها: ١- روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربّها واستغنى العباد عن ضوء الشمس» «١». ويفهم من هذه العبارة أنّ قضية الضوء والطاقة ستحل بحيث يستفاد فى الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ٢٠٥ الليل والنهار من أعظم ضوء يسعه أن يحل محل ضياء الشمس. وهل ينبغى أن نصبغ هذا الموضوع بصبغة الاعجاز، فى حين ينبغى أن تدور مشاريع الحياة اليومية- وبصورة

مستمرة- حول محور السنن الطبيعية لا الاعجاز؛ فالإعجاز أمر استثنائى عند بعض الموارد الضرورية وفى اطار اثبات حقانية دعوى النبوة أو الإمامة. على كلّ حال فإنّ الحياة العادية للناس لم تجر على أساس الإعجاز فى عصر أى نبى. وعليه فإن تكامل العلم والصناعة سيبلغ مرحلة تمكن الناس بقيادة ذلك الزعيم من اكتشاف بعض مصادر الطاقة التى تغنيهم عن أشعة الشمس. فهل سيكون السلاح اللازم لتحقيق العدل والسلام والحرية من أسلحة القرون الماضية، وهل هناك من تناسب بين الأمرين؟ ۲- ورد فى رواية اخرى عن أبى بصير عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنّه إذا تناهت الامور إلى صاحب هذا الأمر رفع اللّه تبارك وتعالى له كلّ منخفض من الأرض، وخفض له كلّ مرتفع حتّى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته، فايّكم لو كانت فى راحته شعرة لم يبصرها» «۱». تنصب اليوم بعض المرسلات على الجبال لتساعد فى نقل الصور إلى مختلف نقاط العالم، كما استفيد من الاقمار الصناعية فى تغطية عدة مناطق الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۰۶ بهذه الصور، حتّى يتمكن كلّ من كان لديه جهاز استقبال من التقاطها. إلّا أنّ عكس هذا الموضوع لا يبدو عملياً على الأقل فى الوقت الحاضر، أى يمكن نقل الصور من نقطة إلى مختلف نقاط العالم، بينما لا يمكن نقلها من مختلف النقاط إلى نقطة معينة، إلّاأن تكون هناك مرسلة فى كلّ بيت ومنطقة وصحراء وجبل وكلّ بقعة من بقاع العالم ليمكن الوقوف على كلّ ما فى العالم، وهذا الأمر لا يبدو ممكناً بالوسائل الموجودة اليوم. أمّا الذى يفهم من الحديث المذكور أنّ عصر المهدى عليه السلام سيشهد وجود نظام دقيق ومجهز يتولى نقل الصور، ولعله يصعب علينا اليوم تصوره، بحيث يصبح العالم بأسره كراحة اليد دون ظهور المرتفعات والمنخفضات التى تحجب رؤية ما على الأرض. طبعاً لا يمكن انبثاق الحكومة العالمية الواحدة التى تبسط العدل والقسط والأمن والسلام فى كافّة أرجاء العالم دون أن تمتلك مثل هذه الأنظمة الاستخبارية المتطورة. وتؤكد مرّة اخرى بأنّ هذه الامور ذات الصلة بالحياة اليومية للناس، من المستبعد أن تتم على أساس الاعجاز، بل على ضوء الأسباب الاعتيادية وتطور العلم والصناعة. كما يتضح أنّ هذه الأنظمة المتطورة لا- ينبغى أن تكون فى مجتمع متخلف، بل لابدّ أن يكون هنالك من تناسب بين سائر مرافق الحياة وهذا الأمر من حيث التطور والازدهار، بما فى ذلك السلاح والآلة العسكرية. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۰۷ ۳- عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «ذخر لصاحبكم الصعب! قلت: وما الصعب؟ قال: ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة أو برق، فصاحبكم يركبه، أما أنّه سيركب السحاب ويرقى فى الأسباب؛ أسباب السموات السبع والأرضين» «۱». طبعا ليس المراد من السحاب هذا السحاب العادى، لأنّ السحب ليست من الوسائل التى يمكن السفر بواسطتها إلى الفضاء، فالسحب تتحرك فى جو قريب من الأرض ولا تبعد مسافة تذكر عنها ولا يمكنها الارتفاع كثيراً عن الأرض، بل هى إشارة إلى وسيلة غاية فى السرعة بحيث تبدو فى السماء بصورة كتلة مضغوطة من السحب لها صوت كالرعد وقدرة وشدة كالصاعقة والبرق، تشق السماء حين الحركة بقوتها الفائقة وتستطيع أن تبلغ أيّة نقطة فى السماء. وعليه فهى وسيلة تفوق الحداثة لا يوجد ما يشبهها فى الوسائل الموجودة، ولعلّها أكثر شبها بالصحون الطائره والوسائل الفضائيه ذات السرعة المذهلة التى نسمع عنها اليوم الكثير من القصص ولا نعرف على وجه الدقّة مدى علميتها وواقعيتها، مع ذلك فهى ليست صحون طائرة. على كلّ حال يمكن أن نفهم من الرواية المذكورة أن ليس هنالك من تخلف صناعى، بل بالعكس هنالك التطور والازدهار والذى يعنى تطور وتكامل سائر المجالات. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۰۸ ۴- الرواية الواردة عن جابر عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إنّما سمّى المهدى لأنّه يهدى إلى أمر خفى، حتّى أنّه يبعث إلى رجل لا- يعلم الناس له ذنباً فيقتله حتّى أنّ أحدهم يتكلّم فى بيته فيخاف أن يشهد عليه الجدار» «۱». فهذه الرواية تدلّ على أنّ عصره وإن شهد حرية واستقرار الصالحين، إلّا أنّ العصاة الأشرار يشعرون بأنّهم خاضعون لسيطرة دقيقة بحيث يمكن التعرف على أمواجهم الصوتية من خلال بعض الوسائل المتطورة وهم داخل بيوتهم وبالتالى يمكن معرفة الكلام الذى أوردوه عند الضرورة اللازمة لذلك. ولعلّ هذا الكلام لا يعنى قبل أكثر من مئة سنة سوى الاعجاز. بينما لا نراه اليوم كذلك ونحن نرى كيف تتمّ السيطرة فى أغلب البلدان على حركة السيارات بأجهزة الرادار من الطرق البعيدة ودون حضور الشرطة، أو ما نسمعه من أنّ العلماء تمكنوا من خلال بعض الأمواج على الصفائح فى المتاحف المصرية من أحياء أصوات أولئك

الذين صنعوها قبل ألفى سنة، أو نسمع بوجود أجهزة تستطيع ببعض الأمواج الحرارية (الأمواج تحت الأشعة الحمراء) أن تلتقط الصور لتتعرف على السارق أو القاتل الذى ترك المكان تواً وغادره. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۰۹ وهكذا تتضح إجابات الأسئلة المذكورة ممّا ذكرناه سابقاً، حيث قضية التخلف الصناعى ليست غير واردة فى عصر المهدى عليه السلام فحسب، بل هنالك تطور وإزدهار خارق للصناعة والتكنولوجيا لا يصب سوى فى ضمان مصالح الإنسان وتحقيق أهدافه فى الحرية والعدل والسلام.

مفهوم السيف:

لم يبق سوى هذا السؤال: ترى ما المراد بكلّ هذه العبارات التى تحدثت عن قيام المهدى عليه السلام بالسيف؟ حتّى فى الأدعية التى تلهمنا دروس الاستعداد لخوض غمار هذا الجهاد فاننا نقول: «شاهراً سيفه» فنسأل اللّٰه أن يوفقنا للالتحاق بصفوف المجاهدين وشهر السيف من أجل نصرة الحقّ. الواقع هو أنّ «السيف» كان ومازال يرمز إلى القوة والقدرة العسكرية على غرار «القلم» الذى يرمز إلى العلم والثقافة. وممّا لا شك فيه أنّه كانت هنالك بعض الأسلحة التى تختلف عن السيف فى الحروب السابقة من قبيل القوس والحربة والسهم والخنجر، إلّاأنّ الغالب فى الألفاظ هو السيف فيقال: ليس لك عندى سوى السيف إن لم تسلِّم لهذا الأمر، أو ما تعارف سابقاً من أنّ شؤون البلاد تدار بالسيف والقلم، وكلّ ذلك من قبيل الرمز إلى القوة والثقافة والعلم. ولدينا اليوم العديد من الأمثال التى تضرب بهذا الخصوص من قبيل: سلَّ فلان سيفه، أى أظهر قدرته علانية. سيحكم السيف بيننا وبينكم، اشارة إلى عدم وجود حلّ سوى السيف الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۱۰ والقتال. ولن أغمد سيفى حتّى أحقق هدفى، أى سأواصل المعركة حتّى الرمق الأخير. إن فلاناً له سيف ذو حدين، يعنى يحارب من جانبين. وتشير كلّ هذه التعبيرات على سبيل الكناية إلى القوة والمواجهة، كما ورد ذلك فى بعض الروايات الإسلامية مثل: «الجنّة تحت ظلال السيوف» «السيوف مقاليد الجنّة». وكلّها ترمز إلى الجهاد والتضحية واستعمال القوة، ومثل هذه التعبيرات الرمزية بالسيف والقلم كثيرة فى مختلف اللغات. ومن هنا يتضح أنّ المراد من قيام المهدى عليه السلام بالسيف هو استعانته بالقوة؛ حتّى لا يظن بأن نهضة هذا المصلح الربانى تقتصر على الوعظ وإسداء النصح والإرشادات فى الميادين الاجتماعية. بل هو زعيم ينطلق فى نهضته من محورين؛ يتمثل الأوّل فى المنطق وحيث لا يجدى نفعاً سيّما تجاه الجبابرة والطواغيت، فإنّه يلجأ إلى السيف، أى يستعين بالقوة فى مواجهة الظلمة، والواقع ليس هنالك من سبيل لممارسة الإصلاح والقضاء على الفساد سوى ذلك، «الناس لا يقيمهم إلّا السيف». وبعبارة اخرى أنّ وظيفته لا تقتصر على إرائة الطريق، بل مهمته الأعمق– إضافة لما تقدّم– إجراء القوانين الشرعية وتطبيق الأحكام الدينية وبلوغ السمو والكمال. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۱۱ ويبدو أنّ نقطة قد اتضحت ممّا ذكر وهى: خلافاً لما يظنه بعض ضيقى الافق من أنّ قيامه يستند دون مقدمة إلى السلاح، وعلى ضوء تلك الخرافة فإنّه يسفك الدماء حتّى تبلغ ركابه، فإنّه سيبدأ المواجهة بادئ الأمر من خلال الحوار الفكرى وفى كافة الأصعدة، أى على ضوء الاصطلاح الدينى يتمّ الحجّة على الخصوم بحيث يستجيب له كلّ من إمتلك بعض الاستعداد لقبول الحقّ، فلا يبقى سوى من لا تجدى معه الأساليب الاخرى نفعاً غير القوة. فالذى نستفيده من القرائن القائمة على هذا الموضوع– بغض النظر عن دليله– أنّ اسلوبه وسيرته هى سيرة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله؛ فقد مارس الدعوة السرية فى مكّة لثلاث عشرة سنة وقد إلتف حوله أولئك الذين يسمعون منطق الحقّ، بينما هب لمواجهته أولئك الجفاة الذين يشكلون الأكثرية الساذجة، فاضطر للهجرة إلى المدينة وأرسى دعائم الحكومة الإسلامية واستعد لمواجهة الأعداء وشقّ طريقه نحو دعوة عامة الناس. ورغم الدعايات المغرضة التى تثار ضد الدعوة الإسلامية من أنّها دعوة السيف، إلّاأنّ أفضل سند لدينا اليوم والذى لا يسعهم اخفاءَه أو إزالته هو القرآن الكريم. ولو كان الإسلام دين العنف والقوة لما غص القرآن بكلّ تلك الأدلة والبراهين لإثبات الحقائق، ولاـ سيّما فى موضوعَىْ معرفة اللّٰه والمعاد اللذين يشكلان أهم المحاور الأساسية للإسلام، ولما طالب أصحاب الفكر والعقل والمنطق بإصدار الأحكام، ولما تحدث بهذه الطريقة عن العلم والمعرفة، الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۱۲ فالنظام الذى يتصف بالعنف

لا يعرف من معنى للـدليل والبرهان. والإسـلام حتّى حين يلجأ إلى القوّة ليكشف عن موقفه بالأدلّـة والبراهين مشـيراً إلى عـدم امكانيهٔ التغاضـى عن تلك القوهٔ. على كلّ حال فهو يسـير بسيرهٔ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، إضافهٔ إلى رقى المستوى الفكرى للناس فى عصـره وتأكد ضـرورهٔ اعتماد المنطق، على غرار ضـرورهٔ اعتماد القوهٔ تجاه الطغاهٔ. طبعاً سـتكون بعض جوانب هذه الثورهٔ دمويهٔ حيث تهـدف إلى إراقهٔ تلك الدماء الملوثهٔ، وهل هنالك من سبيل للاصـلاحات الجذريهٔ فى المجتمعات الفاسدهٔ سوى ذلك، إلّاأنّ هذا لا يعنى أنّه يسـفك الـدماء عبثـاً، فهو بالضـبط كالطبيب الحاذق فى امتصاصه للـدماء الملوثـهٔ من بـدن مريضه! الحكومـهٔ العالميـهٔ للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۱۳

سيرهٔ الحكومهٔ العالميهٔ

العصور الثلاثهٔ

هنالك ثلاثـهٔ عصور بشأن النهضـهٔ التاريخيـهٔ الكبرى للمهدى، هى: ۱- عصـر الاسـتعداد والانتظار وعلامات الظهور. ۲- عصر النهضهٔ ومواجهـهٔ الظلم والفساد. ۳- عصـر الحقّ والعدل. تحدثنا بإسـهاب عن العصـر الأوّل والثانى، ونخوض هنا فى العصر الثالث الذى يمثل نتيجـهٔ ومحصـله تلك النهضـهٔ الشاملهٔ، فلم تسـلط الأضواء على هذا الموضوع كما ينبغى رغم أهميته. على كلّ حال يتوقع انبثاق عالم خـالٍ مـن التمييز العنصـرى والتفـاوت الطبقى وسـائر أصـناف الفرقـهٔ والتشـتت ونشـوب الحروب وسـفك الـدماء والاعتـداء واللهجهٔ الاسـتعماريهٔ الغاشـمهٔ وانين الشـرائح المعدمـهٔ والمحرومـهٔ. ويـاله من عـالم رائع يبعث على الراحـهٔ والنشاط. وبالطبع كما يسـهل نظرياً تصوير مثل هـذا العالم فى الخيال، فإنّه شائكٌ ومعقـدٌ من الناحيـهٔ العمليهٔ، ولكن على كلّ حال فلابد للبشـريهٔ من سـلوك هذا الطريق وإلّا ليس الحكومـهٔ العالميـهٔ للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۱۶ هنالك سوى الفساد والانحراف. وقـد تضـمنت الروايات بعض الإشارات إلى الخطوط العامهٔ لذلك المجتمع، وأنّها حقّاً لعبارات حيهٔ ورائعهٔ بالرغم من كونها وردت قبل ثلاثهٔ عشر قرناً. ونشير هنا إلى بعضها:

تطور العلوم فى عصر المهدى عليه السلام:

ليس هنالك من نهضـهٔ دون طفرهٔ فكريـهٔ وثقافيـهٔ أصـيلهٔ تنشـد الرقى والكمال؛ وعليه فالخطوهٔ الاولى لتحقيق هـذا الهـدف تكمن فى انطلاقـهٔ النهضـهٔ الثقافيـهٔ التى تسوق الأفكـار إلى الحركـهٔ باتجاهين: الأوّل: فى مجال العلوم التى تحتاجها المجتمعات الحرهٔ والصـحيهٔ (هـذا من حيث النظره الماديـهٔ). والثانى: على صـعيد الوقوف على مبادئ الحياهٔ الإنسانيـهٔ المفعمـهٔ بالإيمان (النظرهٔ المعنويـهٔ). جاء فى حديث للإمام الصادق عليه السـلام أنّه قال: «العلم سـبعهٔ وعشـرون حرفاً فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتّى اليوم غير الحرفين، فـإذا قام قائمنا أخرج الخمسـهٔ والعشـرين حرفاً، فبثها فى الناس وضمّ إليها الحرفين، حتّى يبثها سـبعهٔ وعشـرين حرفاً» «۱». الحكومهٔ العالميهٔ للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۱۷ فالحديث يشير إلى الطفرهٔ الثقافيهٔ والعلميهٔ التى يشهدها عصر النهضهٔ للإمام المهدى عليه السلام والذى يعادل ۱۲ ضعفاً بالنسبهٔ للعلوم والمعارف التى كانت سائدهٔ فى عصور الأنبياء جميعاً، حيث تفتح بوجه البشريهٔ كافّهٔ أبواب العلوم البناءهٔ والنافعهٔ، فيجتاز الإنسان بمدهٔ قصيرهٔ اثنى عشر ضعفاً ما بلغته البشريهٔ خلال آلاف السنين؛ وهل هنالك طفرهٔ أعمق وأرفع من هذه. كما ورد حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السـلام يكمل سابقه حيث قال: «إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد، فجمع بهـا عقولهم وكملت بها أحلامهم» «۱». وهكـذا تنطلق العقول باتجاه الكمال فى ظلّ إرشادات وتوجيهات المهدى عليه السـلام وعنايته ولطفه، وتنضج الرؤى والأفكار، وتزول كافهٔ الرؤى الضـيقهٔ والأفكار الضحلهٔ التى تعد مصدر جميع التضاد والتزاحم والنزاعات الاجتماعيهٔ العنيفهٔ. فالأفراد يتمتعون آنذاك بسعهٔ الافق والأفكار الحرهٔ والصدور الرحبهٔ والهمهٔ العاليهٔ والنظرهٔ الثاقبهٔ فيتمكنون من حلّ أغلب المصاعب الاجتماعيهٔ بروحهم الساميهٔ ويبنون العالم المليئ بالأمن والسلام. والحقّ أنّ كلّ اصلاح اجتماعى إنّما يعتمد على هذا

الانقلاب الفكرى والروحى. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۱۸

التطور الصناعى المذهل فى عصر المهدى عليه السلام

تشير الأحاديث التى أوردناها بتسلسل ۱ و ۲ و ۳ و ۴ فى مبحث «سبيل الانتصار» أنّ هذه الطفرة العلمية والصناعية ستكون شاملة واسعة. وستكون وسائل جمع المعلومات غاية فى التطور بحيث تصبح الدنيا كراحة اليد فى وضوحها فتكون هنالك سيطرة تامة على أوضاع العالم دون ضياع الوقت فى معالجة المشاكل؛ بحيث يقضى على بؤر الفساد (المتعمدة وغير المتعمدة) فى مهدها «۱». كما تحل قضية الضوء والطاقة بحيث لم تعد هناك من حاجة إلى الطاقة الشمسية التى تنبثق منها أنواع الطاقة سوى الطاقة الذرية. ولعلّ ذلك سيكون فى ظلّ نظام ذرى متكامل للطاقة خال من الاشعاعات الحالية الضارة التى تحول دون الاستفادة من هذه الطاقة «۲». كما سيشهد تطور وسائط النقل التى تأبى المقارنة بالوسائل السائدة اليوم، والتى لا تقتصر على الحركة بأقصر مدّة على سطح الكرة الأرضية، بل تقوم برحلاتها الفضائية فى فترة قياسية «۳». وهذا ما يمّهد السبيل أمام تلك الحكومة لتحقيق مشاريعها الإصلاحية. وورد فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ قائمنا إذا قام مدّ اللّه بشيعتنا فى أسماعهم وأبصارهم، حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۱۹ فى مكانه» «۱». أى يتمتع كافّة الناس بوسائل نقل «الصوت» و «الصورة» بشكل بسيط وسهل، بحيث لم تعد هنالك من حاجة إلى وجود دائرة باسم البريد فى حكومته ودولته، كما تحل أغلب القضايا دون الحاجة إلى الأوراق- كما هى سائدة اليوم والتى تتطلب عدداً من الأفراد الذين يمارسون مهامهم ويستغرقون مدّة طويلة بغية كشف الحقّ والواقع- فهنالك أجهزة الشهود والحضور التى تدير شؤون المجتمع، ويا لها من أجهزة تشيع أجواء الهدوء والاستقرار والاستفادة من عامل الوقت. كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ المؤمن فى زمان القائم وهو بالمشرق سيرى أخاه الذى فى المغرب؛ وكذا الذى فى المغرب يرى أخاه الذى بالمشرق» «۲». فالارتباط قائم بين الجميع ولا يقتصر على مستوى الحكومة، ومن شأن الارتباطات الظاهرية والبدنية ترسيخ الوشائج المعنوية بحيث يصبح العالم بمثابة البيت وناسه اسرة واحدة. وهكذا سيكون العلم والمعرفة والصناعة وسيلة لتحسين أوضاع العالم وتعميق اسس الاخوة، لا التفرقة والهدم كما هى عليه اليوم.

التطور الاقتصادى والعدل الاجتماعى:

تتمتع الأرض التى نعيش عليها بإمكانات ضخمة تسعنا وسائر الأجيال القادمة وما لا يحصى من السكان البشرى، إلّاأنّ عدم الاطلاع الكافى على المصادر المتوفرة بالفعل ومصادر الطاقة بالقوة، من جانب، وعدم وجود النظام الصحيح لتوزيع الثروات، من جانب آخر، أدّى إلى بروز مختلف الأزمات والحاجات؛ إلى درجة أنّ عصرنا يشهد يومياً موت العديد من المحرومين جوعاً. فالنظام الذى يحكم الاقتصاد العالمى الراهن نظام استعمارى وإلى جانبه نظام حربى ظالم يستهدف القضاء على الطاقات الفكرية والبشرية التى ينبغى استغلالها فى البحث عن المصادر والمنابع الضرورية لتحسين حياة الإنسان والنهوض بمستواه المعاشى. والواقع ما أن ينهار هذا النظام حتّى تتكاتف الجهود لاستخراج المصادر الضرورية والتى تعتمد الوسائل العلمية المتطورة لتحقق تلك الانجازات العملاقة التى تسهم فى انعاش الاقتصاد العالمى. ولذلك نرى بعض الإشارات إلى هذه السعة الاقتصادية المتعلقة بحكومة المصلح العظيم فى بعض الروايات الإسلامية ومنها: «إنّه يبلغ سلطانه المشرق والمغرب؛ وتظهر له الكنوز؛ ولا يبقى فى الأرض خراب إلّايعمره» «۱». والحقّ، لابدّ أن يكون الأمر كذلك، ذلك لأن خراب الأرض ليس بسبب قلة الطاقة البشرية ولا الازمة المالية، بل وليد خراب الإنسان وهدر الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۲۱ الطاقات الإنسانية وعدم الشعور بالمسؤولية، فإن غيبت هذه الامور فى ظلّ النظام الاجتماعى الصحيح، فإنّ العمارة ستكون قطعية، سيّما أنها تستند إلى طاقات خارقة جديدة. وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه

قال: «إذا قام القائم حكم بالعدل وارتفع فى أيّامه الجور وأمنت به السبل واخرجت الأرض بركاتها ورد كلّ حقّ إلى أهله ... وحكم بين الناس بحكم داود عليه السلام وحكم محمّد صلى الله عليه و آله فحينئذٍ تظهر الأرض كنوزها وتبدى بركاتها ولا يجد الرجل منكم يومئذٍ موضعاً لصدقته ولا لبره لشمول الغنى جميع المؤمنين ...» «۱». ويفيد التركيز على ظهور بركات الأرض واستخراج الكنوز ازدهار القطاع الزراعى حتّى يبلغ ذروته، إلى جانب اكتشاف المصادر الجوفية والاستفادة منها. وسيرتفع الدخل السنوى للأفراد بحيث لا يبقى فى المجتمع فقير، والكلّ يعيش حالة الاكتفاء وعدم الحاجة. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۲۲ وممّا لا شك فيه أنّ اجراء مبادئ العدل والقسط واستقطاب الطاقات البشرية واستغلالها بالشكل الصحيح يفرز تلك النتائج الايجابية؛ وذلك لأن الجوع والفقر والفاقة ليست من افرازات الأزمة والقلّة، بل هى نتيجة مباشرة وغير مباشرة للمظالم والتمييز وانعدام العدالة وهدر الطاقات وتضييع الثروات. وورد فى حديث آخر فى مصادر العامة عن أبى سعيد الخدرى. قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «أُبشركم بالمهدى يملأ الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه سكان السماء والأرض، يقسم الماء صحاحاً؛ فقال رجل: ما معنى صحاحاً، قال بالسوية بين الناس؛ ويملأ قلوب امّة محمّد صلى الله عليه و آله غنى؛ ويسعهم عدله، حتّى يأمر منادياً ينادى ويقول من له بالمال حاجة فليقم فما يقوم من الناس إلّارجل واحد، ثمّ يأمر له بالمال فيأخذه ثمّ يندم ويرده» «۱». ولابدّ من الالتفات إلى بعض الامور فى تفسير هذا الحديث. ۱- المراد من رضى سكان السماء عن حكومته ربّما يكون إشارة إلى ملائكة السماء وملائكة اللَّه المقربين، أو إشارة إلى سعة حكومته إلى سائر الكرات المأهولة وافتتاح طرق السموات والرحلات الفضائية إلى نقاط العالم النائية. ۲- المراد من التقسيم العادل للثروة بالسوية- بالاستناد إلى علمنا بأنّ الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۲۳ الإمام المهدى عليه السلام حافظ ومروّج لأحكام الإسلام التى تقر بضرورة العطاء الأكثر بالنسبة للجهود الأكثر والكفاءات الأعمق- إمّا إشارة إلى أموال بيت المال والأموال العامّة بصورة كلية التى يتساوى فيها الجميع فى الحكومة الإسلامية- كما ورد ذلك فى سيرة النبى صلى الله عليه و آله وعلى عليه السلام على العكس ممّا ورد فى سيرة أغلب الخلفاء كعثمان الذى اعتمد صنوف التمييز- أو إشارة إلى التسوية فى العطاء فى ظل الظروف المتساوية، بالعكس ممّا عليه الوضع الآن حيث يتقاضى عامل مثلًا فى منطقة من العالم عشرة دولارات مقابل الساعة من العمل، بينما لا يتقاضى عامل آخر فى منطقة اخرى وفى ظلّ ذات الظروف دولاراً واحداً إزاء عمل عشر ساعات، وهذا قمة الظلم والاجحاف. ۳- النقطة الاخرى التى نستفيدها من الحديث المذكور هى عدم وجود حتّى فرد واحد معدم ومحتاج فى ذلك العصر، بدليل أنّ ذلك الفرد الذى يقوم لم يكن غنياً على صعيد الروح ويشعر بالحرص والطمع، وإلّا لم يكن محتاجاً من الناحية المادية، والمهم أنّ ذلك الزعيم يملأ القلوب بالغنى المعنوى والنفسى ويستأصل منها جذور الحرص المقيتة؛ ذلك الحرص الذى يعد المصدر الرئيسى لتلك الجهود الجبّارة التى يبذلها اللاهثون وراء الثروة والذين لا يكفّون عن طلب المزيد، وكأنّهم مصابون بمرض الاستسقاء الذى لا يجعلهم يرتوون من الماء مهما نهلوا منه. ولعلّ العامل الآخر الذى يقف وراء جمع الثروة هو عدم الوثوق بالمستقبل، وهو الأمر الذى يزول بالمرة فى ظلّ عدالته الاجتماعية، فلا يرى شخص فى نفسه من حاجة لجمع الثروة، ذلك لأن يومه وغده مضمون. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۲۴ كما ورد فى حديث آخر عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال: «.. حتّى تملأ الأرض جوراً فلا يقدر أحد أن يقول: اللَّه! ثمّ يبعث اللَّه عزّوجلّ رجلًا منّى ومن عترتى فيملأ الأرض عدلًا كما ملأها من كان قبله جوراً وتخرج له الأرض أفلاذ كبدها ويحثو المال حثواً ولا يعدّه عداً» «۱». «أفلاذ»: جمع (فلذ) بمعنى القطعة. ويقال للأشياء النفيسة، أفلاذ الكبد، وهى هنا إشارة إلى المصادر الثمينة والقيمة تحت الأرض. كما يحتمل أن تكون إشارة إلى أنّ الإنسان سيظفر بالنواة المذابة داخل جوف الأرض وهى عبارة عن قطعة نار وحرارة يمكن أن يستفيد منها كمصدر مهم للطاقة، كما يمكن أن يستخرج منها مصادر حيوية اخرى من فلزاتها ومعادنها. وهكذا السُمو الأخلاقى وضمان الحاجات المستقبلية واتساع مصادر الدخل، والخلاصة، إنّ جمع الغنى الروحى والمادى سيؤدى إلى عدم الحاجة إلى عدّ الأموال، فلكلّ محتاج أن يقصد بيت المال ويسحب ما يشاء دون عناء. كلّ هذا من جهة ومن جهة اخرى: فإنّ هنالك بعض الأخبار التى تشير إلى تمتع عصره بحركة عمرانية من قبيل بناء

المـدن وشق الطرق وبناء المساجـد المتواضـعة البعيـدة عن التكلّف الظاهرى، إلى جانب هَدْم المبانى التى تسـبب بعض الحرج للناس. ومن الحكومـة العالميـة للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۲۵ ذلك: ۱- قال الإمام الصادق عليه السـلام: «ويبنى فى ظهر الكوفـة مسـجداً له ألف باب ويتصل ببيوت الكوفـة بنهر كربلاء وبالحيرة» «۱». ونعلم أنّ المسافـة بين هاتين المـدينتين تبلغ أكثر من ۷۰ كيلومتراً. ۲- قال الإمام الباقر عليه السـلام: «إذا قام القائم ... تكون المساجـد كلها جماء لاشـرف لها كما كان‌على عهـد رسول اللّه صـلى الله عليه و آله ويوسع الطريق الأعظم فيصـير ستين ذراعاً ويهـدم كلّ مسـجد على الطريق ويسد كلّ كوة إلى الطريق وكلّ جناح وكنيف وميزاب إلى الطريق» «۲». ۳- وورد فى حديث طويل عن الصادق عليه السـلام أنّه قال: «... وليصـيّرنَ الكوفة أربعة وخمسين ميلًا وليجاورن قصورها كربلاء، وليصيرن اللّه كربلاء معقلًا ومقاماً» «۳». ۴- وكثيرة هى الروايات الواردة بشأن تقدم الزراعة ومضاعفة المنتجات الزراعية ووفرة المياه والعمران فى كافة المجالات «۴».

التقدم القضائى:

إنّ الوقوف بوجه الظلم والفساد يتطلب من جانب، ترسيخ دعائم الإيمان والأخلاق، ومن جانب آخر، وجود نظام قضائى مقتدر يتحلى باليقظة التامة والاحاطة الشاملة. قطعاً يزود التطور الصناعى الإنسان بوسائل وأجهزة يمكن بواسطتها- عند الضرورة- السيطرة على كافّة الأـفراد ورصـد المشـبوهين فهم الـذين تُشمُّ منهم رائحـة الفسـاد والاـنحراف، والتقـاط الصور لمـا يخلفه المجرمون من آثار فى مواقع ارتكاب الجريمة، وتسجيل أصواتهم والتعرف عليهم من خلالها. حقّاً أن تمتع الحكومة الصالحة بهذه الإمكانات يمنحها الحصانة ضد الفساد والظلم وإحقاق الحقوق وإيصالها إلى أصـحابها. لا شك فى أنّ البرامـج الأخلاقية إلى جانب الوسائل الغاية فى التطور سـتأخذ مجراها فى عصـر ذلك المصـلح العظيم بحيث تسـير أغلبيـة المجتمع بالاتجاه الإنسانى الصـحيح المفعم بالعدل والسـلام. ولكن طالما خلق الإنسان حراً، وليس هنالك ما يجبره على أفعاله فسوف يكون هنالك، شـئنا أم أبينا، بعض الأفراد- وإن كانوا أقليـة- وسط ذلك المجتمع الصالـح الـذين يسـيئون الحرية ويسـتغلونها بغية تحقيق اطماعهم وأهدافهم وعليه، فلابدّ من وجود جهاز قضائى فعال ومقتدر ينتصف للمظلوم من الظالم. ويتضح من خلال تأمل الجرائم والجنايات والمفاسد الاجتماعية وطرق معالجتها، أنّه: أوّلًا: أنّ بسط العدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للثروات سيستأصل الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۲۷ جذور أغلب المفاسد الاجتماعية التى تنبثق من التنـازع على الأـموال والـثروات واسـتغلال الطبقـات الضـعيفة والتزييف والخـداع وأنواع الغش والكـذب والخيانـة وارتكـاب الجريمـة من أجـل الحصول على الـدخل الأكثر؛ ولعلّ تنامى حـدة الفساد والظلم فى كلّ مجتمع إنما تتوقف على تلك الامور ومـدى انتشارهـا. ثانيـاً: للتعليم والتربيـة الصـحيحة عظيم الأـثر فى مكافحـة الفسـاد والاـنحراف الاجتماعى والأخلاقى؛ وأحـد علل اتساع رقعة الفسـاد فى المجتمعـات المعاصـرة إنّمـا يتمثـل فى عـدم الاسـتفادة الصـحيحة مـن التعليـم؛ بـل عـادة مـا يوظـف فى خدمـة المشـاريع الاسـتعمارية الفاسـدة، والانهماك ليل نهار فى عرض الأفلام المبتذلـة والقصـص المضـلة وإشاعة الأخبار الكاذبة التى تضـمن مصالح الاسـتعمار العالمى. طبعاً لبعض هـذه الامور جـذور اقتصاديـة كما تهدف إلى تخدير العقول واسـتنزاف القوى الفاعلة والواعية فى كلّ مجتمع لضـمان مصالح الاستعمار الاقتصادى. وبالطبع إن تغيّرت هذه الأوضاع فإنّ جانباً كبيراً من الفساد الاجتماعى سيزول خلال مدة قصـيرة، ولا يتمّ ذلك إلّامن قبل حكومـة عالمية صالحة تنشد تحقيق مصالح البشـرية جمعاء- لا مصالح المسـتغلين- وبناء عالم معمور وحر مملوء بالعـدل والسـلام. ثالثـاً: أنّ وجود جهـاز قضـائى يقـظ وفاعـل ووسائل مراقبـة دقيقـة بحيث لا يفلت مجرم من سـيطرته ولا يسـتطيع انتهاك عدالته، هو العنصـر الآخر الذى يحد من انتشار الفساد وانتهاك حرمة القانون. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۲۸ فلو اتصـلت هذه الأبعاد الثلاثة مع بعضـها، لكانت أبعادها التأثيرية كثيرة للغاية. يستفاد من الأحاديث المرتبطة بعصر حكومة المهـدى عليه السـلام أنّه يسـتعين بهـذه العناصـر الوقـائيه الثلاثـة فى نهضـته، حتّى وردت بشأن دولته تلك العبارة والتى أصبحت مثلًا يضـربه الناس، فى أنّ عصـره سيشهـد عيش الذئب إلى جانب الشاة. قطعاً ليس هنالك من تغيير فى ماهية الذئاب ولا داعٍ أصلًا لذلك،

كما لا تفارق الشاة حالتها الطبيعية؛ وهذا إشارة إلى بسط العدل فى العالم وتغيير اسلوب الأفراد الذئاب فى صفاتهم والذين يتواطأون مع الحكومات الجبارة فى إمتصاص دماء الطبقات الضعيفة فى المجتمع البشرى. فإمّا أن تتغير روحيات هؤلاء بصورة تامة فى ظلّ النظام الجديد، ذلك لأنّ الذئبية ليست من طبيعة الإنسان، ومن الصفات العرضية التى يمكن تغييرها، أو على الأقل كبح جماحها، والانتفاع بنعم اللّه بصورة عادله بدلًا من هضم منافع الآخرين. ومن الامور الجديرة بالتأمل فى هذا المجال ما ورد فى حديث النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بشأن التوزيع الصحيح للأموال حيث يعيش الناس حالة من الغنى الروحى والمادى حتّى تبقى الأموال دون من يطلبها، أى أنّهم يبلغون مرحلة تربوية تجعلهم يرون المال الزائد على حاجتهم وبالًا عليهم. ليس هنالك ما يقلقهم بشأن ضمان معيشتهم لحاضرهم ومستقبلهم الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۲۹ بحيث يقارفون الخطيئة بغية الحصول عليها. كما ورد فى حديث آخر أنّ المستوى الفكرى للناس فى عصره يبلغ مرحلة يصعب مقارنتها بالعصر الراهن، وبالطبع سوف تغيب كافّة النزاعات والخلافات التى يفرزها قصر النظر وضيق الافق وضحالة المستوى الفكرى واستغراق الجهود فى الأموال والثروات. وعلى ضوء ما أوردناه سابقاً بشأن المراقبة الدقيقة فى حكومته حسبما ورد فى الروايات فإنّ المجرمين لا يشعرون بالأمن حتّى فى بيوتهم، ربّما لوجود بعض الأجهزة المتطورة التى تحصى حتّى أمواجهم الصوتية، وهذا بحد ذاته إشارة إلى سعة ابعاد التصدى للفساد فى عصر الإمام. وعبارة (حكمه كحكم داود عليه السلام ومحمّد صلى الله عليه و آله) كأنّها تشير إلى نقطة لطيفة فى أنّه يستعين بالضوابط القضائية الظاهرية من قبيل الاقرار والشهادة وما شابه ذلك إلى جانب الطرق النفسية والعلمية فى التعرف على المجرمين، على ضوء بعض النماذج فى عصر داود عليه السلام. بالاضافة إلى أنّ وسائل كشف الجرم تحرز تطوراً باهراً على غرار تطور العلوم والتقنيات بحيث يصعب على المجرم أن يفلت من العدالة. قرأت فى بعض الصحف بشأن عجائب دماغ الإنسان، أنّ هذا الدماغ يبعث بأمواج تتناسب مع مكنوناته الباطنية بحيث يمكن تمييز صدقه من كذبه على ضوء تصريحاته! قطعاً أنّ هذه الوسائل تتكامل وستخترع وسائل متطورة اخرى، وبالاستعانة بالأساليب النفسية المتطورة يمكن السيطرة الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳۰ على المجرمين، وإن قلّ تعداد المجرمين فى مثل هذا المجتمع (مع ذلك فالقضية تبدو مهمة). واكرر مراراً: من الخطأ الاعتقاد بأنّ كلّ هذه الامور تعالج فى عصره من خلال المعجزة، ذلك لأنّ المعجزة استثناء وحين الضرورة سيّما فى اثبات حقانية دعوى النبى صلى الله عليه و آله أو الإمام عليه السلام. ولا ترد لتنظيم شؤون الحياة اليومية والطبيعية، والدليل على ذلك لم يعتمدها أى نبى لهذه الاغراض. وعليه فإنّ مسيرة حكومته العالمية من ذلك النموذج الذى أشرنا إليه، لا نموذج الاعجاز. على كلّ حال فإنّ الأمن فى ظلّ حكومته العالمية على درجة من السعة والشمولية بحيث تستطيع المرأة- كما ورد فى الرواية- أن تسير لوحدها من شرق العالم إلى غربه دون أن يتعرض لها أحد! وأخيراً إن أضفنا مسألة تواضع عيشة المهدى عليه السلام- كما جاء فى بعض الروايات- تتضح الامور السابقة بجلاء، فسيرته قدوة واسوة لاتباعه فضلًا عن عامة الناس. وبالاستناد إلى هذا الموضوع فى أنّ القسم الأعظم من الجرائم والجنايات والمفاسد الاجتماعية التى تفرزها الحياة الموغلة فى الرفاه والمصارف العبثية الطائشة، فإنّه يتضح الدليل الآخر على إزالة المفاسد فى ظلّ حكومته العالمية. فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳۱ «وما لباس القائم عليه السلام إلّاالغليظ وما طعامه إلّاالجشب» «۱». كما ورد نفس هذا المضمون عن الإمام الصادق عليه السلام «۲».

الحكومة المديدة:

رغم ما ورد فى بعض الروايات أنّ مدة حكومته تمتد من خمس أو سبع سنوات إلى ۳۰۹ سنة (مدة مكث أصحاب الكهف)- والتى تشير فى الواقع إلى مراحل وعصور تلك الحكومة (حيث يستغرق تبلورها وتشكيلها مدة خمس أو سبع سنوات وعصر تكاملها ۴۰ سنة وعصرها الأخير أكثر من ثلاثمئة سنة! لابدّ من التمعن- ولكن بغض النظر عن الروايات الإسلامية فمن المفروغ منه أنّ كلّ هذه المقدمات ليست من أجل عصر قصير المدة، بل قطعاً من أجل مدة طويله تتناسب وجميع هذا التحمل والسعى والجهد!

بناء على جميع الأصعدة الفكرية والثقافية:

إنّ الأديان السماوية فى الواقع كالماء الذى ينزل من السماء، فقطرات مياه المطر الشفافة- إن لم يكن الجو ملوثاً- نقية ولطيفة وحيوية وخالية من أى تلوث، فهى تحمل بشائر الحياة أينما حلّت لتروى العطاشى وتمنحهم الروعة والجمال. أمّا إن سقطت على أرض ملوثة فإنّها تفقد صفاءَها ونقاءَها بالتدريج، بل الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳۲ تبدو أحياناً كريهة عفنة يهرب من رائحتها كلّ من يراها. والأديان السماوية تبدو بادئ الأمر بصفاء ونقاء تلك القطرات واشراقة الشمس وجمال الربيع، وأثر اتصالها بالأفكار المنحطة للجهال والأيدى الأثيمة للمغرضين والامتزاج بالعادات والتقاليد والاذواق والأمزجة الشخصية، تنحرف أحياناً حتّى تفقد بريقها وجاذبيتها بالمرة. ولم يسلم من ذلك، الدين الإسلامى، هذا الدين الحى المفعم بالحيوية والنشاط والذى نهض بتلك الامّة المتخلفة ليجعلها تتربع على ذروة المدنية، رغم سلامة القرآن ووجود المخلصين من العلماء الذين يذبون عن حريم الدين ويضحون من أجل حفظ أصالة تعاليمه ومفاهيمه، ولكن لابدّ من الاذعان بأنّ الكثير من مفاهيمه قد مسخت لدى الكثير من المسلمين، بحيث يمكن القول إنّ الإسلام الأصيل على عهد النبى صلى الله عليه و آله بدا غريباً فى أكثر الأوساط. وقد بلغت بعض المفاهيم من قبيل الزهد والتقوى والصبر والشهادة والانتظار والشفاعة والعبادة درجة من التحريف بحيث عادت غريبة عن هذا الدين الحقّ. كما آلت أغلب الأحكام الإسلامية بالحيل الشرعية وغير الشرعية إلى الاضمحلال كحكم الربا والفائز والذى لم يبق سوى اسمه. كما اعترى النسيان البعض الآخر- كالهجرة والجهاد والشهادة- أو على الأقل اقتصرت على صيغتها التاريخية والمختصة بعهد معين فى صدر الإسلام. واختلط التوحيد بالشرك وعاشت مدرسة أهل البيت عليهم السلام التى تمثل الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳۳ الإسلام الأصيل على ضوء: «إنّى تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتى» «۱» الغربة بين أغلب الأوساط الإسلامية وقد أبتعد عنها الناس ابتعد أن قذفت بأشنع التهم. وسيقوم المصلح على غرار البستانى الماهر الذى يستأصل العلف من النبتة الأصيلة رغم تعلقه بها وصعوبة فصله عنها، باستئصال كلّ ما علق بهذا الدين، وسيقطع كلّ غصن أعوج اتصل بشجرة الإسلام. وسيزيل تلك التفاسير المنحرفة للدين ويقطع الأيدى الأثيمة التى تطاولت على حرمة مفاهيمه القيمة. وخلاصة القول فإنّه سيعيد الإسلام إلى سابق عزّه على عهد رسول اللّه صلى الله عليه و آله وعلى عليه السلام. إنّ إحدى مهام المهدى عليه السلام تطهير الإسلام ممّا علق به من الغبار، وبعبارة اخرى إعادة بناء صرحه العملاق. فقد كان المسجد آنذاك مركزاً لكافة الأنشطة السياسية والعلمية والثقافية والاجتماعية والأخلاقية، وأصبح اليوم بؤرة للعجزة والعاطلين ووسيلة لقضاء الوقت، وربّما عادت طبيعية، وسيعيده إلى سابق عهده، وسينفخ روح الحياة فى جسد الجهاد، ويطهر التوحيد من كافة أنواع الشرك، ويفسر مفاهيم الدين بما يقضى على كلّ انحراف وتشويه، وسيطرح الآراء الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳۴ الشخصية المفروضة على الدين، ويبعده عن صدأ العادات والتقاليد، وسينهض بالإسلام ويخرجه من حالة التقوقع الوطنى والقومى ويظهره بشكله العالمى الأصيل، وسيقطع تلك الأيدى الأثيمة التى دست الحيل الشرعية فى الدين، ويعرض أحكامه وقوانينه كما ينبغى. ويبدو أنّ سلسلة هذه التغييرات على قدر من السعة والشمولية بحيث عبرت عنها بعض الروايات الإسلامية بالدين الجديد. روى صاحب كتاب اثبات الهداة حديثاً عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إذا خرج القائم يقوم بأمر جديد، وكتاب جديد، وسنة جديدة، وقضاء جديد» «۱». ومن الواضح أنّ هذا الأمر الجديد والكتاب الجديد والقضاء الجديد لا يعنى أنّه يأتى بدين جديد، بل يخرج الإسلام من خضم ما علق به من أساطير وخرافات وتحريفات وتفاسير خاطئة فيبدو وكأنّه دين جديد وبناء حديث. كما أنّ الكتاب الجديد لا يعنى نزول كتاب جديد عليه من السماء، ذلك لأن الإمام قائم وحافظ للدين، لا أنّه نبى ويأتى بكتاب جديد، بل يعيد القرآن الكريم إلى سابق عزّه فيبدو وكأنّه كتاب جديد بعد أن يطرح عنه التحريفات المعنوية والتفاسير المشبوهة. والشاهد على ذلك وإضافة إلى صراحة القرآن فى مسألة ختم النبوة فى الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳۵ الآية ۴۰ من سورة الأحزاب والروايات التى اثبتت صراحة خاتمية النبى صلى الله عليه و آله، بعض الأحاديث

التى صرحت بأن سيرته سيرة جده رسول اللَّه صلى الله عليه و آله والكتاب والسنّة. سأل عبداللَّه بن عطاء الإمام الصادق عليه السلام عن سيرة المهدى عليه السلام فقال عليه السلام: «يصنع ما صنع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يهدم ما كان قبله كما هدم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أمر الجاهلية ويستأنف الإسلام جديداً». وورد فى كتاب اثبات الهداة أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: «القائم من ولدى؛ اسمه اسمى وكنيته كنيتى، وشمائله شمائلى، وسنته سنتى، يقيم الناس على شريعتى وطاعتى، ويدعوهم إلى كتاب ربّى» «۱». وورد فى كتاب «منتخب الاثر» عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: «وأنّ الثانى عشر من ولدى يغيب حتّى لا يرى، ويأتى على امّتى بزمن لا يبقى من الإسلام إلّااسمه، ولا يبقى من القرآن إلّارسمه فحينئذٍ يأذن اللَّه له تبارك وتعالى بالخروج فيظهر الإسلام به ويجدده» «۲». وهذه الأخبار صريحة بما يغنينا عن أى توضيح.

وحدة الدين:

لا شك أنّ الخلافات المذهبية لا تنسجم والنظام التوحيدى فى كافّة الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳۶ المجالات؛ لأن هذه الخلافات تكفى للقضاء على أية وحدة. وبالعكس فإنّ أحد العوامل المهمّة للوحدة هو وحدة الدين والمذهب التى يسعها أن تفوق كلّ خلاف وفرقة واستيعاب كافة الاعراق واللغات والقوميات والثقافات المتعددة لتخلق منها مجتمعاً يعيش فيه الجميع باخوة ومحبة «إنّما المُؤمِنُونَ أخوَةٌ». ولذلك فإنّ أحد أهداف هذا المصلح العظيم توحيد الصفوف فى ظلّ توحيد المذهب. ولكن لا ينبغى الشك فى أنّ هذا التوحيد لا ـ يمكن أن يستند إلى منطق الجبر. فالمذهب يتعامل مع قلب الإنسان وروحه، ونعلم جميعاً بأنّ القلب والروح خارجة عن دائرة الجبر والاكراه. أضف إلى ذلك إنّ سنّة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله- كما يشهد لها القرآن- لم تكن قائمة على أساس الجبر والاكراه «لاإكْرَاهَ فِى الدِّينِ». ومن هنا استوعب الإسلام أهل الكتاب كأقلية ووفرّ لهم الدعم والاسناد ما لم يخرجوا على الدولة الإسلامية، وعلى ضوء تمتع تلك الحكومة العالمية على عهد ذلك المصلح العظيم بكافّة الوسائل المتطورة وتطهير الإسلام ممّا علق به من الشوائب والأدران إلى جانب جاذبيته القوية فإنّه يمكن التكهن بأنّ الأغلبية الساحقة ستتعاطف مع الإسلام وتجنح إليه فتصبح وحدة الأديان عملية من خلال الإسلام. وقد وقفنا على هذه الحقيقة على ضوء الأدلّة العقلية، والروايات الإسلامية هى الاخرى تثبت ذلك. روى المفضل فى حديث طويل عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳۷ «.. فواللَّه يا مفضل ليرفع عن الملل والأديان الاختلاف ويكون الدين كله واحداً، كما قال جلّ ذكره: إنّ الدِّين عند اللَّهالإسلام» «۱». ورد فى تفسير بعض الآيات القرآنية التى أشارت إلى قيام المهدى عليه السلام. وهكذا يرد الإسلام جميع القلوب والبيوت وزوايا الحياة بتوحيده الناصع. مع ذلك لا يمكن القول إنّه سوف لن يكون هناك من وجود بصورة مطلقة لتلك الأقليات من اتباع الديانات الاخرى فى تلك الدولة، ذلك لأنّ الإنسان حر الإرادة وليس هنالك من اكراه فى ذلك النظام، فمن الممكن أن يدفع الخطأ والتعصب بعض الأفراد لمواصلة عقائدهم السابقة وإن كان الإسلام هو الغالب وهذه مسأله طبيعية. لكن على كلّ حال إن كانت هناك مثل هذه الأقلية فهى أقلية وادعة، وبالتزامها بالمقررات الواردة فى أهل الذمة فإنها تحظى بحماية الدولة الإسلامية. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳۹

الأدعياء المزيفون

ألم يظهر المهدى

يطالعنا التاريخ منذ القرن الأوّل بظهور بعض الأفراد الذين ادعوا وانتحلوا عنوان المهدى، أم نسبهم الآخرون إلى ذلك، رغم أنّ هؤلاء الأفراد لم يفلحوا فى تحقيق مدعاهم من قبيل بسط العدل والقسط واصلاح العالم، بل لم يتمكنوا من ممارسة الاصلاح حتّى على

مستوى المناطق الصغيرة التى عاشوا فيها. ولعلّ أوّل فرد جعلوا له ذلك الاسم- رغم عدم رضاه- محمّد بن الحنفية، حيث كانت تعتقد الكيسانيـة: أنّه المهدى الموعود وأنّه لم يمت، بل هو فى جبل رضوى «۱» يحفظه أسـدان. والحال نعلم أنّ محمّد بن الحنفية توفى عام ۸۰ أو ۸۱ ه ودفن فى البقيع (المقبرة المعروفـة فى المدينـة)، وبالطبع فقـد خمدت اليوم أصوات تلك الفرقة ولم تعد تسـمع. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۴۲ ثمّ أقـدم بعض خلفاء بنى العباس بغية الخلافة واسـتغلال عقائد بعض السذج من الناس، وعلى ضوء الاسـتعداد الذهنى للمسـلمين وانتظار المهدى الموعود، بانتحال هذا الاسم وزعموا أنّهم المهدى. إلّا أنّ مضـى الزمان أثبت أنّهم ليس فقط لم يكونوا المهـدى، بل كانوا من الظلمـة الذين ينبغى القضاء عليهم بسـيف المهدى. وقد اسـتمر هذا الأمر فكان البعض هنا وهناك يزعم أنّه المهـدى ويجتمع حوله عـدد من الأفراد، لكن سـرعان ما ينكشف أمره. طبعاً هـذا الادّعاء يبدو كبيراً لا يصـمد أمامه صاحبه وذلك لأنّ أهداف هذا المصلح تتمثل فى مل الأرض قسطاً وعدلًا، وهذا يكفى لإفشال مخططات كلّ من يدعى أنّه المهدى. وقد تفاوتت دوافع الأفراد فى هذا الادّعاء، فالبعض كان مصاباً ببعض الأمراض النفسيـة أو السذاجة على الأقل، بينما كان البعض الآخر يسـعى وراء المنصب فـادّعى ذلـك لإشـباع رغبته دون التأمـل فى عواقب الأمر. كمـا كان البعض أُلعوبـة بيـد أعـداء الإسـلام الـذين يسـتغلونهم لحرف أفكارهم من القضايا الحيويـة التى يواجهونها، أو لبث الفرقة والاختلاف والنفاق بين صـفوف المسـلمين وإضـعاف قدرة المذهب ولا سيّما قدرة علماء الدين الذين يشكلون الخطر الرئيسى الذى يهدد مصالحهم. والخلاصة إنّ ادّعاء المهدوية تواصل حتّى الفتره الأخيره حين برز «السيّد محمّد على باب»، رغم عـدم قـدرته بادئ الأمر على مثل هذا الادّعاء، بل على ضوء الوثائق الحية وشـهادته المـذكورة فى كتبه أنّه لم يـدع المهدويـة، بـل اكتفى بادعـائه الباب وأنّه النائب الخاصّ للمهـدى. الحكومـة العالميـة للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۴۳ ولكن مع مرور الزمان وتجمع البعض حوله جعله يغير رأيه فزعم أنّه المهـدى «۱». وتفيد القرائن والوثائق عن سيرته وحياته وأتباعه- وقد جمعت بشـكل رائع- أنّ ادّعاءه هذا يعزى إلى الأسـباب الثلاثة؛ أى من جانب عملاء الدول الاسـتعمارية- كروسـية وبريطانيا وامريكا- حيث كان يتحرك على ضوء توجيهاتهم ويحظى بدعمهم وإسـنادهم، كما كان يسعى إلى الحصول على المنصب، وكـان يشـكو من بعض الأمراض النفسية «۲». ويبـدو أنّه كانت هناك شـبكة كبيرة، وقـد عـده بعض أعوانه متخلفاً فمنحوه شخصـية تلعب دور مقدمـة الظهور، وكان لهم دعاة كثيرون. إلّا أن تشـتت هذه الفرق «۳» من جانب، ونشـر الوثائق الحية عن الارتباط المباشـر بالـدول الاسـتعمارية، من جانب آخر «۴». والأهـم من كلّ ذلك عـدم وجود المضـمون الـذى يسعه تلبيـة رغبات حتّى عوام الناس، إلى جانب فضـحهم من قبل بعض المسـلمين الواعين على أنّهم «حزب سياسـى اسـتعمارى»، كلّ هذه الامور كشفت سريعاً عن حقيقـة أمرهم. الحكومـة العالميـة للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۴۴ طبعاً بحثنـا ليس فى تقصـى نقاط ضـعف هؤلاء، فهـذا يتطلب كتاباً مستقلًا، ولحسن الحظّ فقد أُلفت الكثير من الكتب بهذا الشأن وأنّ بعضـها رائع فى مضمونه «۱». وهدفنا هنا بيان موضوعين: ۱- يقول البعض: نعلم أنّ اسـتغلالًا كبيراً حصل ويحصل بالنسبة للاعتقاد بظهور المهدى! أوليس من الأفضل أن نسكت عن هذا الموضوع لكى لا يكون شـماعة فيسـتغله الآخرون، ولماذا نقر بشـىء يمكن أن ينعكس علينا سلباً؟ ۲- السؤال الآخر الـذى يقابل السؤال الأوّل تقريباً: هـل كـلّ من ادّعى المهدويـة كـان كاذبـاً، ألا- يحتمـل صـدق البعض، فلم يكن الجميع ممّن يسـعى إلى المنصب أو كـان أُلعوبـة بيد الاسـتعمار؟ وهدفنا هنا الجواب عن هذين السؤالين مع تحليل لهما. أمّا بشأن السؤال الأوّل، فلابدّ بادئ الأمر من طرح هذا السؤال: هل هنالك من حقيقـة فى هـذه الـدنيا لم تسـتغل من قبل الآخرين؟ أوَ لم يـدلنا التاريخ على كلّ أولئك الذين ادّعوا النبوة، ومازالت هذه الادعاءات قائمـة حتّى فى عصـر الـذرة والفضاء. الحكومـة العالميـة للإمام المهـدى(عج)، ص: ۲۴۵ فمـا أحرانـا أن ننسـى أصل دعوة الأنبياء ونتنكر كالبراهمة لأصل النبوة لكى نتخلص من الادعياء المسـتغلين! هل هذا كلام منطقى؟ لقد سمعنا ونسمع الكثير من الأفراد الـذين ينتحلون مهنـة الطب والهندسة بغية إشـباع بطونهم والحصول على الأموال، فهل يسـعنا القول إنّ عنوان الطبيب أخذ يسـتغل من قبل البعض ولابدّ من التنكر بصورة تامة لهذه المهنة. إنّ مثل هذا الكلام وإن بدا غاية البعد عن المنطق، إلّاأنّ المؤسف انه مذكور فى بعض كتب من ينكر أصل ظهور المهدى. على كلّ حال فإن هذه قاعدة كلية فى أنّ كلّ كذب يسعى لأن يلبس ثوب الصدق ليحظى

بالاعتبار المطلوب، ليس هنالك من خائن وسارق وكاذب يظهر بصورته الحقيقية، بل يسعى لتحقيق أهدافه من خلال التظاهر بالأمانة والطهر والصدق. فهل هذا دليل على عدم اعتبارية هذه المفاهيم الإنسانية الرفيعة. هذا أوّلًا. وثانياً: هل الاعتقاد بظهور المهدى حقيقة مستغلة أم وهم وخيال؟ إن سلمنا بأنّه حقيقة- وينبغى أن تكون كذلك لوجود عدّة أدلة على ذلك- فلا يمكن التخلى عنها لاستغلالها من قبل هذا أو ذاك، ولو (فرضاً) لم تكن حقيقة، فلابدّ من اسقاطها، سواء استغلت أم لم تستغل! على كلّ حال فإنّ اسلوب الاستفادة الصحيحة أو غير الصحيحة من موضوع لا يمكن أن تكون وسيله لاصدار الحكم بشأن ذلك الموضوع. فلو أصبحت الطاقة الذرية وسيلة حربية مستغلة من قبل الظلمة لتضرب الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۴۶ بها منطقة هيروشيما وخلفت ثلاثمئة ألف قتيل ونفس هذا العدد من الجرحى الذين مازالوا يعانون من تلك الجروح بعد مرور ثلاثين سنة، فهل يدعونا هذا إلى التخلى عن هذه الطاقة العظيمة أو انكار أصل وجودها؟ أم نسعى إلى الاستفادة الصحيحة منها ولضمان مصالح المجتمع البشرى. أمّا السؤال الثانى فيبدو أهم وهو: هل كلّ من ادّعى المهدوية كان كاذباً؟ ونعتقد أنّ الجواب عن هذا السؤال يبدو سهلًا على ضوء العلامات ونتائج هذا الظهور العظيم. فقد علمنا فى الأبحاث السابقة أنّ للمهدى رسالة عالمية يسعى إلى تحقيقها من خلال الاستفادة من كافة الوسائل والامكانات المتاحة. ورسالته الأصلية القضاء على كافة أنواع الظلم والجور وإرساء قواعد الحكومة العالمية على أساس العدل والقسط ومكافحة التمييز والاستعمار والاستغلال. فهو ينهض بمستوى الأفكار. وهو الذى يعمل على تقدم العلوم والمعارف. وهو الذى يحرك العالم فى كافة المجالات. وهو الذى يجمع كافة أتباع الأديان تحت راية واحدة. وهو الذى يقوم بالتوزيع العادل لثروات العالم. وهو الذى ينعش الاقتصاد العالمى بحيث لا يبقى محتاج فى العالم. وهو الذى يعطى كلّ ذى حقّ حقه. الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۴۷ وهو الذى لا يدع مكاناً خرباً إلّاعمَّره. وسيبلغ الأمن فى عصره مرحلة تجعل المرأة تنطلق من شرق العالم إلى غربه دون أن يسيئ لها أحد. وسيستخرج كنوز الأرض ويصنع المجتمع التوحيدى الموحد. هذه هى المشاريع العملية والخطط المنبثقة عن تلك النهضة العالمية الكبرى فى أكبر نهضة للتاريخ البشرى، والتى أشارت إليها مختلف المصادر، وقد ذكرنا تفاصيلها فى الفصول السابقة. فهل استطاع أى من أولئك الادعياء تحقيق واحد بالألف من هذه المشاريع، بل هل استطاع أى منهم أن ينظم منطقته أو حيّه على ضوء هذه البرامج؟ إننا نرى اليوم مدى اتساع رقعة الظلم والجور والاعتداء وهضم الحقوق؛ وقد أودت الحرب العالمية الاولى والثانية بحياة الملايين وجرحت الملايين وملأت العالم بالدماء. ومازالت الهوة تتعمق يوماً بعد آخر بين البلدان الغنية والفقيرة، بحيث ينام كلّ ليله ألف مليون من هذا العالم جوعى، ومازالت السجون مليئة بالأبرياء، ومازال الجبابرة يجرعون الناس أنواع العذاب، أى أنّ العالم مازال يأنُّ من الظلم والجور، فليت شعرى متى ملئ بالعدل والقسط؟ وهذا أقوى دليل على مزاعم أولئك الادعياء، رد قصير لكنه حاسم وقاطع. أجل ما زالت تلك الشمس لم تخترق الحجب ولا بدّ من الانتظار حتّى ذلك اليوم الذى تنقشع فيه كافة السحب والغيوم فيضىء هذا الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۴۸ العالم المظلم بنور طلعته البهية، وما أقرب هذا اليوم «أليس الصبح بقريب». انارك نائين «۱»- ناصر مكارم الشيرازى رمضان ۱۳۹۸ ه تموز ۱۹۷۸ م

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبِيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع " القائميّة "الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله" الشمس آباذى – "رَحِمَهُ الله – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة

القمریّهٔ)، مؤسَّسهً و طریقهً لَم ینطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم. مرکز" القائمیّهٔ "للتحرّی الحاسوبیّ– بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَهٔ ۱۳۸۵ الهجریّهٔ الشمسیّهٔ (=۱۴۲۷ الهجریّهٔ القمریّهٔ) تحتَ عنایهٔ سماحهٔ آیهٔ الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَهِٔ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّهٔ و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّهٔ، ثقافیّهٔ و علمیّهٔ... الأهداف: الدّفاع عن ساحهٔ الشیعهٔ و تبسیط ثَقافهٔ الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّهٔ، تخلیف المطالب النّافعهٔ – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلهٔ أو الرّدیئهٔ –فی المحامیل (=الهواتف المنقولهٔ) و الحواسیب (=الأجهزهٔ الکمبیوتریّهٔ)، تمهید أرضیّهٍٔ واسعهٍٔ جامعهٍٔ ثَقافیّهٍٔ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعهٔ ثقافهٔ القراءهٔ و إغناء أوقات فراغهٔ هُواهِٔ برامِج العلوم الإسلامیّهٔ، إنالهٔ المنابع اللازمهٔ لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرهٔ فی الجامعهٔ، و... – مِنها العَدالهٔ الاجتماعیّهٔ: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزهٔ الحدیثهٔ متصاعدهً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافهِٔ الاسلامیّهٔ و الإیرانیّهٔ – فی أنحاء العالَم – مِن جهههٍٔ اُخرَی. – من الأنشطهٔ الواسعهٔ للمرکز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبهٔ، نشرهٔ شهریّهٔ، مع إقامهٔ مسابقات القِراءهٔ ب) إنتاجُ مئات أجهزهٍٔ تحقیقیّهٔ و مکتبیهٔ، قابلهٔ للتشغیل فی الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّهِٔ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکهٔ و... الأماکن الدینیّهٔ، السیاحیّهٔ و... د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّهٔ "www.Ghaemiyeh.com و عدّهٔ مَواقِعَ اُخرَه) إنتاج المُنتَجات العرضیّهٔ، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّهٔ و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابهٔ الأسئلهٔ الشرعیّهٔ، الاخلاقیّهٔ و الاعتقادیّهٔ (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرهٔ SMS ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّهٔ و اعتباریّهٔ، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّهٔ، الجوامع، الأماکن الدینیّهٔ کمسجد جَمکرانَ و... ط) إقامهٔ المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسهٔ "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسهٔ ی) إقامهٔ دورات تعلیمیّهٔ عمومیّهٔ و دورات تربیهٔ المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلهٔ السَّنَهٔ المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائی/"بنایهٔ"القائمیّهٔ "تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّهٔ الشمسیّهٔ (=۱۴۲۷ الهجریهٔ القمریّهٔ) رقم التسجیل: ۲۳۷۳ الهویّهٔ الوطنیّهٔ: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاریّهٔ و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظهٔ هامّهٔ: المیزانیّهٔ الحالیّهٔ لهذا المرکز، شَعبیّهٔ، تبرّعیّهٔ، غیر حکومیّهٔ، و غیر ربحیّهٔ، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّهٔ و العلمیّهٔ الحالیّهٔ و مشاریع التوسعهٔ الثّقافیّهٔ؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّهٔ) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحهٔ بقیّهٔ الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.


مركز
القائمية
اصبهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹